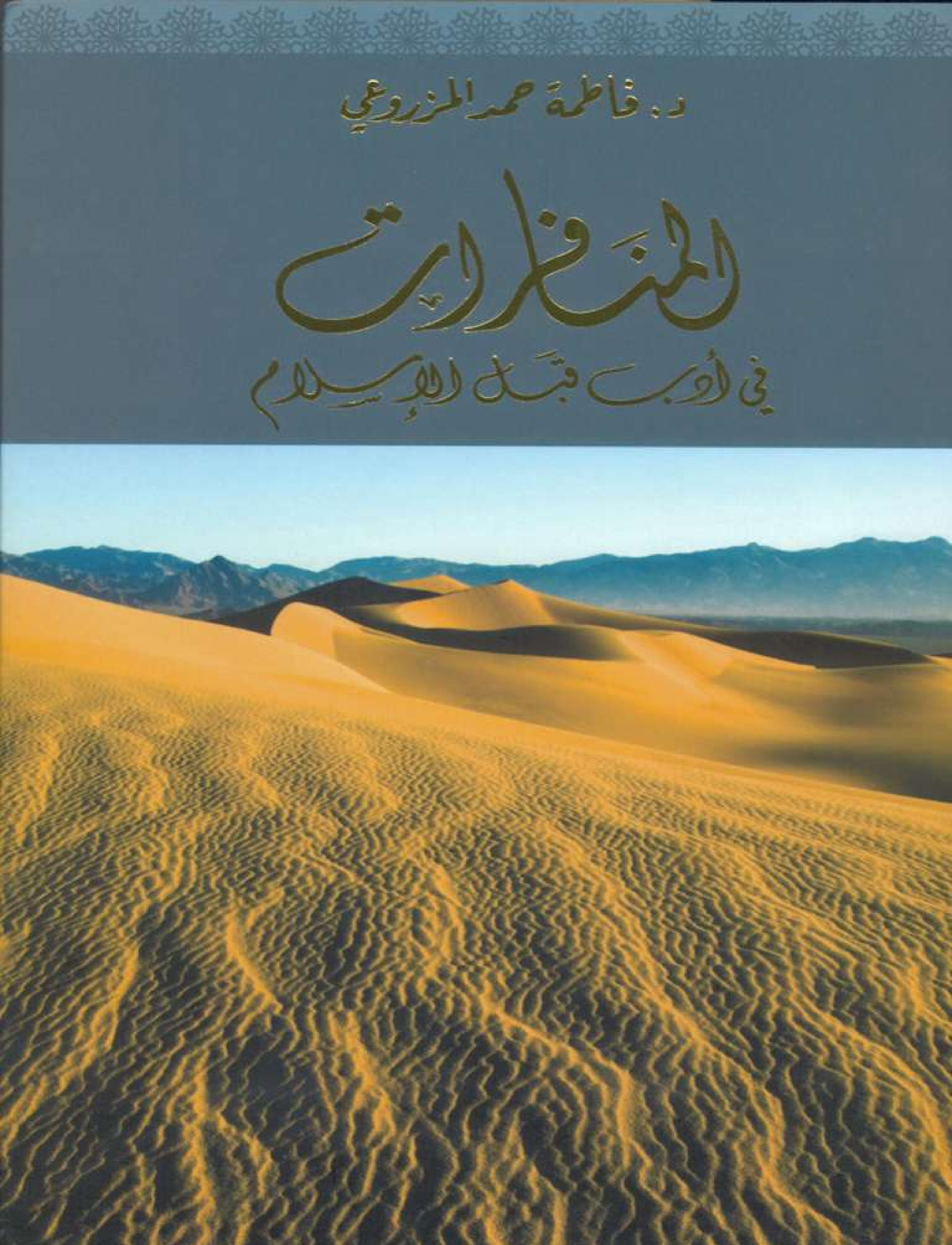

د. فاطمة حمد المزروعي
المنافرات
في أدب قبل الإسلام

المنافرات في أدب قبل الإسلام

د.فاطمة حمد المزروعي



© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

فاطمة المزروعي
المنافرات في أدب قبل الإسلام/ فاطمة حمد المزروعي.- أبوظبي؛ هيئة أبوظبي للثقافة
والتراث، المجمع الثقافي،2009.
ص ؛ خرائط، مص؛24سم.
ببليوجرافية: ص253-264.
يشتمل على ملاحق
ت د م ك :978-9948-01-216-0
1- الأدب العربي- العصر الجاهلي- تاريخ ونقد. 2 - شعر الهجاء . أ - العنوان.

810,91 ديوي
ف ا م ن



أبوظبي للثقافة و التراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

الطبعة الأولى 1430هـ 2009م

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380 ، هاتف: 300 6215 2 971 +
publication@cultural.org.ae
www.adach.ae

المنافرات

في أدب قبل الإسلام

المقدمة

يتمثل مسعى هذه الدراسة في تناول المنافرات في الأدب الجاهلي بغية فهمها وتبيان أسبابها ونشأتها وعناصرها ومقوماتها، وأثرها في الأدب الجاهلي، وما فعله المشاركون فيها من حكماء وكهان وشعراء وخطباء، وطبيعة الحُكْم في المنافرات وكيفية التحكيم. وتوضح هذه الدراسة القيم التي تفاضل فيها العرب فيما بينهم، وكيف تحولت بعض الصراعات الفردية بين الأشخاص إلى صراع بين القبائل أو في القبيلة ذاتها، وما كان يحدث في الأسواق والمواسم من منافرات.

تهدف هذه الدراسة إلى رصد ما جاء في المنافرات من مُقطَّعات وقصائد، مع رصد ما جاء من نثر، ولاسيما سجع الكُهان، وما قيل من خطب وأمثال مع دراسة السمات الفنية في شعر المنافرات ونثره، ثم تركيز الاهتمام على منافرة عَلْقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل؛ نظراً لكثرة الأخبار التي وصلتنا عنها ولشهرتها، ولعلّ ذلك يعود إلى مشاركة شعراء جاهليين بارزين فيها مثل: الأعشى ولبيد بن ربيعة والحطيئة.

وما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع هو قناعتي بأهمية المنافرات في العصر الجاهلي، وأثرها في الأدب، وقلّة ما كُتب عنها، مما يعني أن الموضوع في حاجة إلى دراسة متأنية فاحصة، تجمع فيها نصوص المنافرات المتناثرة بين كتب الأدب والتاريخ وكتب التراجم، وتحللها لاستخلاص مفهومها وخصائص أدب المنافرات.

والدراسات عن المنافرات قليلة؛ إذ لم أظفر إلا بفصلين وكتاب صغير جداً، أما الفصل الأول فهو لمحمد محمد حسين في كتابه الموسوم بـ (الهجاء والهجاؤون في العصر الجاهلي)، حيث تحدث فيه باختصار عن المنافرة وعناصرها، من دون أن يتعمق في تحليل أخبار المنافرات؛ لأن كتابه عن الهجاء فلم يذكر المنافرات إلا فيما يخدم غرضه. والفصل الآخر في كتاب (أدب ما قبل الإسلام) لمحمد عثمان علي ، وركّز الاهتمام فيه على منافرة عَلْقمة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل، وما جاء فيها من نثر، وعلى سماته الفنية. وثمة كتاب صغير بعنوان (منافرة عامر بن الطُّفيل وعَلْقمة بن عُلاثة العامريين، وأثرها في الشعر الجاهلي) لمؤلفه حمد الزايدي، وقد اهتم بإعطاء فكرة موجزة عن المنافرة، واعتنى كثيراً

بالترجمة للمتنافرين والشعراء، مع شرح ما جاء من شعر في هذه المنافرة، و لم يتطرق إلى مفهوم المنافرة لدى الشعراء، ولا إلى أثرها في لغة الشِّعر وأساليبه، وما تميز به عن أغراض الشِّعر الأخرى.

وكان أبرز مصادر هذه الدراسة:

1. كتاب الديباج وكتاب شرح نقائض جرير والفرزدق لأبي عبيدة، الذي ذكر في الكتاب الأول أهم المتنافرِين في الجاهلية، والحُكّام العُدول والمرتشين، وفي كتابه الآخر روى منافرة جرير بن عبدالله البَجَلي وخالد بن أرطاة الكلبي.
2. كتاب المنمق في أخبار قريش لمحمد بن حبيب. واعتمدت عليه لأنه جمع منافرات قريش وذكر حُكّامها، وهذا ما جعل أكثر المصادر المتأخرة تنقل عنه، ولاسيما منافرات بني هاشم وعبد شمس.
3. كتاب الأغاني للأصفهاني، وقد اعتمدت عليه في بعض المنافرات ولاسيما منافرة عَلْقمة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل، وما جاء فيها من شعر ونثر، إذ اهتم بنقل الروايات جميعها، علاوة على المنافرة التي كادت أن تحدث بين حاتم الطائي وابن عمّه، ولنقله بعض أخبار المنافرات الأخرى.
4. كتاب مجمع الأمثال للميداني، فقد نقل قصص المنافرات التي جاءت فيها أمثال على ألسنة المتنافرين أو الحَكَم أو المناصرين للمُتَنَافِر.
5. دواوين الشُّعراء وهم: الأعشى ميمون بن قيس، ولبيد بن ربيعة، والحطيئة، وحاتم الطائي.

والحقّ أن الباحث في المنافرات يواجه مشكلة تكمن في ضياع كتب المنافرات، مما جعل جمع ما بقي منها في الكتب المتفرقة أمراً غير يسير، بيد أنني حاولت جمعها من مظانها، وبعض هذه المنافرات وصل منها الخطبة أوحُكْم الكاهن فقط، وبهذا لم تصلنا أخبار المنافرات جميعها ولا ظروف بعضها.

وقد تناولت الدراسة المنافرات في تمهيد وثلاثة فصول. ففي التمهيد عرّفت المنافرة لغة واصطلاحاً، مع التفريق بينها وبين المُفَاخَرَة والمُنَاقَرَة والمُعَاقَرَة والمُبَاهَلَة، وتوضيح موقف الإسلام من المنافرات. أما الفصل الأول فركّزتُ الاهتمام فيه على عوامل المنافرة وأسبابها، وعناصرها، وبينت دور الحُكَّام من الحُكَمَاء والكُهّان، والنُّفُورة، والرِّهان، وتحديد الزمان والمكان، وأثر سوق عُكاظ لأهميته الخاصة.

أما الفصل الثاني فأفردته للحديث عن أنواع المنافرات بالنسبة إلى المتنافرين؛ وهي: منافرة شخصية ومنافرة قبلية ومنافرة شخصية تحولت إلى قبلية، مع التطرق إلى مجالات المنافرة وأبرزها النسب العريق، ثم ذكرت تحلي المنافر ببعض الخصال وأهمها الكرم والشجاعة.

والفصل الثالث تناول أثر المنافرات في الأدب الجاهلي، وما جاء فيها من شعر ونثر، ولاسيما منافرة عَلْقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل؛ لكثرة ما قيل فيها من رجز وقصيد، ومن نثر تضمن حوار المتنافرين، ثم دراسة الآثار النثرية من حيث المضمون واللغة والتصوير والموسيقى.

أما الخاتمة فتضمنت نتائج الدراسة والخصائص الفنية العامة لأثر المنافرات في الأدب الجاهلي، وجعلت نصوص المنافرات التي عثرتُ عليها ملاحق للدراسة حتى يسهل على القارئ العودة إليها ولاسيما أنها لم تجمع، فأخبار المنافرات متناثرة في كتب شتى. وقد تضمنت الملاحق أخبار المنافرات التي رُتبت حسب كثرة الروايات مثل منافرات قريش ومنافرة عَلْقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل مع مراعاة ترتيب المصادر زمنياً، ثم ذكرت الأشعار التي جاءت في دواوين الشعراء الذين شاركوا في المنافرات، وختمت الملاحق بالخطب، ولابد أن أشير هنا إلى أن قلة نصوص المنافرات وأخبارها جعلتني أكرر بعض النصوص في مواضع قليلة من الدراسة في سياق مختلف ليخدم فكرة جديدة، فالتكرار كان في الشاهد وليس في الفكرة.

هذا ما قدّمت متمنية أن يبارك الله – عز وجل – لنا، وأعتذر عن هفوات القلم، وأسأل الله التوفيق والسداد، عليه توكلت وإليه أنيب.

نشأة المصطلح وتطوره

تُعدُّ المنافرات صورة من صور التباهي بالأحساب والأنساب، ووسيلة للفصل بين المتنازعين، وقد يتحول التنازع بين رجلين إلى صراع بين القبائل أو في القبيلة نفسها، وهي وسيلة لإظهار الحق وإقامة العدل، وفي هذا يقول زهير بن أبي سلمى:

وإنّ الحقَّ مَقْطَعُهُ ثَلاثٌ ... يَمينٌ أو نِفَارٌ أو جِلاءُ(1)

ونتوقف فيما يأتي عند المنافرة لغة واصطلاحاً، وتطور هذه اللفظة، والفرق بينها وبين المفاخرة، والمعاقرة، والمساجلة، والمباهلة، والمناقرة.

أولاً: المنافرة لغة واصطلاحاً:

إن الاشتقاق اللغوي للمنافرة مأخوذ من مادة (نفر)، ويدل المعنى اللغوي على التفرق والتباعد، ونَفَرَتْ الدابة نَفْراً ونَفَرَاناً أي شَرَدَت «نَفَرَ الجِلْدُ: وَرِمَ وتجافى عن اللحم، والنَّفَرُ دون العشرة من الرجال والجمع أَنْفَار، وفي حديث أبي ذر: لو كان ههنا أحد من أَنْفَارِنا أي قومنا. والنَّفِيرُ: الجماعة من الناس وجمعها أَنْفار. واسْتَنْفَرَ الإمام الناسَ لجهاد العدو إذا حثهم على النَّفِيرِ ودعاهم إليه، والاسْتِنْفارُ: الاسْتِنْجاد والاسْتِنْصار»(2).

وفي القرآن الكريم ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾(3)؛ يشبّه الله سبحانه وتعالى المعرضين عن التذكرة بالحُمُر الوحشية الشديدة الشرود والنفران من الأسد، وهذا يؤكد معنى الشرود والتباعد. قال ابن الأثير في شرح

---

(1) ديوان زهير بن أبي سلمى: 12.

(2) ابن منظور – لسان العرب، مادة «نفر»، الزبيدي – تاج العروس، مادة «نفر».

(3) المدثر، من الآية 49 إلى 51.

مادة «نفر»: «إن منكم مُنَفِّرينَ أي من يلقى الناس بالغلظة والشدة، فَيُنَفِّرونَ من الإسلام والدين. والمنافرة المفاخرة والمحاكمة... وفيه إن الله يُبْغض العِفْرِيَّةَ النِّفْرِيَّةَ أي المنكر الخبيث، وقيل النَّفْرِيَّة والنِّفْريتُ إتْباع للعِفْرِيَّةِ والعِفْريتِ»(1). إذاً فالمعنى اللغوي للكلمة يدور حول التفرق والتباعد والشرود.

وفي المعنى المجازي قال الزمخشري: «ومن المجاز: بي نُفْرَةٌ مِنْ هذا الأمر وأنا منه نافِرٌ إذا انقبضت منه، ولم ترض به. ونَفَرَ فلان من صحبة فلان، ونَفَرَتْ المرأة من زوجها وهي فَرِقَةٌ منْهُ نافِرَة»(2)، والتباعد والتجافي هنا نفسي نتيجة الانزعاج والشعور بالانقباض، مما يؤدي إلى نفور الناس من بعض الأشخاص، ويذكرنا هذا بحديث عائشة رضي الله عنها إذ قالت: «سمعت النبي ﷺ يقول: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»(3).

ومن المجاز أيضاً «نافرته إلى الحكم فنفّرني عليه: حاكمته فغلّبني عليه، وأصل المنافرة من قولهم أيُّنا أعز نفراً، والنُفْرَةُ أي الحكومة»(4).

وهنا نلاحظ أن معنى المنافرة المجازي هو المحاكمة والقضاء لأحد الطرفين، والحكومة ركن أساسي في المنافرة ذاتها، وفي تمييزها عن غيرها من المفاخرة والمعاقرة وغيرهما، وهذا ما سأركز الاهتمام عليه عند تبيان الفروقات بغية تحديد المنافرة تحديداً واضحاً، وجعل التعريف جامعاً مانعاً.

مما سبق نجد أن معنى المنافرة لغة (التفرق والتباعد) سواء أكان مادياً أم نفسياً، والمحاكمة للقضاء بين طرفين أو قبيلتين فيما يختلفان فيه. فأما المنافرة اصطلاحاً فهي «المحاكمة في الحسب، وقال أبوعبيد: المنافرة أن يفتخر الرجلان كل واحد منهما على صاحبه، ثم

---

(1) ابن الأثير – النهاية في غريب الأثر، 5–80:79. العفرية: الداهية، وأنثى العفريت. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «عفر».

(2) الزمخشري – أساس البلاغة، 2:464.

(3) البخاري – الجامع الصحيح 6:466، – رقم الحديث 3336.

(4) ابن منظور – لسان العرب، مادة «نفر».

يُحكِّما بينهما رجلاً كفعل عَلقمة بن عُلاثة[1] وعامر بن الطُفيل[2] حين تنافرا إلى هرم ابن قطبة، وفيهما يقول الأعشى:

قَـدْ قُـلْـتُ قَـوْلاً فَـقَـضَـى بَـيْـنَـكُـمْ وَاعْـتَـرَفَ المَنْـفُـورُ لِـلـنَّـافِـرِ[3]

والمَنْفور: المغلوب، والنَافِر: الغالب. وقد نَافَرَهُ فنَفَرَهُ يَنْفُرهُ نَفْراً إذا غلبه. ونَفَّرَ الحاكم أحدهما على صاحبه وأَنْفَرَهُ تنفيراً: أي قضى عليه بالغلْبَةِ وكذلك أنْفَره. ونافر الرجل مُنافرة ونِفاراً: حاكمه. والنُفَّارَةُ: ما أخذ النافِر من المَنْفورِ، وهو الغالب، وقيل ما أخذه الحاكم. قال ابن الأعرابي النافِر القامِر»[4].

نستخلص من هذا النص أنّ المنافرة ضرب من المفاخرة تؤدي إلى التحاكم، والنص يبين أن أصل المنافرة مأخوذ من قولهم (أينا أعز نفراً؟) أي أن أساسها التفاخر بالأنساب والأحساب، وسأقف فيما بعد على الفرق بين المنافرة والمفاخرة بشيء من التفصيل.

أما أركان المنافرة فهي المتنافران والحكم والنفورة، وهي أساسية، وتختل المنافرة بفقد أحد أركانها، فتخرج إلى المفاخرة أو المباهلة أو غيرهما. وسيأتي الحديث عن هذه الأركان في الفصل الأول.

جاء في البيان والتبيين للجاحظ أن «نُفَيْل بن عبد العُزّى تنافر إليه عبد المطلب وحَرْب

---

(1) هو عَلْقَمة بن عُلاثَة بن عَوْف العامِري من بني الأَحْوص، من أشراف بني عامر في الجاهلية، أسلم وولاّه عمر بن الخطاب حوران. انظر: محمد بن حبيب – المحبر: 135؛ ابن حجر العسقلاني – الإصابة في تمييز الصحابة، 4: 455.

(2) هو أبو علي عامر بن الطفيل بن مالك العامري، وهو من فرسان العرب وعقمائهم، وهو ابن عمّ الشاعر لبيد بن ربيعة، أدرك عامر الإسلام لكنّه لم يسلم، وقرّر قتل النبي – ﷺ – مع أَربِد بن قيس أخي لبيد لأمّه، فدعا الرسول– ﷺ – عليهما بالهلاك فهلك عامر بالغُدَّة في بيت امرأة سلولية، وأصابت أربِد صاعقة ومات، فتحققت دعوة الرسول – ﷺ – عليه. انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 135؛ والآمدي – المؤتلف والمختلف: 28.

(3) انظر: ديوان الأعشى: 179 .

(4) ابن منظور – مصدر سابق، مادة «نفر»، الزبيدي – تاج العروس، مادة «نفر».

ابن أمية فنفّر عبد المطلب؛ أي حكم لعبد المطلب. والمنافرة المحاكمة»(1).

ونص الجاحظ السابق تناول معنى من المعاني اللغوية للمنافرة وهو المحاكمة، لا المعنى الاصطلاحي وهو المحاكمة في الحسب والنسب، لكننا نجد المعنى الاصطلاحي في نص ابن نباتة المصري حيث قال: «معنى المنافرة المحاكمة في الحسب، والفَصل بين الرجلين، يقال نافرهُ إذا حاكمه، ونَفَرهُ إذا غلبه»(2)، ويؤكد هذا نص القلقشندي الذي عرف المنافرة بأنها «المحاكمة في الحسب»(3).

ونذكر هنا تعليق السهيلي على ابن هشام في السيرة النبوية حيث يقول: «يُنافر: أي يحاكم. قال قاسم بن ثابت: لفظ المنافرة مأخوذ من النَفَر، وكانوا إذا تنازع الرجلان وادعى كل واحد منهما أنه أعز نفراً من صاحبه تحاكما إلى العلاّمة؛ فمن فُضِّل منهما قيل: نفَّرهُ عليه، أي فضَّل نَفَرهُ على نَفَرِ الآخر فمن هنا أُخذت المُنافرة»(4).

ونلاحظ هنا أنه استخدم كلمة العلاّمة بدلاً من المُنفِّر أو الحاكم بينهما سواء أكان حكيماً أم كاهناً، وتعني كلمة العلامة الشخص المُبرز في العلم، ولاشك أن العلم المطلوب هنا هو العلم بالأنساب والأحساب، ومعرفة مناقب الناس ومثالبهم.

ووقف الألوسي على المنافرة معرِّفاً هذا المصطلح بقوله «كانت العرب في الجاهلية إذا تنازع الرجلان منهم الشرف تنافرا إلى حكمائهم... ونافر معناه حاكم في النسب، وسمّيت منافرة لأنهم كانوا يقولون في المفاخرة أينا أعز نَفَراً»(5). وهذا النص يؤكد أن المنافرة هي مفاخرة في الحسب والشرف تقتضي التحكيم، وبهذا تكون المفاخرة عامة، والمنافرة خاصة بالفخر بالنسب، علاوة على التحكيم الذي يفصل بين المتنافرين.

---

(1) الجاحظ– البيان والتبيين، 304:1

(2) ابن نباتة المصري – سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: 162.

(3) القلقشندي –صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 473:1.

(4) السهيلي– الروض الأُنف، 1:162–163.

(5) الألوسي – بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 311:1.

والمُنَافَرَةِ في معجم المصطلحات العربية هي «الاحتكام إلى الكهان في الخصومات، والتكاثر بالآباء والأحساب، ومثالها منافرة هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس إلى الكاهن الخزاعي. وقد تطلق المنافرة على المفاخرة بالشعر وعرضه على المحكمين. ومثال ذلك في الجاهلية الزّبرقان بن بدر، وعمرو بن الأَهْتَم، وعبدة بن الطيب، والمُخَبَّل السَّعْدِي، وكان الحكم بينهما ربيعة بن حُذار الأسدي... وكانوا يستخدمون السجع في المنافرات والمفاخرات»(1).

إن مفهوم المنافرة يتسع عند صاحبي المعجم المذكور– وهما مجدي وهبة وكامل المهندس– ليعني التحكيم في النسب والشعر، ولا نجد أحداً من القدماء ولا من المحدثين من يقول بما ذهب إليه صاحبا معجم المصطلحات العربية من توسع. ولعله اجتهاد منهما إذ لم يذكرا المصادر التي اعتمدا عليها، ولا أجد مسوغاً لذلك سوى ما يحدث من تحكيم عند المفاخرة بالشعر، لكن المنافرة أساسها تفاخر بالأنساب والأحساب يؤدي بالمتنافرين إلى التحكيم على أساس عراقة النسب وكرم المحتد وهو المعنى الاصطلاحي، وأما التحكيم في الشعر فيعتمد على الجودة الفنية وحسن الصنعة، ومجال دراسته هو النقد الأدبي، وبهذا يكون معنى المنافرة التي عناها صاحبا المعجم هو المعنى اللغوي بما لا يتفق مع هدف المعجم الذي يهتم بدراسة المصطلحات. والأخذ برأيهما سيؤدي بنا إلى إدخال نصوص كثيرة في مجال المنافرات، ولكنها في الأصل تدرج ضمن المفاخرات بكل شيء.

وإذا سلّمنا بالرأي السابق فإن المفاخرات في الشعر ستصبح من المنافرات، ونسوق مثالاً للمفاخرات في الشعر ما ورد في قصة حكومة أم جُنْدُب بين امرئ القيس وعَلْقَمة الفحْل؛ «قال أبو عبيدة: كانت تحت امرئ القيس امرأة من طيىء تزوجها حين جاور فيهم، فنزل به علقمة الفحل بن عَبَدة التميمي، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أشعر منك، فتحاكما إليها، فأنشد امرؤ القيس قوله:

خليليَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدُبِ

(1) مجدي وهبة وكامل المهندس – معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: 310.

حتى مرَّ بقوله:

فـلـلسَّـوط أُلـهـوب   ولـــلسَّـــاقِ دِرَّةٌ   ولـلـزَّجـرِ مـنـهُ وَقْـعُ أَخـرج مُـهـذِبِ

ويُروى «أهوج مِنْعَبِ».

فأنشد عَلقمة قوله:

ذَهـبْـتَ مـن الـهِـجـرانِ في غيرِ مَـذْهَـبِ

حتى انتهى إلى قوله:

فـأدركــه حــتــى ثــنــى مــن عِــنــانِــهِ   يَــمــرُّ كـغـيـثٍ رائــحٍ مُــتَــحَــلّــب

فقالت له: علقمة أشعر منك، قال: كيف؟ قالت: لأنك زجرت فرسك، وحركته بساقك وضربته بسوطك. وأنّه جاء هذا الصيد، ثم أدركه ثانياً من عِنانه، فغضب امرؤ القيس، وقال: ليس كما قلتِ، ولكنّكِ هويتِه، فطلقها، فتزوّجها عَلْقمة بعد ذلك، وبهذا لقّب علقمة الفحل»(1).

ففي النص السابق يتفاخر كل من امرئ القيس وعلقمة بن عبدة الفحل بشعره وبإجادته له، ويلجأان إلى التحكيم، ويحكّمان زوجة امرئ القيس التي تعتمد على ذائقتها الأدبية فتفضّل شعر علقمة على شعر امرئ القيس مع التعليل لذلك، وهذا النص يمكن وضعه في المفاخرات لا المنافرات رغم وجود تحكيم هنا؛ لأن التفاخر كان بجودة الشعر، في حين أن التفاخر في المنافرات يكون أساسه التباهي بالحسب وشرف النسب.

وأقف على نص آخر من العصر العباسي لنرى مغبة التوسع في مفهوم المنافرة، وإن كنا سندرس تطور هذا اللفظ بعد العصر الجاهلي، حيث تفاخر مالك(2) ومَعْبد(3) المغنّيان

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 2: 202–203.

(2) هو مالك بن جابر بن ثعلبة الطائي، أحد بني ثعل، أمه قرشية من بني مخزوم، تربى في بيت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، أخذ الغناء عن معبد والمغنية جميلة، نبغ في الغناء وأدرك خلافة أبي جعفر المنصور. المصدر نفسه، 5:101.

(3) هو معبد بن وهب مولى لبني مخزوم، وقيل لغيرهم، نشأ راعياً للغنم، نبغ في الغناء في المدينة، ثم رحل إلى الشام، عاش طويلاً ومات في عسكر الوليد بن يزيد. المصدر نفسه، 1:36.

كل منهما على صاحبه بحسن اختيار الشعر وجودة اللحن، «فتلاحيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصوتين، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أجود صنعة منك. فتنافرا إلى ابن سُرَيْج[1] فمضيا إلى مكة، فقالا: إنا خرجنا إليك من المدينة لتحكم بيننا في صوتين صنعناهما، فقال: لِيُغَنِّ كل واحد منكما صوته، فقال لمعبد: أحسنت على سوء اختيارك للشعر!... ثم قال لمالك: أحسنت واللهِ ما شئت»[2].

هكذا نجد أن هذه المفاخرة في الغناء قد تضمنت تحكيماً، وهذا ما يجعلنا نضعها في المنافرات حسب المعنى اللغوي لا الاصطلاحي للمنافرة المتعارف عليه عند القدماء والمحدثين.

خلاصة القول إن المنافرة حوار وجدال بين رجلين جوهره التفاخر بالنسب والحسب، إلى جانب الخصال الحميدة مثل الكرم والشجاعة، فكل من المتنافرين يرى أنه أعز وأشرف من الآخر، ويفصل بينهما في ذلك الحكام والكهان، ويتدخل الشعراء والخطباء لنصرة المتنافرين. ويختلف قرار الحكام؛ فقد يفضل الحكَم أحد المتنافرين على الآخر، أو يساوي بينهما، أو يحيلهما إلى حكم آخر. ولعل ما يؤكد ما نذهب إليه—وهو أن المنافرة نوع خاص من المفاخرة بالحسب والنسب – ما ورد في تعريفها فهي «المحاكمة في المفاخرة»[3]، و«المحاكمة في الحسب والنسب»[4].

ثانياً: مرادفات المنافرة وتطور دلالتها بعد العصر الجاهلي

أ– مرادفات المنافرة

وهناك مرادفات للمنافرة منها المُخَايَرَة، والكلمة مأخوذة من المادة اللغوية (خير)،

---

(1) هو عبيد بن سريج مولى بني نوفل بن عبد مناف، كان يغني بالقناع؛ لأنه أعمش وأحول، وهو أول من ضرب بالعود الفارسي، مات في خلافة هشام بن عبد الملك. المصدر نفسه،1:248.

(2) انظر: الأصفهاني – الأغاني، 1: 273.

(3) محمد عبد الرؤوف المناوي – التوقيف على مهمات التعاريف، 1: 705. لمزيد من التفصيل انظر: ابن الأثير – النهاية في غريب الحديث، 5: 80.

(4) عبد القادر البغدادي– خزانة الأدب، 3:398.

والخير ضد الشّرّ، ويقال خارَهُ على صاحبه خَيْراً وخِيَرة وخَيَّرة: فضَّله، والخَيرة من النساء الشريفة الحسب(1).

وقد وردت كلمة المُخايرة في منافرة أُنَيْس، وذكر أبو ذر «أن أخاه أُنَيْساً نافر رجلاً عن صَرمة(2) له وعن مثلها فخُيِّر أُنَيْس فأخذ الصرمة، معنى خُيِّر أي نُفِّر، قال ابن الأثير: أي فُضِّل وغُلِّب. ونافرتَه فنَفرتَه أيّ غلبته، وفاخرتَه ففخَرتَه بمعنى واحد، وناجبتَه فنجبتَه»(3).

يتضح من هذا النص أن ثمة مرادفات للمنافرة هي: المخايرة والمفاخرة والمناجبة، فقد ذكر أبو ذرّ لفظة نافر، ولكنه لم يقل نفِّر؛ بل قال خُيِّر، وهي تدل على تفضيل أنيس على من نافره، علاوة على أن هذه اللفظة تعني الخَيِّر أي شريف النسب والحسب كما مرّ بنا سابقاً. وهنا جعل ابن الأثير المنافرة والمفاخرة مترادفتين، ومعظم اللغويين يعدون المفاخرة والمنافرة من المترادفات، ولكن هناك فرق أساسي بين المفاخرة والمنافرة، إذ المنافرة تؤدي إلى تحكيم، وإلا ستظلّ مفاخرة، وسيأتي الحديث عن الفرق بينهما في موضعه من هذا التمهيد. وهناك مرادفات أخرى مثل ناجبتَهُ فنجبته، والنَّجِيب هو الكريم ذو الحسب، وانتجب فلان فلاناً إذا اختاره واصطفاه على غيره.

والمُشَايصة من مرادفات المنافرة، والشَيص والشَيصاء رديء التمر، وأشاص النخل إذا فسد. وجاء في نوادر الأعراب قولهم: «شَيَّص فلان الناس إذا عذبهم بالأذى، وبينهم مُشايصة أي منافرة»(4). ولا ريب أن في المنافرة أذى نفسياً واجتماعياً حيث يعرض الإنسان نفسه وقبيلته لمخاطرة التنافر، إضافة إلى الرهائن الذين يؤخذون من الأبناء وغيرهم ضماناً للوفاء بما اتفق عليه المتنافران وغير ذلك من الأذى. وترد لفظة المناداة مرادفة للمفاخرة والمنافرة؛ إذ يُقال: «فلان ينادي فلاناً أي يُفاخره، ومنه سُمِّيت دار

---

(1) ابن منظور – لسان العرب، 3: 256.

(2) الصَرمة: جزء من النخلة أو الشجرة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «صرم».

(3) المصدر نفسه، مادة «خير».

(4) ابن منظور – لسان العرب، مادة «شيص».

الندوة، وقيل للمنافرة مناداة، كما قيل لها المفاخرة، قال الأعشى:

فتىً لو يُنادي الشمسَ ألقتْ قِناعَها   أو القمرَ السَّاري لألقى القلائدَا[(1)]

أي لو فاخر الشمس لذلَّتْ له، وقناع الشمس حُسنها»[(2)].

ونقف عند مرادفات أخرى مثل التنابل، وهي مأخوذة من المادة اللغوية (نبل)، والنُّبل الذكاء والنجابة والإجادة في العمل. وقد نَبُل نُبْلاً ونَبالة وتَنَبَّل، وهو نَبِيل ونَبْل والأنثى نَبْلة، والجمع نِبال ونَبَل ونَبُلة، ونُبْلة كل شيء خِياره وأفضل ما فيه[(3)]. ويتفق في هذا المعنى مع المخايرة، «قال أبو زيد: تنابل فلان وفلان فَنَبَلَهُ فلان إذا تنافرا أيهما أنبل، من النُّبل، وأيهما أحذق عملاً. ونابلني فلان فَنَبَلْتُهُ أي كنتُ أجود نَبْلاً منه»[(4)].

كما وردت لفظة المماجدة مرادفة للمنافرة، وذلك في المنافرة التي كادت تقع في الحيرة بين حاتم الطائي وسعد بن حارثة بن لأم، وهو من أصهار النعمان بن المنذر، بسبب خلاف بينهما، حيث قالوا لحاتم: بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك[(5)]. والمجد في اللغة هو الشرف والسؤدد، وقيل المجد بالآباء خاصة، وماجده مجاداً أي عارضه بالمجد، وماجدتَهُ فمَجدتَهُ أي غلبْتَهُ بالمجد[(6)]. وهذا هو جوهر المنافرة الذي يقوم على التفاخر بالأنساب، ومن تحكيم كاد يحدث لولا حثّ النعمان بن المنذر سعد بن حارثة على الصلح، فلم يتم اللقاء في الحيرة. ومما يؤكد أن أساس هذه المماجدة هو المفاخرة بالأحساب قول حاتم الطائي لابن عمه «يا ابن عم، أعنّي على مخايلتي. قال: والمخايلة المفاخرة»[(7)]. والمفاخرة عند معظم اللغويين مرادفة للمنافرة على الرغم من وجود فروق

(1) ديوان الأعشى : طبعة دار الكتاب اللبناني ط1ص45.

(2) ابن منظور – مصدر سابق، مادة «ندى».

(3) المصدر نفسه، مادة «نبل».

(4) المصدر نفسه، المادة نفسها.

(5) الأصفهاني – الأغاني، 17:370.

(6) ابن منظور – لسان العرب، مادة «مجد».

(7) الأصفهاني– الأغاني،17:371.

بينهما، أما المخايلة فمأخوذة من مادة (خيل)، وخايلت فلاناً باريتَهُ وفعلت فعله، والتخايل التفاخر والتباري(1).

وترد لفظة الحسب صريحة مما لا يدع مجالاً للشك بمرادفة المماجدة للمنافرة، إذ ذهب حاتم الطائي إلى ابن عمه ليحثه على مساعدته في المنافرة قائلاً «خاطرتُ على حَسَبك وحَسَبي»(2)، إذاً فالمماجدة تفاخر في الأحساب والأنساب يقتضي تحكيماً، لذا فهي مرادفة للمنافرة.

ونلاحظ مما سبق أننا لانجد فروقاً واضحة بين هذه المترادفات خلا المفاخرة التي عدّت من مرادفات المنافرة عند معظم اللغويين. وهذه المترادفات تؤكد أن جوهر المنافرات هو التباهي بالأحساب والأنساب مثل المماجدة والتنابل والمخايرة، وتدلُّ أيضاً على التباري والتسابق بين طرفين لتفضيل أحدهما على الآخر من خلال الفصل والقضاء بينهما.

ب- تطور دلالة لفظة «المنافرات» بعد العصر الجاهلي:

يندر ورود لفظ المنافرات – بالمعنى الاصطلاحي – في نصوص التراث العربي بعد العصر الجاهلي، ومنه ما جاء في شعر حسان بن ثابت، وهو شاعر مخضرم، إذ وردت لفظة (نفر) ومشتقاتها في مواضع متفرقة من ديوانه، وسنتحدث عن ذلك في موقف الإسلام من المنافرات، وهناك منافرة جرت بين جَوَّاس بن قُطْبَة العُذْري وجميل بن عبدالله المعروف بجميل بثينة(3).

وأوردنا من قبل خبر تحاكم الغنيين مالك ومَعْبَد إلى ابن سُرَيْج، فقد استخدمت لفظة المنافرة استخداماً لغوياً لا اصطلاحياً، وهو المحاكمة والقضاء بين المتنازعين، ونسوق هنا جزءاً من الخبر: «فتلاحيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصوتين، فقال كل واحد منهما لصاحبه: أنا أجود صنعة منك، فتنافرا إلى ابن سُرَيْج فمضيا إليه بمكة، فقالا له: إنا خرجنا

(1) ابن منظور – مصدر سابق، مادة «خيل».

(2) الأصفهاني، مصدر سابق، 17: 371.

(3) المصدر نفسه،22: 151.

إليك من المدينة لتحكم بيننا في صوتين صنعناهما»(1). نجد أنه توافرت هنا أركان المنافرة من متنافرينِ، وحكم، وتفاخر، لكنه هنا تفاخر بجودة الغناء، وحسن اختيار الشعر المُغنى في حين كان التفاخر في المنافرات في العصر الجاهلي بالأنساب وبعراقة الأصول، وشرف المحتد.

وإن كانت المنافرة قد وردت بالمعنى اللغوي في العصر الأموي فإنها قد وردت في العصر العباسي بالمعنى الاصطلاحي، ونجد ذلك في شعر أبي تمام الذي استخدم كلمة «يستنفر» في قوله:

مُسْتَنْفِرٌ للمادحين كأنما آتيه يَمْدَحُهُ أتاه يُفاخِرِه(2)

فيعلق الصولي على هذا البيت قائلاً: «أي يدعو من يمدحه ليعطيه، ويستنفرهم لذلك كما يستنفر المفاخرة من فاخره إلى حكم بينهم، ويسمى ذلك المنافرة، ومنه نافر هاشم أمية، ونافر عامر بن الطفيل علقمة بن علاثة»(3).

ولقد انحصرت دلالة المُنَافَرَةِ بعد القرن الرابع الهجري في الدلالة على النفور والبعد النفسي، وما يؤديانِ إليه من مجادلة وخصام نتيجة لاختلاف الآراء. ونقف عند الخلاف المشهور الذي وقع بين ابن دريد ونِفْطَوَيْه، وقد عبّر السيوطي عن خلافهما بالمنافرة، حيث قال: «قال الأزهري: ممن ألف الكتب في زماننا فرُمي بافتعال العربية، وتوليد الألفاظ أبوبكر بن دريد، وقد سألت عنه إبراهيم بن محمد بن عَرَفة –يعني نفطويه– فلم يعبأ به، ولم يوثقه في روايته. قلتُ: معاذ الله! هو بريء مما رُمي به، ومن طالع الجمهرة رأى تحريه في روايته، وسأذكر منها في هذا الكتاب ما يُعرفُ منه ذلك، لا يقبل فيه طعن نفطويه؛ لأنه كان بينهما منافرة عظيمة، بحيث إن ابن دريد هجاه»(4). وهنا نرى أن الخلاف بين ابن دريد ونفطويه أدى بهما إلى المنافرة التي تعني الهجاء.

---

(1) المصدر نفسه، 1:273.

(2) ديوان أبي تمام، شرح الصولي: 550.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) السيوطي – المزهر في علوم اللغة، 1: 93.

ولعل اقتصار استخدام لفظة المنافرة على النُّفور والبعد النفسي هو ما أدى إلى ذكر المنافرة مع لفظة المُناقَرة، ونجد هذا جليّاً فيما حدث بين أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني وأبي الحسين بن محمد بن طراوة المالقي؛ إذ أفضت بهما المنافرة والمُناقرة إلى الهجاء(1).

ونورد هنا نصّاً آخر يؤكد تطور مفهوم المنافرة إلى الخصام والمجادلة، وهو قول ابن العماد في ترجمة أبي الحسن بن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس. «قال ابن الزبير ... ولازمه مدة ثم كانت بينهما منافرة ومقاطعة»(2)، والمُنَافَرَةِ تؤدي إلى الهجاء والمقاطعة في أحيان كثيرة.

ثالثاً: بين المنافرة والمصطلحات الأُخرى:

سنقف على أهم المصطلحات التي تشترك مع مصطلح المنافرة في جانب أو أكثر، وتختلف في جوانب أُخرى، وسنبدأ بذكر المادة اللغوية لكل مصطلح ودلالته، مع تحليل موقف يمثل هذا المصطلح، وتوضيح مايشترك فيه مع المنافرة، وبيان جوانب الاختلاف معها.

أ– بين المنافرة والمفاخرة:

نقف على المادة اللغوية لـ«فخر»، والفخر والفَخَار: التمدح بالخصال وعدّ القديم، وتفاخر القوم: فخر بعضهم على بعض، والتفاخر: التعاظم، وفاخرَهُ مُفاخرة وفِخاراً: عارضه بالفخر ففخره. وفخيرك: الذي يُفاخرك، والفَخير: المغلوب بالفخر(3).

---

(1) انظر: أبو طاهر السلفي – معجم السفر: 167. وهناك نص أورده ياقوت الحموي عند حديثه عن مدينة أَشِير . انظر: معجم البلدان، 1: 398.

(2) ابن العماد – شذرات الذهب،3:303.

(3) انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «فخر».

ولعل أشهر المفاخرات ما حدث بين وفد بني تميم والرسول ﷺ، وقد وردت هذه المفاخرة في أكثر من مصدر، وسنعتمد على صبح الأعشى؛ لأنه فرّق بين المفاخرات والمنافرات «فأما المفاخرات فمنها ما روي أنه لما وفد على رسول الله ﷺ وفد بني تميم سنة الوفود بعد فتح مكة، فيهم عُطارِد بن حاجِب بن زُرارَة بن عُدُس التميمي، وقَيْس بن عاصم، وقيْس بن الحارث، ونُعيم بن زيد، وعُتبة بن حِصْن بن حُذيفة ابن بدر، والأقرع بن حابس، في لفهم ولفيفهم، ودخلوا المسجد، ونادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته أن اخرج إلينا يا محمد جئناك لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا...»(1).

يتضح لنا من خلال النص السابق أن هناك فرقًا بين المُنَافَرَة والمفاخرة؛ فالمُنَافَرَة تحاكم بين رجلين لدى الحكَم، وأساسه كرم النسب مع مكارم الأخلاق الأُخرى مثل الشجاعة والكرم، في حين أن المفاخرة قد تكون بالنسب أو الشجاعة أو بغيرها من مكارم الأخلاق، وهو ما يتضح من قول القلقشندي: «واعلم أن المفاخرة قد تكون بالنسب أو الشجاعة أو الفصاحة واللَّسن مقام الحسب»(2).

ويؤكد ما ذهب إليه القلقشندي قول أبي تمام:

فمن شاء فليفخر بما شاء من نَدى ... فليس لحيّ غيرنا ذلك الفخرُ(3)

وما جرى بين الرسول ﷺ ووفد بني تميم هو مفاخرة لا منافرة؛ لأن كلمة المفاخرة قد وردت في النص «جئناك لنفاخرك»، ولأن الافتخار لم يركز الاهتمام فيه على النسب مثلما يحدث في المنافرات حيث ترد فيها كلمتا الحسب والنسب كثيراً، لكننا نكتفي بما جاء في منافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل «وجمع عامر بني مالك فقال: إنما

(1) القلقشندي – صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 1: 426 – 427 ، وانظر نموذجاً آخر للمفاخرات: الأصفهاني – الأغاني، 16: 186.
(2) القلقشندي – صبح الأعشى، 1: 435.
(3) ديوان أبي تمام، تحقيق عبده عزام، 4: 575.

تخاطرون عن أحسابكم»[1]، في حين يُهتم في المفاخرة بمكارم الأخلاق، أو أي صفة مميزة.

وهناك دليل آخر على أن ما جرى بين رسول الله ﷺ ووفد بني تميم كان من قبيل المفاخرة لا المنافرة هو قول حسان بن ثابت في هذه المناسبة:

ولَوْلا حَياءُ اللهِ قُلْنا تَكَرُّما — على النَّاسِ بالخَيْفَيْنِ هَلْ مِنْ مُنافِرِ[2]

فهذه المفاخرة لم تتحول إلى منافرة لأن الدين الإسلامي قد بدّل المفاهيم السائدة، ومن ثم تغيرت ثقافة المجتمع، علاوة على أن المنافرة تعارض ما دعا إليه الإسلام من أخلاق وقيم مما أدّى إلى اختفائها.

ويعلّق القلقشندي على هذه المفاخرة بقوله: «وهذه مكابرة ظاهرة، وتجاهل فاحش من بني تميم، حيث طلبوا المفاخرة مع الرسول ﷺ وكل العرب على اختلاف شعوبهم وتتابع قبائلهم معترفون لبني هاشم بالسَّبق في الشرف، والتقدم في الفضل، مع ما فضّل الله تعالى به رسول الله ﷺ وخصّه به مع رفيع الشرف الذي لم يبلغه نبي مرسل، ولا ملك مقرَّب»[3].

ولا نجد في المفاخرات تحكيماً مثلما يجري في المنافرات، والتحكيم هو ركن أساسي في المنافرة.

وهناك خبر آخر يورد مفاخرة جرت في منادمة العباس بن عبد المطلب وأبي سفيان ابن حرب على الشراب «فحمي أبو سفيان لما سمع من الشعر، وجعل يعددّ مآثر حرب ابن أمية، ومآثر نفسه، وتناقلا في المفاخرة إلى أن قال له العباس: نافرني إلى فتاك هذا فإنه نجيب يعني معاوية –رضي الله عنه– فقال أبوسفيان: قد فعلت هذا، وهند تسمع

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16:288.

(2) ديوان حسان بن ثابت: 108. بالخيفين:مفردها الخَيف: وهو ما ارتفع من الأرض عن مجرى السيل، ونسبت بعض الأخياف إلى القبائل، وخيْف بني كنانة هو المُحَصَّب. انظر: ياقوت الحموي – معجم البلدان، 2: 412 و 5: 62.

(3) القلقشندي – صبح الأعشى في صناعة الإنشا 1:429–430.

فاهتبلت الفرصة، وأنشأت تقول مخاطبة ابنها معاوية:

اقْضِ فَدتكَ نَفْسي ... لآلِ عَبْدِ شَمسِ

فَهُمْ سُراةُ الحُمْسِ ... عَلى قَديمِ الحَرْسِ

فقطع معاوية قولها، وقال:

صه يا بنةَ الأكَارِمْ ... فَعَبدُ شمس هاشمْ

هما برغم الراغمْ ... كانا كغَربي صَارمْ

فلما سمع العباس –رضي الله عنه– وأبو سفيان مقالة معاوية – رحمه الله– ابتدراه أيهما يتناوله قبل صاحبه، فتعاوراه ضَماً وتقبيلاً وتفديةً، وافترقا راضيين»(1).

و لا ريب أن المنافرة هي نوع خاص من المفاخرات، حيث يفتخر المتنافران بالأنساب خاصة، وتأتي الصفات والمكارم مؤكدة استحقاق السّبق لأحد الطرفين، في حين تكون المفاخرات في كل شيء مثل الشجاعة والكرم وغير ذلك من مكارم الأخلاق. ولابد في المنافرات من تحكيم حتى تخرج عن كونها مفاخرة، ويتضح ذلك من خلال النص السابق حيث تناقل أبو سفيان مع العباس بن عبد المطلب في المفاخرة، وطلب منافرة معاوية قائلاً: نافرني إلى فتاك، مما جعل هند بنت عتبة تبادر لقول الشعر مبتدئة بكلمة (اقضِ)، وهذا دليل واضح على أن المنافرة تخرج عن المفاخرة بالنسب وبالتحكيم؛ لكن معاوية قطع حديثها بالتسوية بينهما، وبتشبيههما بجانبي السيف الصارم، مما دفعهما للتسابق إلى تقبيله وضمه، تقديراً منهما لذكائه، وسرعة بديهته، وحرصه على العلاقات في القبيلة الواحدة، وإبعاداً لكل ما قد يعكر صفو هذه العلاقات؛ فكلمة نافرني استوجبت تحكيماً لولا تدخل معاوية بن سفيان.

ولا بأس من الإطالة هنا نظراً للتشابه بين المنافرة والمفاخرة، ففي أحيان كثيرة كانت

---

(1) ابن ظفر الصقلي – أنباء نجباء الأبناء: 64–65. الحُمْس : هم المتشددون في دينهم منهم قريش وخزاعة. لسان العرب، مادة «حمس»، غربي صارم: أي حدي السيف، لسان العرب، مادة «غرب». والحَرْس: أي الدهر، لسان العرب، مادة «حرس».

الأمور تبدأ بالمفاخرة ثم تتحول إلى منافرة حين يطلب الطرفان تحكيماً بينهما، وخير مثال على ذلك المنافرة النادرة التي أوردها المرزباني في ترجمة العَدْل بن عمرو ونصها: «فاخر مالك بن نُوَيْرَة اليَرْبُوعي في الجاهلية إلى الكاهن الباهلي، ففضّل العَدْل على مالك»(1)، ونلاحظ هنا كلمة فاخر مما يعني أنها بدأت مفاخرة، لكن اللجوء إلى الكاهن للتحكيم بينهما جعلها منافرة، وهنا استخدم المؤلف كلمتي «فاخر– فضّل» بدلاً من «نافر– نفّر»، وهذا دليل على أن المنافرة هي محاكمة في المفاخرة بالنسب والحسب.

ولا ريب في أن المنافرة تشترك مع المفاخرة في الفخر بالنسب خاصة؛ لذا فإن المفاخرة أعمّ من المنافرة، وفيها مشاركة للشعراء والخطباء، ففي مفاخرة وفد بني تميم مع الرسول ﷺ طلبوا الإذن لشاعرهم وخطيبهم في المشاركة، وكذلك خطب عن المسلمين ثابت بن قيس، وشارك حسان بن ثابت بشعره.

ولقد نهى الإسلام عن التفاخر لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨﴾(2)، وقوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٣٦﴾(3)، وبيّن هذا النهي حديث للرسول ﷺ إذ «ذكر الكبر عند النبي – ﷺ – فشدد فيه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، فقال رجل من القوم: والله يا رسول الله إني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها، ويعجبني شِراك نعلي وعِلاقة سوطي، فقال: ليس ذلك الكِبْر؛ إنما الكِبْر أن تسفه الحق وتَغْمِص النّاس»(4).

(1) المرزباني– معجم الشعراء: 671.

(2) سورة لقمان، آية 18.

(3) سورة النساء، آية 36.

(4) الطبراني – المعجم الكبير، 2: 60.

ولقد جاء هذا النهي لأن التفاضل في الإسلام أساسه التقوى والعمل الصالح وليس الأحساب والأنساب، وسيتضح ذلك أكثر في موقف الإسلام من المنافرات.

ب- بين المُنافرة والمُناقرة:

المناقرة مأخوذة من المادة اللغوية (نقر)؛ والنَّقر: ضرب الرَّحى والحجر وغيره بالمنقار، ونقره نقراً: ضربه. والنِّقر والنُقرة والنِّقير: النكتة في النواة كأن ذلك الموضع نُقِر منها. ونَقَر الرجل يَنقُره نَقْراً: عابه ووقع فيه(1).

وأما معنى المناقرة فهو «المنازعة. وقد ناقره: نازعه. والمناقرة: مراجعة الكلام، وبيني وبينه مُناقرة ونِقار وناقِرة ونِقْرة؛ أي كلام»(2). إذن المناقرة منازعة وخصام بين رجلين بسبب اختلاف الآراء، وقد تؤدي إلى الهجاء بينهما أحياناً. وهذا يؤكد ما قلناه سابقاً من أن معني لفظة المنافرة قد تطور إلى المناقرة بعد العصر الجاهلي، ولاعجب أن نجد كلمة المناقرة معطوفة على كلمة المنافرة كما في النص الآتي: «كان بين أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني وأبي الحسين بن محمد بن طراوة المالقي منافرة ومناقرة، ويهجو كل واحد منهما الآخر»(3).

ولعل وجه التشابه بينهما هو الحوار الذي يؤدي إلى الاختلاف بين المتحاورين، ويحسم هذا الاختلاف بين المتنافرين بالتحكيم، في حين يؤدي الاختلاف بين المتناقرين إلى الهجاء والمقاطعة أحياناً والاعتذار والمصالحة أحياناً أخرى. وعند تتبع ما جاء في المنافرات والمناقرات نجد أن المنافرات ارتبطت بمناقب المتنافرين ومآثرهم، أما المُناقرات فارتبطت بمثالب الرجال ومساوئهم.

---

(1) انظر: الزمخشري – أساس البلاغة،ص 651. وابن منظور – لسان العرب، مادة «نقر».

(2) ابن منظور – المصدر نفسه، مادة «نقر».

(3) أبو الطاهر السلفي – معجم السفر: 167.

ج–بين المنافرة والمعاقرة:

لفظة المعاقرة مأخوذة من المادة اللغوية (عقر)، والعُقْر: العقم، ويقال امرأة عاقر: أي لا تحمل، وعقر البعير عَقراً: نحره أي قطع إحدى قوائمه ثم نحره، وقد يذكر مرادفاً لها هو المُناحرة[1].

أما مصطلح المعاقرة فهو من «عاقر صاحبه: فاضله في عقر الإبل، كما يقال كارمه، وفاخره، وتعاقر الرجلان: عقر إبلهما يتباريان بذلك ليُرى أيهما أعقر لها»[2].

ولعل أشهر المعاقرات ما حدث بين سُحَيْم بن وَثِيل وغالب بن صَعْصَعَة والد الفرزدق؛ إذ يذكر «أن غالباً وسحيماً خرجا في رفقة... في خلافة عثمان فنحر غالبٌ ناقة وأطعم، فنحر سحيم ناقة، فقيل لغالب إنه يوائمك، فقال: بل هو كريم، ثم نحر غالب ناقتين فنحر سحيم ناقتين، ثم نحر غالب عشراً، فنحر سحيم عشراً، فقال غالب: الآن علمت أنه يوائمني، فسكت إلى أن وردت إبله، وكانت مئتين وقيل أربعمئة، فعقرها كلها، فلم يعقر سحيم شيئاً، ثم استدرك ذلك في خلافة علي فعقر بالكناسة مثلها، فقال: لا تأكلوها»[3].

نلاحظ مما سبق أن المعاقرة تبارٍ وتسابق في كثرة النحر، للدلالة على الكرم والسخاء والجود، ولعل ما يؤكد ذلك هو الترادف بين كلمتي عاقره وكارمه، وبهذا تلتقي المعاقرة مع المنافرة في التفاخر، وتختلفان في مجال التفاخر؛ فالأولى تفاخر بالكرم، والثانية تفاخر بالنسب والحسب.

وقد نهى الإسلام عن المعاقرة؛ لأن هذا الكرم والجود لا يقصد به مرضاة الله بل الرياء والسمعة، لذا فلا عقر في الإسلام، لنهي المصطفى ﷺ عنه، ومما يدل على ذلك قول ابن

---

(1) انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «عقر».

(2) المصدر نفسه، المادة نفسها.

(3) العسقلاني – الإصابة في تمييز الصحابة، 3: 207–208 .

عباس: «نهى رسول الله ﷺ عن معاقرة الأعراب»(1).

د- بين المنافرة والمُباهلة:

البَهْل في اللغة اللعن، والتَبَهّل العناء بالطلب، وأَبَهَل الناقة: تركها من الحلب، وبَهَله: لعنه، وتباهلا وابتهلا: التعنا. والمُبَاهَلَة: المُلاعنة، ومعنى المباهلة: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولون: لعنة الله على الظالم منا(2).

وتتشابه المباهلة مع المنافرة في الاختلاف بين شخصين أو أكثر؛ لكنها تختلف في وسيلة الفصل، فهنا يكون اللعن على الظالم والكاذب، أما في المنافرة فالتحكيم هو الفيصل بين المتنافرين. وهي مشروعة في الإسلام لمجادلة أهل الكتاب، ولابد أن يتمتع المُباهل بفصاحة اللسان، وقوة الحجة، وسرعة البديهة، والحكمة في معالجة الأمور، وجرت أكثر من مباهلة بين الرسول ﷺ مع النصارى والمشركين(3)، وقد وردت هذه اللفظة في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾(4).

وتشرع المباهلة للأزواج إن اتهم أحدهما الآخر بارتكاب الفاحشة، ولم يكن لديه شهداء، وذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَـٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٩﴾ ﴾(5).

---

(1) سنن أبي داود،3: 101.

(2) انظر: الزمخشري – أساس البلاغة: 55 ، ابن منظور – لسان العرب، مادة «بهل».

(3) انظر: تفسير القرطبي، 4 :4 ، تفسير ابن كثير،4 : 165، فتح الباري،8 : 95.

(4) سورة آل عمران، آية 61.

(5) سورة النور، الآيات من 6 – 9.

هـ- بين المنافرة والمساجلة:

المساجلة مأخوذة من المادة اللغوية (سجل)، والسَّجل:الدلو الضخمة المملوءة، وانسجل الماء انسجالاً: إذا انصب. والمساجلة: المغالبة أيهما يغلب صاحبه، بهذا تكون المساجلة بين طرفين يتنافسان ليتحدد الغالب منهما(1). ويوضح ابن منظور أصلها بقوله: «أن يستقي ساقيان، فيخرج كل واحد منهما في سَجله مثل ما يخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب، فضربته العرب مثلاً للمفاخرة فإذا قيل فلان يساجل فلاناً فمعناه أن يخرج من الشرف مثل ما يخرجه الآخر، فأيهما نكل فقد غلب، وتساجلوا أي تفاخروا» (2).

وبهذا تكون المساجلة مرادفة للمفاخرة، وهي تشترك مع المعاقرة في التباري بين شخصين في الجود والكرم أو غير ذلك، وتكون الغلبة للمُكثِر منهما، لكن المعاقرة تقتصر على نحر الإبل فحسب في حين يتسع المجال في المساجلة.

رابعاً: موقف الإسلام من المنافرات:

حين جاء الإسلام إلى الجزيرة العربية كان أكثر العرب قبائل متفرقة متناحرة، تثور بينها الحروب، فعمد إلى جمعهم على كلمة الحقّ، وعلى إحلال الألفة والمحبة محل الشحناء والتباغض، وعلى احتواء خلافاتهم جميعها وصهرها، لتحويل طاقاتهم الجسدية والذهنية لنصرة هذا الدين الجديد.

ومن أهم أسباب تأليف القلوب إبعاد أسباب التنازع والتخاصم، والمنافرات والمفاخرات، التي يتباهى فيها المتنافرون والمتفاخرون بأنسابهم وبأصولهم، لذا وضع الإسلام أساساً آخر للتفاضل بين الناس ألا وهو التقوى؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ

(1) انظر:ابن منظور – لسان العرب، مادة «سجل».

(2) المصدر نفسه، مادة «سجل».

خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

وأساس التقوى أساس عادل بمقدور كلِّ إنسان أن يحققه؛ لذا حين غدا المقياس غير مقياس الحسب والنسب تساوى بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي مع غيرهم من مسلمي قريش الصالحين.

ولقد نهى الرسول ﷺ عن جوهر المنافرة، وهو التفاخر بالحسب والنسب حين «كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: ما بال دعوى جاهلية؟! قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنها مُنْتِنَة»[2].

ومن المنطلق السابق شَعر حسان بن ثابت في المفاخرة التي دعا إليها وفد بني تميم مع الرسول ﷺ بالحرج والحياء من الله –سبحانه وتعالى - من تحويل هذه المفاخرة إلى المنافرة حيث يقول:

ولَوْلا حَياء الله قُلنا تَكَرُّماً … على الناس بالخَيْفَين هل من مُنافِرِ

فأحْياؤنا مِن خير مَنْ وَطِئ الثَّرى … وأَمْواتُنا من خَيْر أهْل المَقابِرِ[3]

ولا نجد في السيرة النبوية ولا كتب الحديث ما يشير إلى النهي عن المنافرة صراحة؛ ولكن هذا الدين الجديد قد شغل الناس عن كلّ شيء، ومن ذلك أنهم «ذكروا أن أول من أسلم من الأنصار أسعد بن زُرارة وذَكْوان بن عبد قيس، خرجا إلى مكة يتنافران إلى عُتبة بن ربيعة، فقال لهما: قد شغلنا هذا المُصلي عن كلّ شيء»[4]، ويقصد به الرسول ﷺ.

---

(1) سورة الحجرات، آية13.

(2) صحيح البخاري، 8: 826. رقم الحديث 4905، كسع: أي ضرب دبره بيده أو برجله، لسان العرب، مادة «كسع».

(3) ديوان حسان بن ثابت: 108 .

(4) ابن سعد – الطبقات الكبرى : 1: 218.

وورد أن الرسول ﷺ نهى عن المنافرة؛ فقد روى الأصفهاني عن علي بن شفيع أنه قال: «إني لواقفٌ بسوق حَجْر إذ برجل من هيئته وحاله عليه مُقَطَّعات خَزّ، وهو على نَجيب مَهْرِي عليه رَحْل لم أرَ قطّ أحسن منه، وهو يقول من يفاخرني، من ينافرني ببني عامر بن صَعْصَعْة فُرساناً وشعراء وعَدداً، وفعالاً؟ قلت: أنا. قال: بمن؟ قلت: ببني ثَعلبة ابن عُكابة بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل. فقال: أما بلغك أن رسول الله ﷺ نهى عن المنافرة؟ ثم ولّى هارباً. قلت: من هذا؟ قيل: عبد العزيز بن زُرارة بن جَزْء بن سُفيان الكِلابي»(1).

يعمد عبد العزيز بن زُرارة هنا إلى تهيئة أسباب المنافرة؛ فقد لبس أفخر ما لديه، من مقطعات الخز، ودار على مهره، بأجمل رحل لم يرَ راوي الخبر أجمل منه، رغبة في إثارة من حوله بلبسه، وبدورانه، وبتهييج من حوله بقوله «من يُفاخرني؟ من ينافرني ببني عامر بن صعصعة؟» ويحدد مجالات المنافرة بالفرسان، وبالشعراء، وبكثرة العدد، لكن حين يبرز منافره ويحدد بمن ينافره، يتساءل قائلاً: «أما بلغك أن رسول الله ﷺ نهى عن المنافرة؟» مما دفع بمنافره إلى الهرب خجلاً، ولعل ما دفعه إلى تحريض الآخرين على المنافرة هو رغبته في اختبار من حوله إن ظلّت فيهم بقايا من عادات الجاهلية، وحين تبرز يذكرهم بنهي المصطفى ﷺ عن المنافرة.

والإسلام – كما ذكرنا سابقاً – يحرص على أن تسود علاقات الأفراد الألفة والمحبة، لذا يدعو للإصلاح بين المتخاصمين، وأن لا تتجاوز مدة الهجر بين المتخاصمين ثلاث ليال، وأن خيرهم من يبدأ بالسلام تشجيعاً لهما، ورغبة في عودة الوصال بينهما، وفي حديث أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ

(1) الأصفهاني – الأغاني، 9 :109. لم يرد حديث عن النبي ﷺ في النهي عن المنافرة؛ ولكن وردت أحاديث تنهى عن التفاخر بالأنساب. مَهْرِيّ: الإبل المنسوبة إلى مَهْرة بن حَيْدان، وهو أبو قبيلة وحي عظيم. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «مهر».

بالسلام»(1). والإسلام يجيز الكذب في حالات معينة منها الإصلاح بين المتخاصمين، ومما يدل على ذلك الحديث النبوي الذي رواه مسلم قال: «حدثني حرملة بن يحيى، أخبرنا بن وهب، أخبرني يونس عن بن شهاب، أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف: أن أمه أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت من المهاجرات ... اللاتي بايعن النبي ﷺ، أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ، وهو يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمى خيراً، قال ابن شهاب و لم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب، إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها»(2).

ولاشك في أن أهم أسباب اختفاء المنافرة بعد الإسلام هو احتواؤها على المراهنة بين الطرفين، في حين أجاز الإسلام المراهنة من طرف واحد، وأسرد هنا بعض النصوص للدلالة على على أن في المنافرة مراهنة من الطرفين، قبل عرض الأحاديث التي تنهى عن المراهنة من الطرفين.

ومن ذلك ما روي عن منافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل أنه كان «مع كل واحد منهما ثلاثمئة بعير يُعطى الحاكم منها مئة، ويعقر مئة، ويأكل هو وأصحابه في الطريق مئة»(3). أي أن ما معهم يقسم ثلاثة أقسام؛ للحاكم قسم، وللنافر قسم، أما القسم الثالث فللأصحاب والمنافر ليأكلوا منها، مما يعني أن المنافرة تتم بالمراهنة من الطرفين، وقد حرّمها الإسلام.

و لم يقتصر الأمر على مئات من الإبل بل تجاوزه كثيراً؛ وذلك ما روي عن منافرة جرير بن عبدالله البَجلي، وخالد بن أرطاة بن خُشين بن شبث الكلبي «قال خالد بن أرطاة لجرير: ما نجعل؟ قال: الخَطر في يدك. قال: ألف ناقة حمراء في ألف ناقة حمراء، فقال جرير: ألف قينة عذراء في ألف قينة عذراء، وإن شئت فألف أوقية صفراء لألف

(1) صحيح البخاري، 10: 604، رقم الحديث 6077.

(2) صحيح مسلم، 4: 2011، رقم الحديث2605.

(3) أبو عبيدة – الديباج: 89 .

أوقية صفراء»(1). وإلى جانب المراهنة بين الطرفين نجد هنا المبالغة في النُّفورة التي قد تؤدي إلى إفقار أحد الطرفين، وتبديد أمواله، بدلاً من تسخيرها لخير الإنسان وأهله، بل تصل هذه المراهنة إلى أبعد من ذلك؛ مثل ما حدث بين أبي ربيعة بن المُغيرة وأَسِيد بن أبي العيص حيث «قال أَسِيد: إن نفّرتُك أخرجتك من مالك، وإن نفّرتني أخرجتني من مالي...، وخرجوا، وساقوا إبلاً ينحرها المُنفّر»(2). وهذا يعني أن المغلوب سيصبح فقيراً، وهذا ما لا يرضاه الإسلام، ولاسيما أن الإسلام لا يقرّ أسباب المنافرة، ولايعترف بها، لأنها تقوم على أساس غير عادل، من التفاخر بالأنساب والأحساب.

إن المنافرة مخاطرة بالأحساب والأنساب؛ فقد يقضي الحاكم على أحد المتنافرين، فيشعر هو وقبيلته بانتقاص قدرهم، ولاسيما أن المنافرات كانت تُقام في الأسواق والمواسم ومنها سوق عكاظ، أي بحضور عدد كبير من الناس من مختلف القبائل، مما يؤدي إلى شيوع خبر المنافرة، بل وتمتد إلى مدى طويل من الزمن، مثلما حدث لعلقمة بن عُلاثة رغم أن هَرِم بن قُطْبة ساوى بينه وبين عامر، لكن شِعر الأعشى الذي قاله في علقمة أثر في نفسيته ومكانته، ورويت رائية الأعشى في المنافرة في حضرة الرسول ﷺ فنهاهم عن روايتها كما جاء في النص التالي: «كان رسول الله ﷺ ربما حدّث أصحابه، وربما تركهم يتحدثون ويُصغي إليهم، ويبتسم، فبينا هم يوماً على ذلك يتذاكرون الشعر وأيام العرب، إذ سمع حسان بن ثابت ينشد هجاء أعشى بني قيس بن ثعلبة في عَلْقَمَة بن عُلاثة ومديحه لعامر بن الطفيل:

عَلْقَم لا لَسْت إلى عَامِرِ النَّاقِض الأوتَار والوَاتِرِ

سُـدْت بَـنـي الأَحْـوَص لَـمْ تَـعْـدُهُـمْ وَعَـامِـر سَاد بَني عَامِرِ

سَاد وأَلْفَى قَوْمَه سَادَةً وَكَابِرا سَادُوك عَن كَابِرِ(3)

فقال رسول الله ﷺ : كفّ عن ذكره يا حسان؛ فإن أبا سفيان لما شعّث مني عند هرقل

---

(1) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: 108.

(2) محمد بن حبيب – المنمق: 115.

(3) ديوان الأعشى: 177 .

ردّ عليه علقمة، فقال حسان بن ثابت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، من نالتك يده فقد وجب علينا شكره»[1].

وهكذا نجد أن الرسول ﷺ قد نهى حسان بن ثابت عن رواية ما قيل في علقمة بن عُلاثة في منافرته مع عامر بن الطُفيل، بسبب ردّه على ما قيل في مجلس هرقل عن الرسول ﷺ ، مما دفع المصطفى إلى ردّ هذا المعروف بالنهي عن رواية ما قيل في علقمة.

إذاً المنافرة مخاطرة بالحسب والنسب، ونتيجتها غير مضمونة دائماً، لذلك يجهد كلا المتنافرين في حشد كل الوسائل لإحراز الغلبة، وهذا ما فعله عامر بن الطفيل إذ جمع قومه وقال لهم: «إنما تخاطرون عن أحسابكم... يا بني مالك؛ إنها لمقارعة عن أحسابكم، فاشخصوا بمثل ما شخصوا به، ففعلوا»[2]. إن المتنافر يذكّر قومه دائماً بهذه المخاطرة، من أجل جمع كل ما تحتاج إليه المنافرات من جَزُور وإبل وغير ذلك مما تحتاج إليه المنافرات.

ويخاطر المنافر بأمن أسرته وقبيلته مما يعرضها للتزعزع وعدم الاستقرار، ويثير الشحناء والبغضاء بين القبائل أو في القبيلة نفسها؛ لأن المنافرات تقتضي وجود رهائن من الأبناء والرجال، وقد تؤدي إلى الحرب مثلما حدث في داحس والغبراء، ولن نستفيض هنا في هذا الخبر لأن له موضعه في البحث.

ولاشك في أن الأسباب السابقة كفيلة بأن تجعل الإسلام ينهى عن المنافرات؛ لحرصه على توفير الاستقرار بكل جوانبه النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16: 295. شعث: أي انتقص من أمره، انظر: ابن منظور– لسان العرب، مادة «شعث».

(2) المصدر نفسه، 16: 288.

خامساً – المنافرات عند القدماء والمحدثين:

أ– كتب المنافرات:

حظيت المنافرات باهتمام الإخباريين والنسابين وبعض علماء اللغة، فأفردت لها كتب كثيرة؛ ومن أهم من كتب في المنافرات:

*** خالد بن طليق (ت نحو 169 هـ):**

هو ابن محمد بن عمران بن حصين الخزاعي، ولاه المهدي قضاء البصرة، ومن كتبه: كتاب المآثر، كتاب المتزوجات، كتاب البرهان، كتاب المنافرات(1).

*** ابن الكلبي (ت 204 هـ):**

هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر، عالم بالنسب وأخبار العرب وأيامها، ومثالبها، ووقائعها. وله كتب منها: كتاب الأحلاف، وكتاب بيوتات قريش، كتاب المعاتبات، كتاب المناقلات، كتاب حكام العرب، كتاب المنافرات(2).

*** أبو عبيدة مَعمر بن المثنى التيمي (ت 209 هـ):**

وهو من تيم قريش، ومولى لهم، وقيل إن أباه كان يهودياً، وقد اهتم بالأخبار والأنساب، ومن أهم مصنفاته: معاني القرآن، مجاز القرآن، كتاب الديباج، كتاب الحيوان، كتاب الأمثال، كتاب القبائل، كتاب المنافرات وغيرها من الكتب(3).

***علان الشعوبي (ت نحو 218 هـ):**

وهو فارسي، وكان راوية عرّافاً بالأنساب والمثالب والمنافرات، وكان ينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة، وله كتب منها: كتاب مثالب القبائل، كتاب فضائل كنانة، كتاب نسب تغلب بن وائل، وكتاب المنافرة(4).

---

(1) ابن النديم – الفهرست: 151.

(2) المصدر نفسه: 152.

(3) انظر: المصدر نفسه: 84.

(4) المصدر نفسه: 170.

***علي بن محمد المدائني (ت 225 هـ):**

هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالله المدائني، مولى شمس بن عبد مناف، وله كتب كثيرة منها كتبه في أخبار النبي ﷺ، وأخبار قريش، وكتب في أخبار مناكح الأشراف وأخبار النساء، وفي أخبار الخلفاء، وفي كتب الفتوح، وكتاب المنافرات، وغيرها(1).

*** أبو الحسن النَّسابة (ت 400 هـ):**

وهو محمد بن القاسم التميمي، من أهل البصرة، وله مجموعة من المؤلفات منها: كتاب الأنساب والأخبار، كتاب أخبار الفرس وأنسابها، كتاب المنافرات(2).

هذا إلى جانب الكتب التي تناولت المنافرات في باب من أبوابها، ولاشك في أن هذا دليل على أهمية المنافرات في العصر الجاهلي، ومشاركة الشعراء والخطباء فيها، ولكن هذه الكتب ضاعت، و لم تصلنا المنافرات مجموعة إلا في كتاب المنمق في أخبار قريش لمحمد بن حبيب، وقد اقتصرت على منافرات قريش كما يتضح ذلك من عنوانه، وقد أفرد لها جانباً من كتابه.

ب- الاتجاهات العامة في دراسة المنافرات في العصر الحديث:

لم تحظ المنافرات بنصيب كبير من اهتمام الدارسين المحدثين، ويعود ذلك إلى ضياع كتب المنافرات، وتناثر النصوص بين كتب الأدب والتاريخ والتراجم، ومن تناول المنافرات اقتصر غالباً على منافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطفيل معتمداً على ما جاء في كتاب الأغاني.

ويمكن تقسيم الاتجاهات العامة في دراسة المنافرات عند الباحثين المحدثين إلى ثلاثة اتجاهات، هي:

1- اتجاه عدها فناً من فنون النثر الجاهلي.

---

(1) ابن النديم – الفهرست: 167.

(2) المصدر نفسه: 183.

2– اتجاه عدها فناً نثرياً تطور عنه غرض الهجاء.

3– اتجاه عدها فناً نثرياً تطور عنه فن النقائض.

وسأعرض فيما يأتي الكتب التي تناولت المنافرات من خلال التقسيم السابق، متناولة كيفية معالجة الموضوع مع التعليق على ذلك بما يلزم.

1– الاتجاه الأول: المنافرة فن من فنون النثر الجاهلي:

اهتم بعض مؤلفي الكتب بدراسة المنافرات بوصفها فناً نثرياً مستقلاً نشأ في العصر الجاهلي، وتوقفوا عند تعريف المنافرة، والفرق بينها وبين المفاخرة وما اشتملت عليه، والنصوص التي اعتمدوا عليها عند دراسة المنافرات، وقد تباينت هذه الكتب في طريقة معالجتها؛ فهناك من اهتم بالتحليل فيما اكتفى بعضهم بالنقل الحرفي من المصادر.

ونقف عند تعريف المنافرات لدى المحدثين حيث عرّفها محمد هاشم عطية من خلال فهمه لها بأنها «من النثر المأثور عن أهل هذا العصر، ما كان يقع أولاً على جهة المحاورة بين رجلين، ثم يتورط أحدهما أو كلاهما فينزع بهما الجدل إلى المنافرة، وهي التحاكم إلى الأشراف من حكام العرب، ليفصلوا بينهما، ويقضي الحاكم لأحدهما، أو يسوي بينهما»(1).

فالمؤلف يرى أن المنافرة هي محاورة أساسها الجدل حول أيهما أفضل في النسب، مما يؤدي بهما إلى التحاكم للفصل بينهما. ويتفق معه في ذلك الباحث محمد عبد المنعم خفاجي حيث جعل المنافرة نوعاً من المحاورات؛ «والمحاورة: هي التحاور والتراجع في الكلام والحديث، وهي من ضرورات المجتمع والحياة. والعرب كثيرو المحاورة لكثرة خصوماتهم ومفاخراتهم، وتنازعهم على الشرف وسواه».

وتشمل المحاورات: المنافرة والمفاخرة، وسواهما من المحاورة العامة.

– فالمنافرة: المحاكمة في المفاخرة، وأصلها من قولهم: أينا أعز نفراً، فهي التحاكم إلى الأشراف من حكام العرب؛ ليفصلوا بينهما، ويقضوا بالشرف لأحدهما.

---

(1) محمد هاشم عطية – الأدب العربي وتاريخه: 79.

– المفاخرة: مصدر فاخر، وهي تفاخر القوم بعضهم على بعض، وكانوا يفاخرون بالحسب والشرف، والأخلاق الكريمة، والعز، والثروة، والكثرة، والعدد.

– والمحاورة العامة في شؤون الحياة مما لا يتصل بمفاخرة أو بمنافرة ، وهي كثيرة كثرة مطالب الحياة وشؤونها، ودواعي اتصال الإنسان بسواه من المجتمع»(1).

يرى المؤلف أن المحاورة هنا تأخذ شكلاً وقالباً فنياً للمنافرة والمفاخرة. ولقد اهتم بعض الباحثين بالتفريق بين المنافرة والمفاخرة كما رأينا في النص السابق، وهناك من يعدّ المنافرات نوعاً من المفاخرات؛ لكن المتنافرين يلجأان إلى الحكم للفصل بينهما (2)، وهذا ما نذهب إليه، وإلى عد المنافرة نوعاً خاصاً من المفاخرات يركز على النسب والحسب مما يؤدي بالمتنافرين إلى التقاضي.

ونلاحظ أن أكثر من كتب عن المنافرات اهتم بنقل منافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطفيل ومنافرة خزاعة وقريش، وبعضهم أهمل ذكر مصادره، في حين اكتفى أكثر الباحثين بالنقل دون التحليل، خلا كتاب أدب ما قبل الإسلام للباحث محمد عثمان علي، فقد قدّم تعريفاً مُطولاً للمنافرة، وما يحدث خلالها من جدل ومشاركة الشعراء والخطباء، وما تستلزمه من فصاحة وحكمه، وقدرة على تفنيد الخصوم.

قدم المؤلف تلخيصاً لمنافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطفيل قبل أن ينقل بعض الأجزاء منها من المصادر، ثم ركز اهتمامه على ما اشتملت عليه المنافرة من التفاخر بالصفات مثل كرم الحسب، وثبات النسب، وطول القصب، وغيرهما مما ذُكِر في نص الأغاني.

وتناول المؤلف أسلوب المنافرة مثل السجع والمطابقة، والخلو من الصور الفنية عموماً، والميل إلى ذكر الحقائق المجردة وتصوير الواقع، والميل إلى الفِقر القصيرة.

ومن الكتب القليلة التي اهتمت بتحليل المنافرة من خلال منافرة علقمة وعامر كتاب للباحث حمد الزايدي بعنوان «منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن عُلاثة العامريين

---

(1) محمد عبد المنعم خفاجي – الحياة الأدبية في العصر الجاهلي: 186.

(2) انظر: محمد حسن درويش – تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام: 82.

وأثرها في الشعر الجاهلي»، ويعد – على الرغم من صغر حجمه – من أوسع ما كُتِب عن المنافرات، إذ لم يتجاوز صفحات معدودة عند معظم من كتب فيها.

بدأ المؤلف بتعريف المنافرة، ثم ذكر اشتقاقها ومعناها، فرأى أنها ضرب من الخصومة الجاهلية، ومن أهم أسبابها التنازع في الشرف والرئاسة، وما يحدث خلالها من تحكيم ومن رهان، وما يجري فيها من نحر للإبل وإطعام للناس. ويقف المؤلف عند أهمية منافرة علقمة وعامر، وأسبابها، وقد ترجم للمتنافرين، مركزاً اهتمامه على ما قيل في هذه المنافرة من شعر ورجز، فدرس شعر الأعشى والحطيئة ولبيد بن ربيعة، و لم يركز على ما جاء في الشعر من عناصر المنافرة وما يحدث فيها، وستكون لنا وقفة معه في أثناء حديثنا عن الشعر في المنافرات.

2- الاتجاه الثاني: المنافرة فن نثري تطور عنه غرض الهجاء:

سأتناول هنا كتابين أولهما «الهجاء والهجاؤون» لمحمد محمد حسين الذي عنون فصله الأول بـ(أقدم صور الهجاء)، ويقصد به المنافرات، إذ إنه يعرّفها ويبين أنواعها، وما يجري فيها من التحكيم والرهان والنحر، ومكانها، وأثر الشعراء والخطباء في إذكاء روح المنافسة، لذا يعدها خليطاً من الشعر والنثر.

ويوضح الأسباب التي تدفعه إلى القول بأن المنافرة أقدم صور الهجاء «فالمنافرة هي الصورة البدائية الساذجة لفن الهجاء، والجانب الهجائي فيها يعتمد على المثالب الشخصية، ويدور حول الفرد، ولكنه لا يرتفع إلى الحياة في أفقها الواسع، ودائرتها الكبيرة. وقد اعتبرناها صورة بدائية ساذجة، لأنها لا تسمو من ناحيتها الأدبية إلى الخلق والابتكار، ولكنها تعتمد على تقرير الواقع، وصياغته في عبارة منمقة، فهي هجاء شخصي في أحط صوره وأدنى درجاته»(1).

---

(1) محمد محمد حسين – الهجاء والهجاؤون: 104-105.

ويسوّغ الباحث سبب جعل المنافرات صورة بدائية للهجاء لكونها تعتمد على المثالب الشخصية، ولكنه يغفل هنا أنها لا تحتوي على الهجاء فحسب؛ فهناك الفخر الشخصي، فلماذا لا نجعل الفخر –أيضاً– تطوراً عن المنافرات؟

أما الكتاب الآخر فهو «فن الهجاء وتطوره عند العرب» لإيليا حاوي، ويذكر المنافرات ضمن بواعث الهجاء في العصر الجاهلي، ومنها:

*النزاع بين الفرد وقبيلته والمجتمع.

* النزاع بين الفرد والدولة.

* النزاع بين القبائل.

* «المنافرات بين الأفراد: وقد تنشأ مفاخرات ومنافرات بين الأفراد في التسامي بالأصل والسؤدد وما إلى ذلك. وقد تكون هذه المنافرات المرحلة الأولى من مراحل الهجاء»(1).

يرى المؤلف أن سبب المنافرة والمفاخرة هو التسامي بالأصل والسؤود، لكن المفاخرة تختلف عن المنافرة، وقد ذكرت ذلك سابقاً. ويرجح أن تكون المنافرات أُولى مراحل الهجاء، وأنها تتمثل في خطب الإصلاح؛ لأن حكام العرب –غالباً– حرصوا على درء الشر بين القبائل خوفاً من انبعاث الحروب بينهم، لذا عمدوا إلى الإصلاح بين المتنافرين.

ولاشك في أن غرض الهجاء كان قائماً إلى جوار المنافرات التي يمكن وصفها بعادة من عادات الجاهلية، وظاهرة اجتماعية وأدبية. وكانت تُقام في الأسواق فيشهدها الناس، ولعلّ ما يجعلها أدبية هو مشاركة الشعراء والخطباء فيها، وما جاء فيها من سجع على ألسنة الكهان.

وأما ما نذهب إليه فهو أن المنافرات فن مستقل له أصوله، شارك فيه الشعراء والخطباء والكهان، وقد توقف هذا الفن بعد انتشار الإسلام. وللمنافرات أسباب تختلف أحياناً عن أسباب الهجاء منها العصبية القبلية، والتنازع على الرئاسة في القبيلة الواحدة، ورفض

(1) إيليا حاوي – فن الهجاء وتطوره عند العرب: 62.

وقوع الظلم على الآخرين، وأسباب أُخرى كثيرة .

والحكم على المنافرات بأنها ساذجة وبدائية وتفتقر إلى الخلق والابتكار حكم قاس ومتسرع، وقد ينطبق هذا على بعض المنافرات، والتعميم لا يجوز نظراً لضياع كتب المنافرات، وتناثر النصوص بين كتب الأدب والتاريخ والتراجم.

3- الاتجاه الثالث: المنافرة فن تطور عنه فن النقائض:

إن كان إيليا حاوي يرى أن المنافرات هي أصل للهجاء؛ فإن أحمد الشايب في كتابه تاريخ النقائض في الشعر العربي يرى أن فن النقائض تطور عن المنافرات، و لم يفصل القول في ذلك. ولعل عبد المجيد عبد السلام المحتسب في كتابه «نقائض جرير والفرزدق» كان أكثر تأكيداً لفكرة تطور النقائض عن المنافرات؛ إذ يرى أن المنافرة هي الصورة البدائية الساذجة للمناقضات. ويعلّق على نص منافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطُّفيل قائلاً: «والذي يدقق ويمعن النظر في حوار المتنافرين النثري، وفي الأبيات الشعرية التي قيلت حول هذه المنافرة؛ يرى الحوار الساذج البسيط الذي يعد صورة للنقيضة في طورها الجاهلي الأول، ونستطيع القول: إن النقيضة الجاهلية نشأت في صورتها الساذجة نثراً عادياً، وقامت على نقض المعاني أولاً وقبل كل شيء دون التزام الجانب الموسيقي الذي يتمثل في وحدة القافية والبحر والروي»(1).

وبهذا يرى المؤلف أن وجه التشابه بين المنافرة والنقائض هو نقض المعاني؛ فكلا المتنافرين يثبت الصفات الإيجابية لنفسه والسلبية لمنافره، وأنه اقتصر على النثر وبعض الأبيات الشعرية، في حين تطور فن النقائض. والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا يحرص الباحثون على إيجاد جذور للنقائض في المنافرات؟ رغم وجود فن النقائض في العصر الجاهلي في قصائد بعض الشعراء الجاهليين، ورغم اختلاف عناصر المنافرة عن النقائض؛ إذ إنها تحتوي على عناصر مثل الرهان والتحكيم، ومشاركة الشعراء والخطباء في المنافرات.

---

(1) عبد المجيد المحتسب – نقائض جرير والأخطل: 36 –37.

مما سبق نستطيع أن نقول إن المنافرات فن نثري وشعري مستقل نشأ في العصر الجاهلي، ولا نجد مسوغاً للقول بتطور فنون أخرى أو أغراض عنه، وإن كان فن النقائض أقرب إليه من غرض الهجاء؛ لكن المنافرات تميزت بخصائص وعناصر خاصة بها، وإن اشتركت مع بعض المصطلحات الأخرى في جوانب، لكنها اختلفت أيضاً عنها في جوانب أخرى.

الفصل الأول:
المنافرة: أسبابها وعناصرها ومقوماتها

أولاً: عوامل المُنافَرَة وأسبابها:

كانت المُنافَرَة وسيلة للفصل بين المتخاصمين، ولاسيما بين المتنازعين حول أيهما أثبت نسبًا وأفضل شرفاً، وللمُنافَرَة عوامل مهدت لنشوء أسبابها بين الأفراد والقبائل؛ ولأن هذه العوامل مهمة عند النظر في أسباب المُنافَرات يتعين علينا الوقوف عليها قبل أن نعرض أسباب وجودها.

أ-عوامل المُنافَرَة:

للمُنافَرَة عوامل اقتصادية واجتماعية؛ أما العوامل الاقتصادية فمرتبطة بحالة العرب الاقتصادية، ويمكن الحديث عن نمط حياتهم ومعيشتهم من خلال تقسيم العرب في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام إلى أهل الوبر؛ وهم الأعراب الذين لم ينعموا بالحياة المستقرة، بل تنقلوا من مكان إلى آخر متتبعين أماكن الماء والكلأ. ويرى أحمد الشايب أن هذا الفقر الحسيّ أدّى إلى غنى نفسي من حبّ للحرية، ومن رفض للذل وخضوع للآخرين؛ لذا لا يرضى العربيّ إلا بحكم القبيلة وقوانينها، ولاشك في أن أهم وشائج القبيلة وروحها هو النسب(1).

يقول أحمد الشايب عن حالة أهل الوبر الاقتصادية وظروف معيشتهم «يرقب الأعراب مساقط الغيث، فيهرعون إليها أينما كانت لعلّهم ظافرون منها بمراعٍ وقتية للإبل والشاة، التي يكتسون من أصوافها وأوبارها، ويطعمون بألبانها ولحومها، ثم يركبونها في عُرْض البادية في سبيل مرعى آخر يعتركون حوله. وأما إذا أخلف المطر أو قلّ الغيث فالجَدْب المهلك، والبلاء الشامل...»(2).

هذه حال الأعراب في الصحراء والبوادي؛ أما أهل المدر – وهم من يعيشون في الحواضر والمدن – فقد عرفوا الحياة الآمنة المستقرة، ومنهم من عمل في التجارة مثل بعض سكان مكة ويثرب، حيث كانت القوافل تنطلق إلى الشام صيفاً، وإلى اليمن شتاء

(1) انظر: أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي: 36.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وإلى الحيرة، وهذه الظروف الاقتصادية أثّرت في الحياة الاجتماعية، مما أدّى إلى تقسيم الناس إلى طبقات، فهناك الأثرياء ومتوسطو الدخل والفقراء. فالوضع الاقتصادي لم يحل دون التنافر، وقد تكون النُّفورة فوق طاقة الفرد فيلجأ إلى القبيلة، وإن بدت النُّفورة عن الفرد فإنها تمس القبيلة، وتتصل بشرفها؛ لذا تقف القبيلة لتساند الفرد في المنافرة مادياً بمساعدته في الوفاء بالنُّفورة، ومعنوياً بحضورها معه ومساندته.

جعلت الظروف الاقتصادية القاسية أحياناً المتنافرين يفضلون أن تكون النُّفورة من الإبل غالباً، مما يعني أن النافر المنتصر سيضمن ثروة إن تقدم للمنافرة، وهو واثق من فوزه. وعند تأمل أحوال المتنافرين في المُنافَرات التي وصلتنا نستطيع أن نقول إن المُنافَرات – عامة – جرت بين الأثرياء والأشراف، وكذلك بين الفقراء؛ وذلك لأن تراجم المتنافرين لا توضح أحوالهم المادية، إلى جانب أن المتنافر يطلب مساعدة القبيلة في الوفاء بالنُّفُورَة. والأوضاع الاقتصادية كان لها بعض الأثر في المنافرات فيما يبدو؛ فالأثرياء والأشراف ومن يملكون الأموال هم أجرأ على المنافرة وأكثر استعداداً لها، لأنهم قادرون على تحمل تبعاتها، أما الفقراء فربما كانت تجري بينهم منافرات تكون فيها النُّفورة مناسبة لأوضاعهم الاقتصادية.

وأما العوامل الاجتماعية فأهمها اهتمام العرب بالنسب؛ إذ كان له أثره الواضح في تهيئة الظروف لنشوء المُنافَرات وكثرتها في المجتمع الجاهلي؛ فالنسب هو عمود القبيلة، وكلّ أفراد القبيلة تربطهم صلات قربى، وينتمون لأصل واحد منه يتفرعون. والانتماء إلى القبيلة يدفع أفرادها إلى التجمع لدرء المخاطر المحدقة بها، ولمحاربة أعدائها.

وبلغ اهتمام العرب بالنسب شأناً كبيراً تجاوز الاهتمام فيه نسب الأفراد إلى الاهتمام بنسب الخيل(1)، ولم يقتصر اهتمامهم على معرفة أنساب الخيل فحسب، بل هناك أنساب للمصايد والمطارد(2).

---

(1) الجاحظ – البيان والتبيين ،1:305. حظيت الخيل باهتمام العرب فألفوا في أنسابها؛ مثل كتاب الخيل للأصمعي وأسماء الخيل لابن الأعرابي، انظر: ابن النديم – الفهرست: 87 و 109.

(2) انظر: القلقشندي – صبح الأعشى ، 2:47.

والنسب – عمود القبيلة، وسبب تجمعهم ووحدتهم – كفيل بتحقيق كثير من المصالح والمنافع للقبيلة، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: «تعلّموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم، فتصلوا بها أرحامكم». وقيل لو لم يكن من معرفة الأنساب إلا اعتزازها من صَوْلَةِ الأعداء وتنازع الأَكْفَاء؛ لكان تعلّمها من أحزم الرأي وأفضل الثواب(1). إذن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - يرى أن معرفة النسب مدعاة لصلة الرحم، وللفصل بين أبناء القبيلة الأكفاء إن تنازعوا على الرئاسة والشرف.

إن النسب الواحد يجمع أبناء القبيلة، ويحقق لهم مصالح ومنافع، وفي هذا يقول ابن خلدون: «ولايَصْدُق دفاعهم وذيادهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد؛ لأنهم بذلك تشتد شوكتهم، ويُخشى جانبهم، إذ نُعرة كلٍّ واحد على نسبه وعصبيته أهم، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والنُّعرة على ذوي أرحامهم وقربائهم موجودة في الطبائع البشرية، وبها يكون التعاضد والتناصر، وتعظم رهبة العدو لهم»(2).

ويفصل أحمد الشايب في أهمية معرفة الأنساب عند العرب فيقول: «العناية بالأنساب أصولها وسلاسلها ظاهرة بدوية قديمة تحرص عليها الجماعات الأولى لتكوين العصبيات القبلية أو الجنسية احتفاظاً بالقُربى، وتوفيراً للوحدة والمعاونة، وعرفاناً لمواطن الثارات، ونفياً للغريب، وتنظيماً لمسائل الإرث والزواج، ودفعاً لعدوان المنافس والمغالب لتعيش القبيلة عزيزة الجانب، آمنة مذلة الجيران والعادين، متعاطفة الآباء والأبناء، وهي تعرف بعد ذلك مفاخرها، وأيامها، فيسجلها شعراؤها، ويناقضون بها خصومهم من شعراء القبائل الأخرى»(3). بهذا تحفظ معرفة الأنساب حقوق الأفراد والقبيلة، وتعزز مكانتها بين القبائل بوحدتها في وجه المخاطر المحدقة بها، وتحقق لها العزة والكرامة، وتنظم أمور القبيلة أيضاً، ويحرص الأهل والأقارب على صلة الرحم؛ هذه هي أهم أسباب حرص العربي على معرفة نسبه والانتماء إلى قبيلته.

---

(1) الأبشيهي – المستطرف من كل فن مستظرف، 2: 163.

(2) ابن خلدون– المقدمة: 224.

(3) أحمد الشايب – تاريخ النقائض في الشعر العربي: 54.

ظلّت الأنساب تُروى مشافهة إلى أن أمر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بتسجيل الأنساب عندما فرض العطاء، وقد فصّل جواد علي الحديث في هذه القضية فلا نرى حاجة للحديث عنها هنا(1). واخْتُص بعض الرجال في الجاهلية والإسلام بالأنساب حتى اشتهروا بهذا العلم، فيرجع إليهم عند الاختلاف في الأنساب، وأطلق عليهم لقب النُّساب، ولعلّ من أبرز هؤلاء النُّساب أربعة حتى قيل: «النُّساب أربعة: دَغْفَل بن حَنْظلة(2)، وعُمَيرة أبو ضَمْضَم(3)، وصُبْح الحَنفي(4)، وابن الكيِّس النَّمَري(5)، قال الأصمعي: دَغْفَل بن حَنْظلة النَّسابة البكري، وكان نصرانيّاً و لم يُسَمِّه»(6)، هؤلاء هم أشهر النُّساب عند العرب، ولكلّ قبيلة نُسابها، ومن هؤلاء نُساب قريش «أربعة من قريش كانوا رواة الناس للأشعار وعلماءهم بالأنساب والأخبار: مَخْرَمَة بن نَوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زُهْرَة، وأبو الجَهْم بن حُذَيفة بن غانم بن عامر بن عبدالله بن عوف(7)، وحُوَيطب بن عبد العُزَّى، وعَقِيل بن أبي طالب(8)، وكان عَقِيل أكثرهم ذكراً لمثالب الناس فعادوه لذلك، وقالوا فيه، وحمّقوه»(9).

---

(1) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، 1:466 وما بعدها.

(2) هو دَغْفَل بن حَنْظَلَة من بني شيبان بن ثَعْلَبَة بن عُكابَة، أعلم أهل زمانه بالنّسب، ويضرب به المثل في معرفة علم النسب، فيقال: أنسب من دغفل. لقي النبي ﷺ ولا يعرف إن أسلم أم لم يسلم. انظر: ابن دريد– الاشتقاق: 351؛ الميداني– مجمع الأمثال، 2: 396.

(3) لم نعثر على ترجمة له.

(4) لم نعثر على ترجمة له.

(5) هو زيد بن الكَيِّس من بني النَّمر بن قاسِط ، وهو أعلم النّاس بالنسب. انظر : ابن دريد– مصدر سابق: 334.

(6) الجاحظ – البيان والتبيين،1:161.

(7) هو من بني عَدِيّ بن كَعْب، وهو أعلم النّاس بأنساب قريش، كان يُخاف منه للسانه. انظر: ابن دريد– مصدر سابق: 139.

(8) وهو أحد حكّام قريش، تعلّم الأنساب من الأحنف بن قيس، حكم في المنافرات والمخاصمات، وكرهه النّاس لأسلوبه في التنفير لذكره المساوئ لكلا المتنافرين. انظر: محمد بن حبيب– المنمق: 484.

(9) المصدر نفسه، 1 : 373.

مما سبق نجد أن النُّساب كانوا يتميزون برواية الشِّعر وحفظ الأخبار والأيام، ولا ريب في أن هذه المعارف كانت تعينهم على معرفة الأنساب، وتدعيم هذه المعرفة بأدلة عند الحاجة إلى ذلك.

ب–أسباب المُنافَرَة:

هناك أسباب متعددة للتنافر، أهمها التنازع على الشرف والمجد، والتنازع على الرئاسة، وهو السبب الرئيس في مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل.

1–التنازع على الشرف والمجد:

المعنى اللغوي لكلمة الشرف هو الحسب بالآباء(1)، والمجد هو المروءة والسخاء والكرم، ونيل الشرف الذي لا يكون إلا في الآباء ، وقيل المجد كرم الآباء خاصة، وقيل الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي(2).

وهذا هو أهم سبب من أسباب المُنافَرات، ولعلّ المعنى اللغوي للمُنافَرَة جاء من «أَيُّنا أعزّ نفراً»؟ أي أعزّهم قبيلة، وأكرمهم نفراً معتمداً على نسب قبيلته. ومن هذه المُنافَرات مُنافَرَة عائذ بن عبدالله بن مَخْزُوم والحارث بن أَسد بن قُصيّ، فقد تنازعا «في الشرف والمجد، وأيهما أشرف وأمجد؛ فجعلا بينهما كاهناً»(3).

وفي المُنـافَرَة التي كادت تحدث بين سُبَيْع بن الحارث ومَيْثَم بن مُثَوِّب لولا مَرْثد بن يَنْكف بن نوف بن مَعْدِيكَرِب الذي أصلح بينهما، وسبب تنافرهما كما ذكر أبو علي القالي أنهما «تنازعا الشَّرف حتى تشاحنا، وخيف أن يقع بين حَيَّيهما شر فيتفانى جِذْمَاهما»(4). إن تنازع الشرف هنا وادعاء كلّ منهما أنه أشرف نسباً، وأكرم نفراً من

(1) انظر: ابن منظور– لسان العرب، مادة «شرف».

(2) المصدر نفسه، مادة «مجد».

(3) محمد بن حبيب– المنمق:107.

(4) أبو علي القالي – الأمالي،1 : 92 .

الآخر دفعهما إلى التنافر.

والتفاخر بالآباء والأجداد، وتذاكر الأمجاد والوقائع يؤدي بالمتفاخرين إلى تنازع الشرف والمجد، ومثال ذلك ما جرى بين بني قُصيّ وبني مَخْزُوم فقد «جعل نفر من قريش مجلساً، فقال أبو ربيعة بن المغيرة وابنه المغيرة وبنو المغيرة: ومنا سُويد بن هَرَمِي من بني عامر بن عبيد بن عمر بن مَخْزُوم، فقال أَسِيد بن أبي العِيص بن أمية: إليك إنما بنو قُصيّ أشرف، إنما شرف عبد الله بن عمر لأن أمَّه بَرَّة بنت قُصيّ، فبها نال ما نال، ثم عدد رجال قُصيّ، ثم قال: فينا السِّقاية، والحِجَابة، والنَّدوة، والرِّفادة، واللِّواء؛ فتداعوا إلى المُنافَرَة»(1). فهنا نرى أن المجلس الذي ضم قبيلة بني مَخْزُوم وبني قُصيّ نقلهما من المفاخرة إلى المُنافَرَة، و لم تقتصر هنا المُنافَرَة على ذكر أشراف القبيلة ووجهائها؛ لكنها شملت بعض ما ميّز قبيلة بني قُصيّ من مآثر من نحو السقاية والحِجابة وغيرها.

والتفاخر لا يحدث بين أشراف القبائل ووجهائها حسب؛ بل ربما امتد إلى حلفائهم الذين يتفاخرون بشرف حلفائهم وأمجادهم، وما يتمتعون به من نسب عريق، ومكانة بين القبائل، ومثال هذا مانراه في مُنافَرَة بني مَخْزُوم وبني أمية؛ فقد «اجتمع عند الحَجَر قوم من بني مَخْزُوم، وقوم من بني أمية فتذاكروا العِزَّ وَالمَنَعَة، فقال رجل من بني كِنانَة كان حليفاً لبني مَخْزُوم: بنو مَخْزُوم أعز وأمنع، فجرى بينهما الكلام حتى غضب الوليد بن المغيرة المَخْزُوميّ وأَسِيد بن أبي العِيص وتفاخرا، وجرى بينهما اللجاج»(2).

إن الاجتماع عند الحجر دعا الحلفاء إلى تفاخر كل حليف بحليفه، وما يتميز به كلّ منهما من عراقة في النسب، وهذا التفاخر أثار الوليد بن المُغيرة وأَسِيد بن أبي العِيص، ودفعهما إلى المُنافَرَة عند الكاهن سَطِيح الذِّئبي، الذي نفّر أَسِيد بن أبي العِيص على الوليد ابن المغيرة.

---

(1) محمد بن حبيب– المنمق: 115.

(2) المصدر نفسه: 112.

2- التنازع على الرئاسة:

كانت رئاسة القبيلة منصباً مهماً، لايناله إلا من كان ذا نسب كريم، اتصف بالحكمة والقوة والكرم، ويكثر المتنافسون على رئاسة القبيلة بين الأكفاء، ولاسيما إذا مرض رئيس القبيلة، وشارف على الموت أو إذا صار خَرِفاً. وهذا السبب هو أهم سبب في مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل، وذكر أبوعبيدة منافرتهما حين تحدث عن أشهر المتنافرين في الجاهلية؛ فقال: «عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة الجَعفريان، وتنازعا في الرئاسة حين أُهْتِرِ عامر بن مالك(1) مُلاعب الأسنة»(2). هذا التنازع على رئاسة القبيلة حدث حين أهتر عامر بن مالك وصار خَرِفاً، مما دفع بالمتنافسين على الرئاسة إلى التنافر، ليفصل بينهما حَكَم، ويرجح كفّة أحدهما فيتولى النافر المنتصر رئاسة القبيلة. وسنفصل الأسباب الأُخرى في منافرة علقمة وعامر في موضعها من هذه الدراسة.

3- الاستهزاء والتهكم:

إن الاستهزاء والتهكم برجل ما قد يدل في أحيان كثيرة على الاستهزاء والتهكم من قبيلته التي تحميه؛ فالعربي قديماً كان ممثلاً لقبيلته أينما وجد، وقد يكون الاستهزاء شخصياً في القبيلة ذاتها بين أبناء العم مثلاً، أو فروع القبيلة ذاتها.

ويُذكر في مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل عدة أسباب؛ منها تهكم عامر بن الطُّفَيْل بعَلقمة كما جاء في الأغاني «أول ما هاج النِّفار بين عامر بن الطُّفَيْل بن مالك بن جعفر وبين عَلْقَمَة بن عُلاثَة بن عوف بن الأحوص أن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول، فبصر به عامر، فقال: لم أرَ عورة رجل أقبح...»(3).

---

(1) هو عامر بن مالك بن جعْفَر، يُكَنّى بأبي بَراء، وأمه أم البنين، وهي أنجب امرأة في العرب، وهو من الفرسان المشهورين، يلقّب بمُلاعِب الأَسِنَّة، وفد على الرسول ﷺ لكنّه لم يسلم. انظر: ابن نباتة– سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: 130.

(2) أبوعبيدة – الديباج:88. أهتر: خرف. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «هتر».

(3) الأصفهاني – الأغاني، 12:284. وانظر ابن نباتة – سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: 163.

وإذا كان التهكم والاستهزاء سبباً من أسباب أخرى كثيرة أدّت إلى المُنافَرَة السابقة؛ فإنه السبب الأساسي في مُنافَرَة خالد بن مالك النَّهْشَلِيّ والقَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرَارة[1]، فقد «كان القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرَارة حليماً يُشَبَّه بعمّه حاجب[2]. فبينا حاجب ذات يوم على جَابية له، وإبله تُورَد عليه، إذ أقبل خالد بن مويلك [مالك] النَّهْشَلِيّ على فرسه، وفي يده الرمح فقال: والله يا حاجب لترقُصَنَّ أو لأَخْتِلَنَّ حِضْنيك بالرمح. فقال: تَنَحَّ عنّي أيها السفيه. فقال: واللهِ لتَفْعَلنَّ. فقام فأقبل وأدبر»[3]. إن تهكم خالد بن مالك النَّهْشَلِيّ بحاجِب بن زُرارَة هو تهكم بحاجب وقومه، والسكوت على استهزائه بحاجِب بن زُرارَة وإجباره على الرقص قد يدفع خالد بن مالك النَّهْشَلِيّ وغيره إلى التطاول على بني زُرارة. والمُنافَرَة هنا ستحفظ لحاجِب بن زُرارَة كرامته ومكانته، وسترجع خالد النَّهْشَلِي صاغراً.

وقد يدفع الاستهزاء بأحد المتنافرين إلى سبّ منافره، وهذا ما جرى في مُنافَرَة مَعْبد بن نَضلة بن الأَشْتَر بن حَجْوان بن فَقْعَس وخالد بن وهب الصيداوي، والسبب غير المباشر في هذه المُنافَرَة هو رغبة ضَمْرة بن ضَمْرة[4] في النيل من بني فَقْعَس الذين أحرجوه حين كان جاراً فأعلن نوفل بن جابر – وأمّه هي عاتكة بنت الأَشْتَر بن حَجْوان بن فَقْعَس – عن أنه بَرِئ ممن استجار به، بسبب كثرة مقامرته، فأرسل ضَمْرة سراً إلى بني تميم للإغارة

(1) هو سيّد عظيم من بني تميم، لقّب بتَيَّار الفُرات لكثرة سخائه، وفد على النبي – ﷺ – مع بني تميم وأسلم. انظر: أبوعبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، 1: 258؛ : ابن دريد– الاشتقاق: 235.

(2) هو حاجِب بن زُرارَة بن عُدُس الدارمي التميمي، سيّد من سادات بني تميم، رهن قوسه عند كسرى حين أصابته سنة جوع شديدة، وقع في الأسر، وافتدى بفدية عظيمة، أدرك الإسلام وأسلم، بعثه الرسول ﷺ على صدقات بني تميم. انظر: ابن دريد– مصدر سابق: 235 و237؛ ابن عبدربه – العقد الفريد، 1: 267.

(3) أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص،5:298. الجابية: الحوض الضخم. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «جبي».

(4) اسمه شِقّ بن ضَمْرَة، وسمّاه بعض ملوك الحيرة ضَمْرَة، امتاز بالفصاحة والبيان. انظر: : ابن دريد– مصدر سابق: 244.

على بني فَقْعَس، وغير ذلك من الأحداث(1). وقد حثّ ضَمْرة بن ضَمْرة خالد الصيداوي على الاستهزاء بمَعْبد بن نضلة، وسبّه عند النعمان بن المنذر «فلما راحوا إلى النعمان سبّ خالد مَعْبداً. فقال: أتَسبني و لم تنافرني»(2).

وسبب مُنافَرَة بني فَزارَة وبني هِلال حيلة دبرها رجل تَعلبي وآخر كَلْبي للفزاري للاستهزاء به، والتهكم عليه، ولقد أورد الميداني قصة هذه المنافرة فقال: «وحديث ذلك أن ثلاثة نفر اصطحبوا فَزاريًّا وثعلبيًّا وكِلابيًّا فصادوا حماراً، ومضى الفَزارِيّ في بعض حاجته، فطبخا وأكلا، وخبّأا للفَزاري جُرْدان الحمار، فلما رجع الفَزارِيّ قالا: قد خبّأنا لك، فكُل، فأقبل يأكله، ولا يكاد يسيغه، فقال: أكلّ شواء العَيْر جُوفان؟ يعني به الذَّكر، وجعلا يضحكان، ففطن»(3). هذه الحيلة أدّت إلى المُنافَرَة التي تناولت الجوانب السلبية في كلا المتنافرين، وقد قضى أنس بن مُدْرِك(4) للفَزاريين على الهِلاليين، فأخذ الفَزارِيّون مئة بعير كانوا تراهنوا عليها.

وقد نال الاستهزاء من بعض القبائل أيضاً؛ ومثال ذلك مُنافَرَة جَرير بن عبدالله البَجَلِيّ(5) وخالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ إذ يروى «أن كَلْباً أصابت في الجاهلية رجلاً من بَجِيلَة من بني عَادِيَة بن عامر بن قُدَاد يُقال له: مالك بن عُتْبة – أو عِنَبَة، شك في اسمه الكَلْبِيّ – فوافوا به عُكاظ. ومرّالعَادي بابن عمّ له يُقال له: القَسِم بن عُقَيل يأكل تَمْراً، فتناول من ذلك التَمْر شيئاً لِيَتَحَرَّم به، ومعه رجل من كَلْب يُمسكه، فجذبه الكَلْبِيّ بِقِده فقال: إنه رجل من عَشِيرتي، فقال: لو كانت لك عَشِيرة مَنعتك... حتى هجم [جرير

(1) انظر: الألوسي – بلوغ الأرب في أحوال العرب، 1 :326 .

(2) المصدر نفسه، 1:327.

(3) الميداني – مجمع الأمثال، 1:196.

(4) من رجال بني خثعم، يكنى بأبي سفيان، حكيم وشاعر، شارك في يوم فَيْف الريح. انظر: ابن دريد – الاشتقاق: 523.

(5) هو جرير بن عبد الله بن جابر – الشُّلَيْل – بن مالك بن نَضْر ، امتاز بالوسامة، حتى وصفه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بأنه يوسف هذه الأمَة، أسلم، وكان عامل عثمان بن عفّان على هَمْدان، توفي سنة 51 هـ، انظر: أبوعبيدة: نقائض جرير والفرزدق، 1: 309؛ انظر: : ابن دريد– مصدر سابق: 519؛ وابن الأثير – أسد الغابة في معرفة الصحابة، 1: 319.

ابن عبدالله البَجَلِيّ] على منازل كَلْب بعُكاظ، فانتزع منهم الأسير مالكاً، فقامت كَلْب من دونه، فقال جَرير: زعمتم أن قومه لا يمنعونه، فقالت كَلْب: جماعتنا خُلُوف عنا، فقام جَرير فقال: لو كانوا حُضوراً لم يدفعوا عنه شيئاً. فقالوا: كأنك تَستطيل على قُضَاعَة، فقال: إن شاؤوا قايسناهم المجد»(1). هذا الاستهزاء نال من واجبات القبيلة في حماية أفرادها، ومن مكانتها بين القبائل، وهذا ما دعا عبدالله بن جَرير البَجَلِيّ إلى انتزاع الأسير مالك بن عُتبة من بني كَلْب، وادعى كلّ من المتنافرين القوة والمنعة فلم يفصل بينهما إلا الأقرع بن حابس(2) الذي نفّر جَرير بن عبدالله البَجَلِي على خالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ.

4- التنافس بين الأفراد:

قد يحدث التنافس بين الأكفاء في القبيلة الواحدة، فكلّ واحد منهم يحاول أن يثبت أنه الأفضل، لذا قد تتولد بينهم مشاعر الغيرة والحسد، والرغبة الشديدة في مجاراة نظرائه. ولعلّ هذا ما جرى في مُنافَرَة هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس حين أطعم هاشم بن عبد مناف الناس، ونحر لهم في سنة جوع أصابت الناس، فحاول أمية مجاراته، و«كان أمية بن عبد شمس مُكْثِراً، فتكلف أن يصنع ما صنع هاشم فعجز عنه وقصر، فشَمِت به ناس من قريش، وسخروا منه وعابوه، بما صنع وقصر فهاج ذلك بينه وبين هاشم شرًّا، ومفاخرة ومخاصمة حتى دعاه إلى المُنافَرَة، وألب أمية إخوته، ووبخوه، وحرّبوه، وكره ذلك هاشم لسنه، حتى أكثرت قريش في ذلك وذمّوه»(3).

(1) أبوعبيدة – مصدر سابق، 1:309– 310. خُلُوف: أي غير حاضرين، غيّب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «خلف».

(2) هو الأَقْرَع بن حابِس بن عِقال بن محمد بن سُفْيان بن مُجاشِع، من رجال بني تميم وفرسانهم وحكمائهم، وآخر من قضى لتميم قبل الإسلام، وهو شريف في الجاهلية والإسلام، وأول من داهن في الحكومة، كان من المؤلفة قلوبهم، واستعمله عبدالله بن عامر بن كُرَيْز على جيش إلى خُراسان. انظر: أبوعبيدة– مصدر سابق، 1: 311. ومحمد بن حبيب– المحبر: 134.

(3) محمد بن حبيب – المنمق: 103–105.وانظر: تاريخ الطبري، 2:504.

نجد في الخبر السابق أن رغبة أمية بن عبد شمس في مجاراة هاشم بن عبد مناف، ومن ثم عجزه عن المجاراة هيّج في داخله مشاعر الحسد والغيرة، وأوغر صدره ما سمعه من سخرية وتأنيب من قومه ولاسيما إخوته، فاضطر كلا المتنافرين إلى المُنافَرَة، وَكَرِهَ أمية بن عبد شمس ذلك بسبب عجزه وتقصيره عن مجاراة هاشم بن عبد مناف؛ لكنه كابر قومه، وتحدى الآخرين، وكره الثاني التنافر بسبب كبر السن، ولعل الظروف المحيطة بهما شجعت قبيلة قريش على إقامة المُنافَرَة.

ويبدو أن التنافس بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة هو سبب من أسباب منافرتهما؛ فقد كان علقمة يحاول أن يصل إلى درجة شهرة عامر ومكانته بين قومه وبين العرب. ينفرد الأنباري في روايته لديوان عامر بن الطُّفَيْل بخبرين؛ أولهما ماحدث في زيارة علقمة لقيصر فقد «قدم عليه عَلْقَمَة بن عُلاثَة فانتسب له، فقال: أنت ابن عم عامر ابن الطُّفَيْل، فغضب عَلْقمة، وقال: أراني لا أُعرف إلا بعامر، فكان ذلك مما أوحر صدره عليه وهَيّجه إلى أن دعاه للمُنافَرَة»(1). وهذا السبب وإن أوغر صدر عَلْقَمَة بن عُلاثَة فإن عامر بن الطُّفَيْل لا ذنب له أن طبّقت شهرته الآفاق، وبلغت مسامع قيصر ملك الروم، فجعل قُرب النسب لعامر بن الطُّفَيْل سبباً لتقدير أقاربه وأهله. والرواية الأخرى تبين أن عامر بن الطُّفَيْل تأخر عن قومه، وفيهم عَلْقَمَة بن عُلاثَة الذي استغل غياب عامر بن الطُّفَيْل فعابه بسبب عَور عينه، وعُقمه لكن عامراً خطب في قومه موضحاً سبب تأخره عليهم (2). ولا شك في أن الأنباري سرد هاتين الروايتين ليبين أن عَلْقَمَة بن عُلاثَة حسد عامر بن الطُّفَيْل بسبب شجاعته وشهرته، وقدرته على كسب ودّ قومه مهما قيل فيه؛ لأنه يملك القدرة على كسب المواقف لصالحه.

ولعل الأَنْباري كان يميل إلى عامر بن الطُّفَيْل في منافرته مع علقمة؛ فقد أورد روايات كثيرة حول أسباب النفار كلها تدور حول حسد علقمة عامر بن الطفيل، ومهما يكن من كثرة الروايات فإن السبب الأساسي هو التنازع على الرئاسة، ولعلّ الأسباب الأخرى

(1) ديوان عامر بن الطُّفيل: 9–10 . أوحر صدره: أوغره. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «وحر».

(2) ديوان عامر بن الطُّفيل: 9–10 .

شجعت على المُنافَرَة، وهيّأت لها.

وقد يكون التنافس بين الأفراد في أمور متعددة مدعاة إلى المنافرة مثل سباق الخيل والمراهنة على الفرس الغالب، وهذا ما حدث بين مالك بن عُميلة وعُميرة بن هاجر الخُزاعي؛ فقد روي أن عُميرة قال لمالك: «فرسي أجود من فرسك، فتراهنا على فرسيهما، وجعلا الرّهن على يدي عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف أيهما سبق فله مئة من الإبل، فأرسلا فرسيهما من أجياد[1]، فأقبل فرس عُميرة سابقاً، فعرض له قاسط بن شريح بن عثمان بن عبد الدار فحبسه، فطلب عُميرة السَّبق فأبى عليه حتى كاد أن يقع الشرّ بينهما، فتداعيا إلى المُنافَرَة إلى الكاهن»[2]. إن الاختلاف على نتيجة السباق بسبب حجز فرس الفائز – وهو لعُميرة – أدّى إلى تنازع مالك وعُميرة، ودفعهما إلى المُنافَرَة، دفعاً للشرّ، وهذا يذكرنا بحرب داحس والغبراء، وما حدث فيها من مراهنة على الخيل، وكيف تحول التنافر بينهم إلى حرب، وسيأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

وهناك مُنافَرَة جرت بين حاجِب بن زُرارَة وقَيْس بن مَسْعُود[3]، ولها سبب غير مباشر هو رغبة النعمان بن المنذر في إعطاء أفضل العرب مئة من الإبل، مما أدّى إلى التنافس على لقب أفضل العرب، وهذا له دلالته فهو من ملك العرب النعمان بن المُنذر، مما يعني التأكيد على مكانة من سيحمل اللقب، ومن ثم يحوز هذه الإبل «وكان من حديث ذي الجَدَّين [قَيْس بن مَسْعُود] أن الملك النُّعمان قال: لأعْطِيَنَّ أفضل العرب مئة من الإبل، فلما أصبح الناس اجتمعوا لذلك، فلم يكن قَيْس بن مَسْعُود فيهم، وأراده قومه أن ينطلق، فقال: لا، ولئن كان يريد بها غيري، لا أشهد ذلك، وإن كان يريدني بها لأُعْطيَنَّها، فلما رأى النُّعمان اجتماع الناس، قال لهم: ليس صاحبها شاهداً، فلما كان من الغداة، قال

(1) أجياد: موضع بالقرب من مكة يلي الصفا. ياقوت الحموي – معجم البلدان، 1:105.

(2) محمد بن حبيب – المنمق: 109.

(3) قَيْس بن مَسْعُود بن قيس بن خالد بن عبدالله، ذو الجدَّين، من بني ذُهْل بن شَيْبَان، جاهلي، وله شعر. كان عاملاً لكسرى هرمز بن أبرويز على طف العراقيين والأُبُلَّة ، وهو أبو الشاعر بِسطام الشَيْبَاني. انظر: المرزباني – معجم الشعراء: 324.

قومه: انطلق، انطلق، فدفعها إليه الملك، فقال حاجب: أبيت اللَّعن، ما هو أحقّ بها مني، فقال قَيْس بن مَسْعُود: أنافره عن أكرمنا قَعِيدة، وأحسننا أدب ناقة، وأكرمنا لئيم قوم، فبعث معهما النُّعمان من ينظر في ذلك»(1).

مما سبق نجد أن تفضيل النُّعمان بن المنذر بإعطاء أفضل العرب مئة من الإبل يكتسب أهمية؛ لأنه يأتي من ملك العرب النُّعمان بن المنذر، مما سيرفع من قدر المفضل على غيره من العرب، ولا سيما أن مجالس النُّعمان يغشاها أشراف العرب ووجهاء القبائل، وهذا ما دعا حاجِب بن زُرارَة إلى منافسة قَيْس بن مَسْعُود.

و لم يغير حضور الأشراف ووجهاء القبائل رأي النُّعمان؛ لأنه اختار من سيفضّله على غيره مما دَعَاه إلى تأجيل ذلك؛ لأن قَيْس بن مَسْعُود غير حاضر، ولهذا شجعه قومه على الذهاب في المرة الأخيرة. وهذه المُنافَرَة تحمل عدّة دلالات:

* إن التفضيل قد جرى عند النُّعمان بن المنذر.

* إن قَيْس بن مَسْعُود يعرف قدر نفسه، ولا يرضى بأن يضع نفسه إلا في أجلّ مقام يليق به، لذا عرف الناس ولاسيما النُّعمان بن المنذر قدره.

* إن من أسباب تفضيل النُّعمان بن المنذر قيساً على غيره عراقة نسبه، وهو يتساوى في هذا مع حاجِب بن زُرارَة إضافة لمكانة قيس عند العرب، ولأنه عامل كسرى هرمز بن أبرويز على طَفّ العراق والأُبُلَّة، مما جعل النُّعمان يفضله على حاجِب بن زُرارَة.

* إن المتتبع لأخبار النُّعمان يجد أن من عاداته تفضيل رجل على آخر في مجالسه عند استقباله للوفود العربية.

* إن ما يلفت النظر في هذه المُنافَرَة أن المجالات التي حددها قَيْس بن مَسْعُود غريبة وفريدة؛ لعلّه اختارها لشدّة ثقته بنفسه وبمكانته عند قومه.

---

(1) ابن رشيق – العمدة، 2: 940. قَعِيدة: أيّ زوجة لقعودها في البيت. ابن منظور– لسان العرب، مادة «قعد».

5- إقامة الحقّ:

قد تدفع رغبة بعض أفراد القبيلة في إقامة الحقّ ونيلهم لحقوقهم بالأمور إلى المُنافَرَة، التي تتهيّأ ظروفها من خلال هذا التنازع، فيحاول كلّ طرف أن يثبت أنّه صاحب حقّ. وهذا ما حدث في مُنافَرَة عبد المطلب بن هاشم وثقيف، حيث «كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يُقال له ذو الهَرْم فادعته ثقيف، وجاؤوا فاحتفروا، فخاصمهم فيه عبد المطلب إلى الكاهن بالشام يُقال له عُزّى سَلَمَة العُذْرِي»(1). وهذا الاختلاف في ملكية المال فصل فيه الكاهن بإثبات أنه لعبد المطلب بن هاشم من خلال ادعاء معرفته بالغيب، مما دفع بالثقفيين في رد فعل لهم إلى طلب المُنافَرَة، حيث «غضب الثقفيون فقال جندب بن الحارث: اقضِ لأرفعنا مكاناً، وأعظمنا جِفاناً...»(2). ولقد نفّر الكاهن عبد المطلب بن هاشم مما شجع الأخير على تحويل المُنافَرَة من شخصية إلى قبلية بين مُضر وثقيف، فنفّر الكاهن مُضر.

وقد يؤدي البحث عن الحقيقة ومحاولة إثبات الحقّ إلى التنافر، وذلك ما جرى بين عبد المطلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة الذي أغرى بعض فتيان قريش بقتل تاجر يهودي من أهل نَجْران(3) مما «جعل عبد المطلب لا يعرف لـه قاتلاً حتى كان بعد فعلم من أين أتى، فأتى حَرْب بن أُمَيَّة، فأنبه لصنيعه، وطلب بدم جاره، فأبى حرب ذلك عليه، وانتهى بهما التماحك واللجاج إلى المُنـافَرَة»(4) لدى نُفَيْل بن عَبْد العُزّى(5). يتبين هنا أن محاولة البحث عن القاتل والأخذ بدم التاجر اليهودي أفضت بهما إلى المُنافَرَة.

---

(1) محمد بن حبيب- المنمق: 98 - 99 عُزّى سَلَمَة العُذْرِيّ: هو أحد حكّام الجاهلية من الكهان، تنافر إليه عبد المطلب وبنو ثقيف وغيرهم. انظر: الألوسي: بلوغ الأرب: 1: 278.

(2) محمد بن حبيب- مصدر سابق:101.

(3) نَجْران: موضع في اليمن من ناحية مكة. ياقوت الحموي - معجم البلدان،5:266.

(4) محمد بن حبيب - مصدر سابق: 94.

(5) هو نُفَيْل بن عبد العُزّى بن رِياح، من بني عَدي بن كعْب من قريش، وهو جدّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وهو أحد قضاة العرب في الجاهلية، تحاكمت العرب إليه في الخصومات والمنافرات. انظر: محمد بن حبيب- المحبر: 133.

ولابد هنا من الإشارة إلى أن المُنافَرَة التي حدثت في بني لؤي بسبب اتهام عامر بقتل أخيه عمرو بن لؤي بن غالب، التي حكم فيها سَطِيح الذئبي ببراءة عامر بن لؤي من دم أخيه(1)؛ لاتعد مُنافَرَة بالمعنى الاصطلاحي، وهو المحاكمة في المفاخرة بالنسب؛ بل بالمعنى اللغوي وهو المحاكمة بشكل عام. ويصدق الأمر على مُنافَرَة عُتبة بن ربيعة(2) والفاكه بن المغيرة المَخْزُوميّ التي حكم فيها كاهن اليمن ببراءة هند مما رميت به من اتهام(3). ولعلّ ما يدفعنا إلى هذا القول هو لجوء الحُكام – وهم الكهان هنا – إلى الحُكم مباشرة من دون الاستماع إلى المتنافرين، فهم يحكمون بما يملكون من معرفة بالغيب حسب ما يزعمون.

ثانياً: عناصر المُنافَرَة:

أ–الحُكام:

1– صفات الحُكام ومكانتهم:

نقف بداية عند المعنى اللُّغوي والاصطلاحي لكلمة الحُكام، وهي مأخوذة من المادة اللُّغوية (حكم)، ويعني العِلم والفقه والقضاء بالعدل، وجمعه أحكام. تقول العرب حَكَم عليه بالأمر يَحْكُم حُكْماً وحُكُومة. وأصل الحكومة ردّ الرجل عن الظلم، ومن هنا قيل للحاكم بين الناس حَاكم وقاضٍ؛ لأنه يَمْنع الظالم من الظُلم. والحاكم: مُنَفذ الحُكم، وهو الحَكم، والجمع حُكام. وحاكمه إلى الحَكم: دعاه. وحَكَّموه بينهم: أمروه أن يحكم. يُقال: حَكَّمنا فلاناً فيما بيننا أي أجزنا حُكْمه بيننا. وحَكَّمَهُ في الأمر فاحْتَكَمَ: جاز فيه حُكْمُهُ، والاسم الأُحْكُومَةُ والحُكُومَةُ. والمُحَاكَمَة: المخاصمة إلى

(1) المصدر نفسه: 117 . وهناك منافرة بالمعنى اللغوي بين قريش ودُوَيْك الذي سرق غزالي الكعبة، انظر: تاريخ الطبري، 1: 525.

(2) هو عُتْبة بن ربيعة بن عبد الشمس، يكنى أبا الوليد، وهو أحد سادات الجاهلية، خطيب جاهلي، قتل يوم بدر نحو 2 هـ. محمد بن حبيب– المحبر: 160.

(3) محمد بن حبيب– المنمق: 118.

الحاكم. واحتكموا إلى الحاكم، وتحاكموا بمعنى. والحكَمَة: القضاة. والحِكْمة: العدل[1].

مما سبق نجد أن أساس الحُكم هو القضاء بالعدل، ويُسمى الحاكم والحَكم بهذا الاسم؛ لأنه يَمْنع الظالم عن الظلم، ويفصل بين الناس في الخِلاف والخصومة. وما يصدره من رأي وقرار يُسمى حُكْماً. ويفرّق جواد علي بين الحَكَم والحاكم «ومنهم من جعل [الحَكَم] الشخص الذي ينظر في العرف، والحاكم الشخص الذي ينظر في القوانين»[2].

ولا نكاد نظفر بنصوص عن استعمال كلمة القاضي مرادفة لكلمة الحاكم إلا ما جاء في وصف عامر بن الظَّرِب[3] بحاكم العرب وقاضي العرب[4]. ويرى جواد علي أن ذلك دليل على استعمال كلمة قاضٍ مرادفة لكلمة الحاكم، لكن تبقى لفظة الحَكَم والحاكم هي المستعملة في النصوص الجاهلية التي وصلتنا.

ولقد حظي الحكام بمكانة مرموقة في المجتمع الجاهلي، لدورهم في إنهاء المشاجرات والخصومات والقضاء بالعدل لدى أغلب الحكام، ولقيام بعضهم بالإصلاح بين المتخاصمين والمتنافرين، حفاظاً على الدماء؛ لأَن المُنافَرات قد تجر إلى حروب. وقد تحدث اليعقوبي في كتابه عن الحُكام ودورهم، حيث «كان للعرب حُكام ترجع إليها في

(1) انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «حكم». وانظر: أبو عبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، 1:229.

(2) جواد علي– المفصل، 5:496.

(3) هو عامر بن الظَّرِب بن عمرو بن عبّاد بن يشْكر بن عدوان بن قيس، وهو حكم مضر وإمامها وفارسها في الجاهلية، ولا تعدل العرب بفهمه فهماً، ولا بحكمه حكماً، وقيل إنه صاحب قصّة المثل «إن العصا قرعت لذي الحِلْم»، وقيل إن المثل لغيره، وملخص قصة المثل أنه قال لابنته بعدما طعن في العمر أن تقرع له العصا إن أخطأ في حكمه حتى يتنبّه. انظر: محمد بن حبيب – المحبر: 135؛ الآمدي – المؤتلف والمختلف: 230؛ والميداني– مجمع الأمثال، 1: 62.

(4) جواد علي– مرجع سابق، 5:496.

أمورها، وتتحاكم في مُنافَراتها، ومواريثها ومياهها ودمائها؛ لأنه لم يكن دين يرجع إلى شرائعه. وكانوا يُحَكِّمون أهل الشرف، والصدق، والأمانة، والرئاسة، والمجد، والتجربة»(1). من خلال الخبر السابق تتضح الموضوعات التي تحاكم فيها الجاهليون ومنها المُنافَرات والمواريث والمياه والقتل، واعتمدوا فيها على الأعراف واستنتاج الأحكام من خلال تجاربهم ومعرفتهم بالحياة، ومع مرور الأيام امتلكت هذه الأعراف قوة فجعلتها أقرب إلى القوانين التي سار عليها الجاهليون إلى أن جاء الإسلام.

يتضمن الخبر السابق لليعقوبي بعض صفات الحكام وهي الشَّرف، والصدق، والأمانة، والرئاسة، والتجربة. ولعلّ أهم هذه الصفات هي العدل، ومما يدل على ذلك أن المعنى اللُّغوي يربط القضاء بالعدل، لذا فهذه الصفة مرغوبة في الحَكَم، وسبب لاشتهاره بين الناس، وفي ذلك يقول زُهَيْر بن أبي سلمى:

متى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ تَقُلْ سَرَواتُهُم هُمُ بَيْنَنا فَهُمُ رِضىً وهُمُ عَدْلُ(2)

والعَدْل المَرْضِيّ من الناس قوله وحُكْمه، وجمعه عُدُول(3)، وبهذا فإن العدل سبب لرضى الناس بالحكم، وسيأتي الحديث عن الحُكام العُدُول ومن تلقى الرشاوى منهم في موضعه من هذا الفصل.

ومن الصفات الضرورية للحكام في الجاهلية الحِكْمة؛ نظراً لأهمية الحُكْم الذي سيقضي به الحَكَم؛ لأنه سيؤثر في القبيلة بمجملها فيرفعها أو ينزلها عن مكانها، وقد يوقع الشَّرّ بين القبيلتين المتنافرتين أو في القبيلة الواحدة. ونستطيع أن نقول إن الحُكْم شهادة مُصدقة – إن كان الحَكَم عادلاً– بحَقِّ القبيلة، وخير دليل على ذلك ما جاء في مُنافَرَة عبد المطلب بن هاشم وقبيلة ثقيف «فقال عبد المطلب: اقض بين قومي وقومه أيهم أفضل فقال [الكاهن عُزّى سَلَمَة العُذْرِيّ]:

---

(1) تاريخ اليعقوبي، 1: 311.

(2) ديوان زُهَيْر بن أبي سلمى: 90 سَروات: السَّري الرجل الشريف الكريم. انظر ابن منظور–لسان العرب، مادة «سري».

(3) الفراهيدي– معجم العين، 2: 38.

إن مَـقَـالي فـاسْـمـعُـوا شـهـادة   أن بـنـي الـنَّـضْـر كِـرَامٌ سَـادة»(1)

إن معنى الحِكْمة هو «معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لِمن يُحْسِن دقائق الصناعات ويُتقنها: حَكِيم، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى حاكم والحَكِيم العالم وصاحب الحِكْمة»(2). وبهذا نجد أن كلمة حَكِيم يجوز أن تأتي مرادفة لكلمة حاكم، ولابد أن يتصف الحكم في المُنافَرات بالمعرفة الواسعة لأنساب العرب وأيامها، والفِطنة، والبلاغة، وفصاحة اللسان؛ حتى يستطيع الفصل في الخصومات والمُنافَرات، ولابد أن يتسم بالحكمة، وحسن التصرف مع إدراكه الآثار المترتبة على حُكْمه؛ لذا لجأ بعض الحُكام إلى المساواة بين المتنافرين حقناً للدماء، ورغبةً في الإبقاء على صلة الرّحم بين بطون القبيلة.

ويرفع جواد علي مكانة الحُكام إلى درجة الفلاسفة، وفي ذلك يقول «ورأوا في الحاكم الرجل العادل البصير الحكيم الذي ينفذ إلى أسرار الأمور، ويعمل بحقائق الأمور، فحُكْمه حِكمة، وقوله مَثَل يُعمل به، لما فيه من عمق وتبصر ونفاذ إلى داخل الأشياء؛ لأنه صادر عن حكيم حليم راجح العقل، عقله فوق مستوى العقول. فهو حاكم وحكيم، وفيلسوف يفلسف المعضل المشكل، والأمر المتنازع عليه المشتبه فيه»(3). ونجد في القول السابق مبالغة إلى حدّ ما؛ فالحَكَم في الجاهلية رجل لديه علم بأنساب العرب وأيامها، ويمتاز بالحِكمة، والحلم بسبب خبرته وتجربته في الحياة، ويتسم ببعد النظر وبالعدل في القضاء والفصل، وأما رفع مكانة الحُكام إلى درجة الفلاسفة فهذا فيه شيء من المبالغة؛ لأن الفيلسوف هو من يملك رؤية شاملة للإنسان والكون. ولا ننكر بأن بعض الحُكام قد بلغ مكانة في المجتمع الجاهلي جعلت الآخرين يرفعونه إلى أعلى قدر، ومن ذلك ما قيل في أحد الحُكام، وهو « وكيع بن سلمة بن زهر بن إياد، وهو صاحب الصرح بِحَزْوَرَةِ مكة. وقد أكثروا فيه فقالوا كان كاهناً، وقالوا كان صديقاً من الصديقين»(4). نجد أن

(1) محمد بن حبيب– المنمق: 102.

(2) ابن منظور – لسان العرب، مادة «حكم».

(3) جواد علي– المفصل، 5:503.

(4) محمد بن حبيب– المحبر: 136.

مكانه هذا الرجل قد رفعت إلى درجة الكاهن والصِّدّيق مما يُعطي الثقة بأحكامه، ولا غرابة في أن نجد بعض الأحكام التي سنّها الحُكام قد أقرّها الإسلام، ومنهم الأَقرع بن حابس، وقال عنه أبو عبيدة: كانوا «يَصْدرون عن رَأيه، وذهب حُكْمُهُ ورَأيُهُ مع النبوة»(1).

وإذن فالحُكام من حُكماء وكهان هم المُشرعون في العصر الجاهلي، واللجوء إليهم يكون برضى الطرفين، مما يجبرهما على تنفيذ حُكم الحَكَم الذي ارتضوه، وأحياناً يطلب بعض الحُكام مَنَعَةً قبل الفصل بين المتنافرين مثلما طلب هَرِم بن قُطْبَة(2) من عَلْقَمَة ابن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل؛ فقال هَرِم: «لعمري لأَحْكُمنَّ بينكما، ثم لأَفصلنَّ، ثم لستُ أثقُ بواحد منكما، فأعطياني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول، وتُسلِّما لما قضيتُ بينكما»(3)، وطلب هَرِم الموثق منهما قبل الحُكْم والفصل؛ لضمان رضائهما عن حُكْمه، وللحصول على قوة تنفيذية تجبر المتنافرين على الامتثال للحُكْم مهما كان.

2- أنواع الحُكام:

لعلّ أبرز الحُكام في الجاهلية كانوا من الحُكماء والكُهان، وفي ذلك يقول الحُطيئة:

وَمَا أسَاء فِراراً مِنْ مُجَلَّحة ... لا كَاهِنٌ يَمْتَرِي فِيَها وَلا حَكَمُ(4)

ومن يَحْكم في الخصومات والمنازعات عامة هو الكاهن والحكيم؛ لإعطاء كل ذي حقّ حقه، وفي المُنافَرات ليرى الحكم أَيُّهما له الشرف والمجد من المتنافرين، لكن عند دراسة المُنافَرات نجد رجالاً آخرين كانوا حُكاماً مثل الملوك، والشعراء، وبعض الطوائف الأخرى.

---

(1) أبو عبيدة– شرح نقائض جرير والفرزدق،2:441.

(2) حكيم اتصف بالبلاغة والفصاحة، وهو أحد الحكّام المشهورين بالعدل في الجاهلية، أدرك الإسلام، وثبت في الردّة. انظر: ابن دريد– الاشتقاق: 283. والميداني: مجمع الأمثال، 1: 395.

(3) الأصفهاني– الأغاني، 16:287. انظر: ابن نباتة – سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: 164.

(4) ديوان الحطيئة تحقيق: نعمان محمدأمين: 16. مُجَلِّحة : داهية، ابن منظور–لسان العرب، مادة «جلح»، يقول ما أساء عامر ولا قومه حين فروا أو حاجزوه عند المُنافَرَة.

* **الحُكماء:**

لكلّ قبيلة في الجاهلية حُكامها الذين تلجأ إليهم في المنازعات والخصومات، وتجدر الإشارة هنا إلى لجوء العرب إلى حُكام قريش غالباً، وذكر الأصفهاني أن العرب تتحاكم إلى قريش(1)، وهذا يدل على مكانة قبيلة قريش بين القبائل العربية وامتثالهم لأحكامها، فلم يقتصر التحكيم على الفصل في الخصومات؛ إنما اتسع ليشمل التحكيم في جودة الشعر أيضاً، وما تقبله قريش يصبح مقبولاً، وما ترده يصير مردوداً، ومثال ذلك ما حدث مع عَلْقمة بن عبدة؛ إذ وصفت قريش قصيدتيه بسمطي الدَّهر(2)، وهذا يعني أن رأي قريش قاطع وحاسم بالنسبة إلى الشعراء وغيرهم.

ومما يدل على ذلك لجوء عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل إلى حُكام قريش ومنهم أبو سفيان بن حَرْب بن أُمَيَّة، وأبو جهل بن هشام فرفض كلّ منهما؛ لأن عامراً وعلقمة من القبيلة نفسها، ومن الصعب تنفير أحدهما على الآخر؛ فالشّرّ قد يقع بينهما، وهذا ما سبّب ضيقاً لمروان بن سُرَاقَة بن قتَادَة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر فقال:

يال قُرَيْش بَيِّنوا الكَلامَا إنَّا رَضَيْنَا مِنْكُم الأَحْكَاما
فَبَيِّنُوا إنْ كُنتُمُ حُكّامَا كَانَ أبُونا لَهُمُ إمَامَا(3)

لم يكتف المتنافران بحَكم واحد؛ بل ذهبا إلى حكمين من قريش قبل الذهاب إلى غيرهم من حُكام القبائل الأخرى.

وهناك شاهد آخر ورد في خُطبة أبي طالب عندما تزوج الرسول ﷺ خديجة بنت خويلد – رضي الله عنها – إذ قال: «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل... وجعل لنا بيتاً مَحجوجاً، وحَرماً آمناً، وجعلنا الحُكام على الناس»(4). وهنا نلاحظ أن أبا طالب قد عدد مميزات قريش، ومنها لجوء الناس إلى حُكامهم؛ نظراً

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16:287.

(2) انظر: المصدر نفسه، 21 : 206.

(3) المصدر نفسه، 16:287.

(4) الأبشيهي– المستطرف من كل فن مستظرف، 3: 185، وانظر: الآبي – نثر الدر، 1: 396. لم أجد الخطبة في السيرة النبوية لابن هشام، ولا في تاريخ الطبري.

لما تمتعت به قريش خاصة ومكة عامة من مكانة دينية وتجارية وأدبية جعلها محط الأنظار، وقِبلة القاصدين.

ونقف هنا عند أسماء أشهر حُكام العرب، وأولهم هو «الأفْعى بن الحُصَيْن بن غَنَم بن رُهْم بن الحارث الجُرْهُمِي[1] الذي حكم بين بني نِزَار بن مَعَدٍّ في ميراثهم»[2]. أما أشهرهم فهم «ثلاثة: هَرِم بن قُطْبَة، وهَرِم بن سِنان المرّيّ مرّة غطفان[3]، ومعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب، وهو مُعوّد الحُكام»[4]. وهناك خبر آخر عن أهم الحُكام في الجاهلية –ذكره صاحب القاموس المحيط– إذ قال: «حكام العرب في الجاهلية أَكْثَم بن صَيْفيٍّ[5]، وحاجِب بن زُرارَة، والأَقرع بن حابس، وربيعة بن مُخاشِن[6]، وضَمْرة ابن أبي ضَمْرَة لتميم، وعامر بن الظَّرِب، وغَيْلان بن سلمة[7] لقيس، وعبد المطلب وأبو

(1) هو أول الحكّام عند العرب كما ذكرت الأخبار، حكم بين بني نزاربن معدّ في ميراثهم، من أولاده السَّيِّد والعاقِب، أسقفا نجران اللذان أرادا مباهلة الرسول ﷺ . انظر : محمد بن حبيب – المحبر: 132؛ تاريخ اليعقوبي: 311. نسبه أبو البقاء الحلي في «المناقب اليزيدية» إلى كهلان بن سبأ قائلاً: «لعلّه نسب إلى جرهم بسبب حلف أو جوار» انظر :348:1.

(2) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 132 وما بعدها، وانظر: تاريخ اليعقوبي:311.

(3) هو هَرِم بن سِنان بن أبي حارِثَة المُرِّي، جواد مشهور بالكرم، ويقال في المثل: «أجود من هَرِم»، وهو من ممدوحي زهير بن أبي سلمى. انظر محمد بن حبيب– مصدر سابق: 143؛ و ابن دريد– الاشتقاق: 288؛ والميداني: مجمع الأمثال، 1: 336.

(4) هبة الله الحلي– المناقب الزيدية في أخبار الملوك الأسدية،1:174.

(5) هو أَكْثَم بن صَيْفي بن رِياح بن الحارث بن مُخاشِن، حكيم وخطيب جاهلي، أحد حكّام بني تميم، تعلّم الأنساب من عبدالمطلب بن هاشم، أدرك النبي ﷺ فكان يوصي قومه باتباعه، ولكنّه لم يسلم. انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 134.

(6) هو ربيعة بن مُخاشِن بن معاوية بن شريف بن أُسَيِّد عمرو بن تميم، كان يجلس على سرير من خشب، ولذلك لقّب بذي الأعواد. انظر: محمد بن حبيب– المحبر: 134.

(7) هو غَيْلان بن سَلَمَة بن مُتْعِب بن مالك بن كعْب بن عمرو بن سعْد بن عوْف، حكم قبيلة قيس وقاضيها، كان يجلس في المواسم فيحكم بين الناس يوماً، وينشد شعره يوماً، وينظر إلى وجهه يوماً. انظر: محمد ابن حبيب– مصدر سابق: 135.

طالب، والعاص بن وائل(1)، والعلاء بن حارثة(2) لقُريش، وربيعة بن حُذار(3) لأسد، ويَعْمُر بن الشَّدَّاخ(4)، وصَفْوان بن أمية(5)، وسَلْمَى بن نُوفَل(6) لكِنانَة»(7)، وبهذا نجد أن أشهر حُكام العرب هم من قبيلة كِنانة ولاسيما قريش وقبيلة بني تميم، ولا عجب في ذلك فالعرب كانت تتحاكم عند قريش، وقبيلة تميم التي أُسند إليها القضاء كثيراً في أسواق العرب ولاسيما سوق عُكاظ. أما أسماء حُكّام كلّ قبيلة فلقد ذكرهم كلّ من محمد بن حبيب واليعقوبي(8).

ونورد هنا خبراً عن حُكام المُنافَرات والمفاخرات في قبيلة قريش؛ فقد كان في قريش أربعة نفر يتحاكمون إليهم في عقولهم، ويحكمون بين الناس في المفاخرة، وكلهم أدرك الإسلام، وهم: عَقِيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، ومَخْرَمَة بن نُوفَل بن أَهْيَب بن عبد مناف بن زُهْرَة، وحُوَيطب بن عبد العزّى بن أبي قَيْس بن نصر بن مالك بن حِسْل بن

---

(1) هو العاص بن وائل أبو عمرو بن العاص، كان سيداً مطاعاً في قريش، وله مكانة فيها، توفي في مكة قبل الهجرة. انظر: ابن دريد– الاشتقاق: 126؛ الألوسي– بلوغ الأرب، 1 : 361.

(2) هو من بني زهرة، من حكّام قريش، تميّز بعلوّ مكانته ونفوذ حكمه، ومعرفته بأحوال العرب وأنسابهم، أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم. انظر: محمد بن حبيب– مصدر سابق: 133و 473؛ والألوسي– بلوغ الأرب، 1 : 361.

(3) هو أحد حكّام العرب المشهورين، وهو من قبيلة أسد، حكم في عدة منافرات من أشهرها مُنافَرَة القَعقاع ابن مَعْبد وخالد بن مالك النهشلي. انظر: ابن دريد– مصدر سابق: 237.

(4) هو يَعْمر بن عَوف بن كَعْب، من رجال بني كِنانة، لقب الشَّدَّاخ لأنه أصلح بين قريش وخزاعة في الحرب التي دارت بينهم. محمد بن حبيب– مصدر سابق: 133؛ ابن دريد– مصدر سابق: 171.

(5) هو صَفْوان بن أمية بن محرّث بن خُمل بن شِقّ بن رُقبة بن مالك بن كنانة، فصيح اللسان ومشهور البيان، من أجواد الجاهلية، وهو من المؤلفة قلوبهم. انظر: محمد بن حبيب – المحبر: 133 و 473؛ والألوسي– مصدر سابق، 1: 363.

(6) هو سلمى بن نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عدي الدّيل، من أجواد الجاهلية، ومن أشهر حكّام كنانة. انظر: محمد بن حبيب–مصدر سابق: 133.

(7) الفيروزآبادي– القاموس المحيط، مادة «حكم» .

(8) انظر: محمد بن حبيب– المحبر: 132 وما بعدها؛ تاريخ اليعقوبي: 311.

عامر بن لؤي، وأبو الجَهْم بن حُذيفة بن غانم العَدَوِيّ، وكان أبغضهم إليهم عَقِيل بن أبي طالب؛ لأن الثلاثة كانوا يعدون محاسن الرجلين إذا تنافرا إليهم فأيّهما كان أكثر محاسن فضلّوه، وكان عَقِيل يعدّ المساوئ فأيهما كان أكثر مساوئ أخرّه؛ فيقول الرجلان أظهر من مساوينا ما كان خافياً»(1).

مما سبق نجد أن كثرة التحاكم إلى قريش أدت إلى تخصيص عدد من الحُكام للمُنافَرات والمفاخرات، لما يحتاجان إليه من علم بالأنساب وأيام العرب، ومعرفة دقيقة بمثالب الرجال ومناقبها، وبهذا يمكن أن نقول بوجود حُكام متخصصين بالمُنافَرات والمفاخرات في العصر الجاهلي. ويتبين من هذا الخبر أن هناك طريقتين للتحكيم في المُنافَرات والمفاخرات؛ فأغلب الحُكام لجأ إلى عدّ مناقب المتنافرين مع تركيز الاهتمام على النسب، فأيهما كان أكرم نسباً، وأفضل في مناقبه من منافره – ولاسيما إذا تساويا في النسب- نُفِّر على صاحبه عدا عَقِيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الذي لجأ إلى عدّ المثالب، فأيّهما كان أقل من منافره نُفِر على صاحبه. وهي طريقة فريدة خاصة به دون غيره، وربما عمد إلى ذلك ليدلل على أن الكمال مطلب عسير مهما حاول الإنسان بلوغ ذلك، غير أن طريقته أدّت إلى بغض المتنافرين وكرههم له، فلا أحد يحبّ أن تُذكر له مثالبه ولاسيما أمام خصمه ومنافره؛ ولا أن يعلن ماكان خافياً على الناس أو منسياً من مثالبه. ونجد ذكراً لهذه المثالب في منافرة بني فزارة وبني تميم(2).

وإذا كانت قبيلة قريش قد اختارتها القبائل للتحاكم والتنافر لديها؛ فإن قبيلة تميم انفردت في كثير من الأحيان بالتحكيم في سوق عُكاظ قبل ظهور الإسلام «الحُكام والأئمة في المواسم كانوا بعد عامر بن الظَّرِب في بني تميم. فكان الرجل يلي الموسم منهم، ويلي غيره القضاء. فكان ممن اجتمع له الموسم والقضاء جميعاً سَعْد بن زيد مناة

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 483 – 484، عقيل بن أبي طالب بن عبدمناف القرشي، كان عالماً بأنساب العرب ومناقبها ومثالبها، أسلم قبل الفتح. وانظر: العسقلاني – الإصابة في تمييز الصحابة،4:439.

(2) انظر: المعري– شروح سقط الزند،2:533؛ الميداني– مجمع الأمثال،1:196.

بن تميم... وكان آخر تميمي اجتمع له القضاء والموسم محمد بن سفيان بن مُجاشع[1] فمات. فافترق الأمر فلم يجتمع القضاء والموسم لأحد منهم حتى جاء الإسلام. وكان محمد بن سفيان بن مُجاشِع يقضي بعُكاظ، فصار ميراثاً لهم»[2].

وإذا كان بنو تميم قضاة في سوق عُكاظ، وقد يجتمع لهم أحياناً ولاية الموسم والقضاء، فهذا يدل بوضوح على مكانتهم بين القبائل، ويتجاوز الأمر عندهم إلى توريث مهنة القضاء في عُكاظ، لتُصبح خاصة بهم لإنهاء المنازعات والخصومات والمُنافَرات بين القبائل وفي بطون القبيلة الواحدة. وبهذا نجد أن بني تميم قد تخصصت في التحكيم في سوق عُكاظ، وورثت هذه المهنة لأبنائها، وعلّمتهم كيفية القضاء وما يجب أن يتصف به القاضي من الحِكمة، والأمانة، والعدل. لكن ما الذي أكسب بني تميم حقّ الحكومة في أشهر أسواق العرب وأهمها؟ وما طبيعة علاقتهم بقريش؟

عند قراءة أخبار بني تميم في الجاهلية نرى أن لها مكانة تؤهلها لتكون مسؤولة عن سوق عُكاظ؛ لذا قالت العرب تميم كاهل مُضر، وروي هذا القول عن الرسول ﷺ حين سُئِل عن مُضر «كِنانَة جُمْجُمتها وفيها العينان، وأسد لسانها، وتميم كاهلها»[3]. «والكاهل: من الإنسان ما بين كتفيه، وقيل هو موصل العنق في الصلب... الكاهل الحارك وهو ما بين الكتفين»[4]. ووصف بني تميم بالكاهل لكثرة عددهم، ولاعتمادهم عليهم «يُقال فلان كاهل بني فلان إذا رأسهم، وقام بأمرهم فاعتمدوه لما ينوبهم، وأصله من كاهل الظهر؛ لأنه المعتمد عليه فيما يُحتمل، والعرب تقول تميم كاهل مُضر؛ لأن العدد فيهم»[5].

---

(1) هو حكم من حكّام بني تميم، وهو جدّ الفرزدق، اجتمع له القضاء والموسم في عكاظ، وهو رئيس بني مالك بن حنْظَلَة في يوم الكُلاب، وأبلى فيها بلاء حسناً، وقتل ابنه في هذا اليوم. انظر: أبوعبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، 2: 618؛ وابن دريد–الاشتقاق: 238.

(2) أبو عبيدة– مصدر سابق، 2:277.

(3) ابن عبد ربّه – العقد الفريد، 3:295.

(4) ابن منظور – لسان العرب، مادة «كهل».

(5) الخطابي – غريب الحديث، 1:609.

ولاشك في أن امتداد نفوذ بني تميم في شبه الجزيرة العربية من الأسباب التي جعلتها تحتل مكانة مرموقة، فقد امتدت ديار بني تميم بين البصرة واليمامة، ولها مواطن متفرقة في نجد وغيرها(1). وتقع عكاظ ضمن نفوذ بني تميم، وحدد اليعقوبي موقع سوق عُكاظ، فهو «بأعلى نجد يقوم في ذي القعدة، وينزلها قريش وسائر العرب إلا أن أكثرها مضر، وبها كانت مفاخرة العرب وحمالاتهم ومهادناتهم»(2). ويعرض جواد علي بعض الافتراضات لتولي بني تميم الحكومة والموسم في عكاظ، ويركز اهتمامه على وجود علاقة بين بني تميم وقبيلة قُريش،ويقول إن «رئاسة الموسم من الرئاسات الكبيرة ذات الشأن عند قريش ومن هم في جوارها، ولا يعقل تسليمها لتميم لو لم يكن لها نفوذ سابق بمكة وصلات شديدة بقريش. صلات تتجلى بالتصاهر الموجود بين قُريش وبني تميم، ومن يدري فلعلّ تميماً كانوا بمكة، ثم ارتحلوا عنها إلى مواضع أخرى»(3).

وتذكر الكتب أسماء بعض الحكيمات العربيات، كان لهن دور في الفصل في الخصومات والمنازعات، لكن للأسف لم ترد قصص هذه المحاكمات، ولم تتعدَّ الأخبار عنهن إلا نسبهن وما قد جاء من إشارات إلى أسمائهن في الشعر، وما نُقِل عنهن من أقوال ومن هؤلاء الحكيمات «صُحْر بنت لُقْمان(4)، وهِنْد بنت الخُسّ(5)، وجمْعَة بنت

---

(1) انظر: ياقوت الحموي – معجم البلدان،2:255، 2:457، 3:125، 4:433، وغيرها.

(2) تاريخ اليعقوبي: 326.

(3) جواد علي – المفصل، 5:654.

(4) تذكر الأخبار اسمها مع الحكيمات، وقد اشتهرت بالعقل والكمال والفصاحة، تحاكم العرب عندها فيما ينوبهم من مشاجرات في النسب وغيرها. انظر: الجاحظ– البيان والتبيين، 1: 409؛ والأصفهاني – الأغاني ، 24: 250؛ والألوسي– بلوغ الأرب،1: 377.

(5) هي هند بنت الخُسّ الإياديّة، حكيمة جاهلية، ولها أسجاع كثيرة وبعض الشعر، ذكر لها القالي أقوالاً كثيرة فيما سألت عنه من صفات الرجال والنساء. انظر: القالي– الأمالي، 2: 218و 235؛ والألوسي– مصدر سابق، 1: 373.

حابس[1]، وابنة عامر بن الظَّرِب»[2]، ويذكر الألوسي أن اسم ابنة الظَّرِب خَصِيلَة[3]. واشتُهرت صُحْر بنت لُقْمَان بالتحكيم في المُنافَرات والمفاخرات، وهي «من نساء العرب المشهورات بالعقل والكمال والفصاحة. وكانت العرب تتحاكم عندها فيما ينوبهم من المشاجرات في الأنساب وغيرها»[4].

*** الكهان:**

انتشرت الكَهانة في العصر الجاهلي، وتُعد الكَهانة من أوابد العرب التي عرّفها القلقشندي بأنها «أمور كانت العرب عليها في الجاهلية، بعضها يجري مَجْرى الاصطلاحات والعادات، وبعضها يجري مَجْرى الخُرافات، وجاء الإسلام بإبطالها، وهي عدة أمور: منها الكَهانة، وكان موضوعها عندهم الإخبار عن أمور غيبية بواسطة استراق الشياطين السمع من السماء، وإلقاء ما يستمعونه من الغيبيات إليهم»[5]. ويُطلق على الكاهن اسم الحازي أيضاً، ولبعضهم رئي من الجنّ [6].

وردت أخبار كثيرة عن كُهّان العرب مما يدل على شيوع الكَهانة فيهم لانقطاع النبوة، ومن الغريب أنّ معظمها صدق، ولذا لا نعجب من تلقيب زُهَيْر بن جَنَاب[7] بالكاهن

(1) ورد اسمها في بعض الكتب خَمْعة، وهي حكيمة جاهلية، وفصيحة بليغة، وقيل إنها أخت هند بنت الخُسّ. انظر: الألوسي – بلوغ الأرب، 1: 376.

(2) الميداني، مجمع الأمثال،1:63، وانظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة «حكم».

(3) من الحكيمات الجاهليات، وابنة عامر بن الظَّرِب، وقيل إن أباها كان يأمرها بأن تقرع له العصا إن حاد عن الصواب لكبر سنّه، وقد أرشدته إلى حكم ميراث الخُنْثى. انظر: الجاحظ– البيان والتبيين، 3: 38؛ والألوسي– بلوغ الأرب، 1: 377.

(4) الألوسي– مصدر سابق،1 :377 .

(5) القلقشندي– صبح الأعشى في صناعة الإنشا،1:454، وانظر: الألوسي، مصدر سابق، 1: 270.

(6) انظر: ابن منظور– لسان العرب، مادة «حزا». وانظر: جواد علي – المفصل، 6: 757– 758.

(7) هو زُهَيْر بن جَناب بن هُبَل بن عبدالله بن كنانة بن بكر الكلبي، شاعر وفارس، وهو من الجرّارين، أي أنه رأس ألف رجل في الحرب، قيل عن موته إنه شرب الخمر صرفاً حتى مات؛ لأن ابن أخيه عبدالله بن عُلَيْم بن جَناب قد خالفه الرأي. انظر: القالي– الأمالي، 3: 28؛ ومحمد بن حبيب– المحبر: 250 ، 471؛ الآمدي – المؤتلف والمختلف: 191.

لصحة رأيه(1). والكَهانة كادت تجري مَجْرى قريباً من الديانات؛ وذلك لاعتماد أكثر العرب على الكُهان في استطلاع الغيب. إن النص السابق للقلقشندي يحصر الكَهانة في أشهر أنواعها، وهو معرفة الأمور الغيبية، مثل نبوءة الكاهنة زَبْراء بهجوم الأعداء على بني رئام(2).

وإذا كانت معرفة الغيب أشهر أنواع الكهانة؛ فإن هناك أنواعاً أخرى، وهي «ثلاثة أضرب أحدها أن يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء، وهذا القسم بَطُل من حين بعث الله نبينا ﷺ الثاني أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد والثالث المنجمون، وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب، ومن هذا العَرَافَة، وصاحبها عرّاف، وهوالذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدّعي معرفته بها»(3). ويرى المعتزلة وبعض المتكلمين أن الضربين الأول والثاني انتهيا بظهور الإسلام، وبقي الضرب الثالث الذي يداخله الكذب كثيراً.

ويجعل الألوسي حالة السجع أرفع مراتب الكُهان معللاً حُكْمهُ بأنّ «معنى السجع أخف من سائر المغيبات من المرئيات والمسموعات، وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال، والإدراك فيه والبعد عن العجز بعض الشيء»(4). ولاشك في أن السجع ارتبط كثيراً بالكُهان؛ وهو يتيح للكاهن الاقتراب مما خبّأ المتنافران شيئاً فشيئاً، فما يقوله الكاهن عام يتحدد أكثر حين يطلب المتنافران منه ذلك، وقد يصدق السجع على أشياء أخرى محتملة.

لعل معرفة الكُهان بكثير من الأمور والحوادث الغيبية وصدق النبوءة جعلتهم يحتلون

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 19:26.

(2) القالي – الأمالي، 1: 126. ولمزيد من التفصيل انظر: محمد إبراهيم الفيومي – تاريخ الفكر الديني الجاهلي: 485.

(3) النووي – شرح صحيح مسلم، 14:223.

(4) الألوسي – بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 1:274.

مكانة دينية مهمة في العصر الجاهلي، فمعظمهم كان يخدم بيوت الأصنام والأوثان، ولهذا تبوّأ كثير منهم منصب الحُكام بين أهل القرى خاصة، مما جعل الناس يلجؤون إليهم في أمورهم، وعند قبيلة قريش، ولعلّ ذلك يعود إلى مكانتها الدينية، فلمن تتحاكم هي إذا كانت العرب تتحاكم إليها! ولأنها لا تجد أحداً في رجاحة عقلها ومكانتها، ولقد احتكمت قبيلة قريش لدى الكاهن الخُزاعي أكثر من غيره؛ بسبب وجود حلف بينها وبين قبيلة خزاعة.

وقوي نفوذ الكُهان بين أهل القرى أكثر من البادية، وهذا التقسيم الجغرافي يستند إلى القوة والنفوذ، ففي البادية كان الحُكم والنفوذ فيها للأشراف ورؤساء القبائل بما يتمتعون به من الشرف والمجد، ومعرفة أنساب العرب، إضافة إلى قوة المنطق والحجة لديهم، وحرصهم على العدل، مع فصاحة اللسان وبلاغتهم. بينما يتمتع الكُهّان بمعرفة الأمور الواقعة والغيبية من خلال اختبار يجريه المتحاكمون؛ للتثبت من صدق الكاهن، إضافة إلى حرص الكهان على استخدام السجع في التحكيم والتنفير، وشاركهم في ذلك بعض الحُكام الحكماء حيث علّق الجاحظ على ذلك قائلاً: «كانوا يتكهنون ويُحْكمون بالأسجاع. وهذا الباب كثير ألا ترى أن ضَمْرة بن ضَمْرة، وهَرِم بن قُطْبَة، والأقْرَع بن حابِس، ونُفَيْل بن عبد العُزّى كانوا يحْكمون ويُنَفِّرون بالأسجاع، وكذلك ربيعة بن حِذار»[1]، ومع استخدام بعض الحُكام الحُكماء، إلا أن استخدام السّجع هو الصفة المميزة للكهان؛ لأنهم اعتمدوا على السجع في أكثر كلامهم لا في التنفير فقط.

ومن أسماء أهم الحُكام من الكُهان عُزّى سَلَمَة الكاهن، الذي وصف بأنه أكهن العرب وأسجعهم[2]، وشِق بن أنمار بن نزار[3]، وسَطِيح بن مازن بن غسان، وخُنافِر بن

---

(1) الجاحظ – البيان والتبيين، 1:290.

(2) المصدر نفسه، 1:290.

(3) هو من قبيلة بَجِيلَة، وهو أحد كهّان الجاهلية المذكورين، بلغ من العمر فيما زُعِم ثلاثمئة سنة، ورويت أخبار عنه. انظر: ابن دريد– الاشتقاق: 97.

التَّوءَم الحِمْيَرِيّ(1)، وسَوَاد بن قَارِب الدُّوْسِي(2)، أما الكاهنات فأهمهن طريفة الكاهنة التي تنبّأت بالسيل العرم، وزَبْرَاء الكاهنة(3)، وسلمى الهَمْدَانِيَّة الحِمْيَرِيَّة(4)، وفاطمة بنت مُر الخَثْعَمِيَّة (5)، وهي كاهنة كانت بمكة رأت نور النبوة في والد الرسول ﷺ فعرضت عليه فأعرض عنها، وتزوج السيدة آمنة بنت وهب(6). ونضيف إلى ذلك العز الكاهنة بنَجْران التي تنافر إليها عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفَة(7) وزبان بن منظور بن سَيّار الفَزارِيّ(8). ولقد لجأت قريش في أكثر مُنافَراتها إلى كاهن الشام عُزّى بن سَلَمة العُذري، وإلى الكاهن سَطِيح، وإلى كهان

(1) هو كاهن تميز ببسطة في الجسم وسعة في المال، كان عاتياً، قيل: إن له رئيّاً لا يغيب عنه، اسمه شِصَار، غاب عنه مدّةً بعد انتشار الإسلام، وجاءه ذات ليلة، وقد وفد خُنافر على الرسول ﷺ . انظر: القالي – الأمالي، 1: 134.

(2) هو رجل من اليمن، وأحد حكّام العرب، وأشهرهم في الكهانة والشعر، ويورد القالي ما حدث بينه وبين خمسة رجال من بني طيئ ، وفد على النبي ﷺ . انظر: القالي– مصدر سابق، 2: 289؛ والألوسي – بلوغ الأرب، 1: 306.

(3) هي أمة لعجوزٍ من بني رِئام اسمها خُوَيْلَة، وهي من مُوَلّدات العرب، وقد نبّهت بني رِئام لمن أراد بهم شرّاً، فصدقت هذه النبوءة. انظر: القالي – مصدر سابق،1: 126.

(4) هي بنت سيّدهم، وكانوا عن رأيها يصدرون، وقد ذكرت لها بعض الأخبار. انظر: الألوسي – مصدر سابق، 1: 299.

(5) كاهنة كانت بمكة، قرأت الكتب السماوية، تميزت بالجمال، و لم تعرض نفسها إلا هذه المرة فيما وصلنا من أخبار، ووردت قصتها مع عبدالله بن عبدالمطلب والد الرسول ﷺ، وقالت شعراً في هذه الحادثة ورد في قصة المثل «قد كان ذلك مرة فاليوم لا». محمد بن حبيب– المنمق، 263، الماوردي– أعلام النبوة، 167، الميداني – مجمع الأمثال، 2: 497.

(6) انظر: الألوسي، مصدر سابق، 1:278.

(7) هو عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر، من بني فَزارَة من ذُبْيان، أسلم قبل الفتح وكان الرسول ﷺ يسمّيه الأحمق المطاع، وهو من المؤلفة قلوبهم. انظر: ابن دريد – الاشتقاق: 284، العسقلاني– الإصابة في تمييز الصحابة، 4:638.

(8) انظر: أبوعبيدة – الديباج: 96–97 . هو زبان بن منظور بن سَيّار الفَزارِيّ، رهن والده سيّار قوسه بألف بعير، وضمنها لملك من ملوك اليمن. انظر: ابن دريد – مصدر سابق: 283.

عُسْفان واليمن[1]. ويلاحظ أن معظم الكهان كانوا في اليمن، ويُعلل ذلك بكثرة «بيوت عبادتها الوثنية، وخاصة من يتعمقون في القدم، ولعلّ في ذلك ما يدل على الصلة القديمة بين وثنية عرب الجنوب وعرب الشّمال»[2].

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 94 وما بعدها.

(2) شوقي ضيف–العصر الجاهلي: 421.

اختبار الكاهن

اهتم المتنافران باختبار الكُهان، ويكون ذلك بإخفاء شيء في مكان أو لدى رجل ما، وقد يكون هذا الشيء حبة بُرّ، أو بيضة، أو حمامة، أو رأس جرادة، أو ريش نسر، ويدسونها في مكان غير متوقع، أو يضعونها عند أحد عبيدهم. ويعمدون للاختبار رغبة في التأكد من صحة أقوال الكُهان وآرائهم، ومدى معرفتهم بالغيب والواقع، إضافة إلى أن الكاهن بشر يُخطِئ ويصيب، وإن كان مع الكاهن رئي من الجنّ، وإن أصاب الكاهن وثقوا به واطمأنوا فتحاكموا إليه، ففي مُنافَرَة مالك بن عُميلة وعُميرة بن هاجر الخُزَاعِيّ عمد قومهما إلى اختبار الكاهن فقالوا: «لو خبّأنا له خبيئاً نبلوه به»[1]، والأمر نفسه يتكرر في مُنافَرَة هاشم بن عبد المطلب وحَرْب بن أُمَيَّة؛ قالوا: «لو خبّأنا له خبيئاً نبلوه به قبل التحاكم»[2].

وقد يعمد المتنافران إلى اختبار الكاهن مرتين الأولى بما خبّؤوا له، والثانية والأخيرة بسؤالهم عما اختلفا فيه[3]، وللاختبار هنا ما يسوغه للتأكد من معرفة الكاهن بالماضي والمستقبل؛ نظراً لخطورة المُنافَرَة وما يترتب عليها من عواقب سياسية فقد تؤدي إلى حروب، واجتماعية تمس شرف القبيلة وعِرضها، مثلما حدث في مُنافَرَة هند بنت عُتبة والفَاكِه بن المغيرة، حيث أثبت الكاهن براءة هند مما رُميت به من اتهام.

قَسَمُ الكاهن:

يلجأ الكاهن إلى القسم ليؤكد أن ما حكم به هو حقّ لا شك فيه، وليبث الطمأنينة في نفوس المتنافرين. وأكثر ما جاء في القسم الحلف بالله – سبحانه وتعالى– بذكر مخلوقاته من الكواكب ومظاهر الطبيعة، وبالأماكن المقدسة، ومن ذلك قسم كاهن عُسْفان في

(1) محمد بن حبيب، المنمق: 110.

(2) المصدر نفسه: 107، وانظر المصدر نفسه: 113، 117، 119.

(3) المصدر نفسه:101.

مُنافَرَة عائذ بن عبدالله بن مَخْزُوم، والحارث بن أسد بن عبد العُزّى حيث قال: «حلفْتُ بربّ مكة واليمامة، ومن سلك بطن تِهامة[1]، لحجّ أو إقامة لقد خبّأتم لي بيضة نعامة.. حلفت بأَظْب عُفْر، بلَمّاعَة قَفْر، يردن بين سَلَم وسِدْر، إن سناء المجد ثم الفخر لفي عائذ إلى آخر الدّهر»[2].

يُقسم الكاهن في الخبر السابق بربّ مكة واليمامة، ومن سلك تِهامة، وبالأَظْبي العفر، أي أنه أقسم بالرب مضيفاً إليه اسم مكانين في الجزيرة العربية، وبمن يسلك تِهامة، وبالظباء التي يصف لونها ومكان حركتها. وبعض الكُهان يلجأ إلى القسم مرتين الأولى حين يخبرهم عما خبّؤوه، والأخيرة عند إطلاق حكمه، فتحكيمه يبدأ وينتهي بالقسم ليزرع الثقة والاطمئنان في نفوس المتنافرين؛ وليكسب كلامه المُسَجَّع شيئاً من القداسة من بدايته إلى نهايته.

وقد يقسم الكاهن مستخدماً السجع، ومثال ذلك مُنافَرَة مالك بن عُمَيْلَة وعُمَيْرَة بن هاجر عند الكاهن عُزّى سَلِمَة العُذْرِيّ «فقال أحلف بالنور والقمر، والسنا والدهر، والرياح والفطر[3]! لقد خبّأتم لي جثة نِسر...»[4]، أما في منافرة عبد المطلب وثَقِيف فيقسم الكاهن عُزّى سَلِمَة العُذْرِيّ شعراً قائلاً:

أَمَا وَربّ القُلَّص الرّوَاسِم ... يَحْمِلْنَ أَزْوالاً بِقَي طاسِم

إنّ سَنَاءَ المَجْدِ وَالمَكَارِم ... في شَيْبَةِ الحَمْدِ النَّدى ابْن هاشِم[5]

المُقسم به في هاتين المُنافَرَتين هو النور والقمر والدهر والرياح والقطر ورب القلص

---

(1) تِهامة: الأرض المُتصوبة إلى البحر، تشمل مكة. انظر: ياقوت الحموي– معجم البلدان، 2: 63.

(2) محمد بن حبيب– مصدر سابق: 108. أَظْب: جمع الظبي، والعفر: جمع عفراء أي لونها لون التراب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «ظبا». اللمّاعة: الفلاة التي تلمع بالسراب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «لمع».

(3) لعلّها: القطر؛ لوجود علاقة بين الرياح والقطر .

(4) محمد بن حبيب – المنمق: 110–111.

(5) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 102.

الرواسم، وأغلب الظن أن الكهان قد اعتقدوا أن مظاهر الطبيعة تحمل قوى خفية(1)؛ لذلك كانوا يقسمون بها، فيؤكد الكاهن للمتنافرين صدق كلامه من خلال القسم.

ولا نعدم وجود من يُقسم بالأصنام؛ فهذا الأقرع بن حابس الذي اشتُهر بمعرفته الدقيقة للأحساب، ونفّر عبدالله بن جرير البَجَلِيّ على خالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ؛ يقول في تنفيره: «واللات والعُزّى لو فاخرت قَيْصر الرُّوم، وكسرى عظيم فارس، والنُّعمان مَلِك العرب لنَفَّرتُك عليهم»(2). ونلاحظ هنا أن الأقرع بن حابس قد أقسم بصنمين من أشهر أصنام العرب، وبالغ في تنفيره حتى فضّله على قيصر الروم، وعظيم الفرس، والنُّعمان ملك العرب أيّ أنه رآه أفضل رجل في الدُّنيا في عصره.

طريقة تحكيم الكُهان:

عند التحكيم يعمد الحُكام من الحكماء إلى سؤال المتنافرين عن نسبهما ومناقبهما، وقلما نجد ذلك عند الحُكام الكُهان؛ إذ إنهم يصدرون حكمهم من دون الاستماع إلى المتنافرين؛ لأنه يعرف كلّ ما يلزم للتحكيم بين المتنافرين من نسبهما وسبب تنافرهما، ولا يعلل حُكمه في أغلب المُنافَرات؛ لأنه يعلم ما حدث وما سيحدث.

ونجد في بعض المُنافَرات القليلة تعليلاً لحُكْم الحَكَم المُنفِّر، مثل مُنافَرَة بني مَخْزُوم وبني أمية عند الكاهن سَطِيح الذئبي، إذ نفّر الوليد بن المغيرة على أَسِيد بن أبي العِيص من خلال التشبيه «ثمّ أَقْبَلَ عَلَيْهِما فقال: أمّا أَنْتَ يا وَلِيد فمثْلك مثْل جَبَلٍ مُوَزَّر، فيه الماءُ والشَجَر، وفيه للنّاس مُعْتَصَر، وَمَنْعَة الحيّ والوَزر، للخَيْرِ سَبّاق وللشَّرّ حذر. وأما أنت يا أَسِيد! فَمثْلك مثْل جَبَلٍ وَعرْ، فيه للمُقْتَبِسِين جَمْر، لا ورْد ولا صَدْر، الخَيْر عِنْدَك نَزْر، والشّرّ عِنْدَك أَمْر؛ فَلَج الوليد وَظفر، وخاب أَسِيد وخسر»(3).

---

(1) انظر: شوقي ضيف– الفن ومذاهبه في النثر العربي، 41.

(2) أبوعبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق،1:317.

(3) محمد بن حبيب – المنمق، 114.

* فئات أخرى من الحكام في المُنافَرات:

الملوك:

لجأ بعض المتنافرين إلى الملوك مثل النجاشي وكسرى عظيم فارس، ومن ذلك تحاكم حَرْب بن أُمَيَّة وهاشم بن عبد المطلب، بسبب قتل حَرْب بن أُمَيَّة تاجراً يهودياً، فقد «تنافرا إلى النجاشي ملك الحبشة فلم يدخل بينهما»[1]، ونستطيع أن نقول إن الحُكّام الملوك آثروا تحويل المتنافرين إلى حُكام آخرين؛ دفعاً للحرج الذي قد يقعون فيه، وحرصاً على كسب ود القبائل بالابتعاد عما بينها من مُنافَرات ومفاخرات.

وحكم النّعمان بن المنذر في مُنافَرَة حاجِب بن زُرارَة وقَيْس بن مَسْعُود، حين رفض الأول تفضيل النعمان بن المنذر لقَيْس بن مَسْعُود، مما جعله يلجأ للمُنافَرَة في أيّهم أكرم زوجة، وأكرم لئيم قوم، وأحسن أدب ناقة، وبعث معهما رجلاً ليخبره بما جرى في قوم كلا المتنافرين[2].

بعض القبائل والطوائف:

اشتهرت بعض القبائل بالتحكيم في المُنافَرات مثل بني الكَوَّاء، وعنهم قال الجاحظ: «ومن أصحاب الأخبار والنّسب والخُطب والحكم عند أصحاب النّفورات بنو الكَوَّاء وإياهم يعني مسكين بن أنيف الدّارمي حين ذكر أهل هذه الطبقة...

تَـعَـالَ إِلَـى بَـنِـي الـكَـوَّاءِ يَـقْـضُـوا ... بِـعِـلْـمِـهِـمُ بِـأَنْـسَـابِ الـرِّجَـالِ»[3]

ويدل هذا النص على شهرة بني الكَوّاء في تحكيم المُنافَرات بسبب علمهم بالأنساب التي تمثل روح المُنافَرَة.

---

(1) ابن الأثير – الكامل في التاريخ، 2: 553.

(2) انظر: ابن رشيق – العمدة 2: 940.

(3) الجاحظ – البيان والتبيين، 1: 351.

الشعراء:

هناك بعض الشّعراء اختيروا للتحكيم في المُنافَرات، في حين ادّعى بعض الشعراء تحكيمهم في المُنافَرات، وهذا الادعاء جاء رد فعل على حُكم الحُكّام الذي جاء مخالفاً لأهواء الشعراء الذين خذلوا بسبب مساواة الحَكَم بين المتنافرين، أو خذلان المنافر، فينصّب الشاعر نفسه حكَماً، وينتصر للمنافر الذي اختاره.

ومن الشعراء الذي حكّموا في المُنافَرات النابغة الذُّبْياني، فقد حكّم بين محمد بن أحيحة والزّبرقان بن بدر(1)، ويذكر ذلك ابن الجون الأشعري الذي قال: «فترافعا في حكومتهما إلى النابغة، وكان النابغة قد نصب قبّة بعكاظ، وفعل ذلك زُهَيْر بن أبي سُلمى، يسمع العرب منهما»(2). وهذا يشير إلى قيام بعض الشعراء بالتحكيم مثل زُهَيْر بن أبي سُلمى والنابغة الذُّبْياني، مما يدل على مكانة الشاعر في المجتمع الجاهلي، وثقة الناس بالشعراء وبالدور الذي يؤدونه، وبدورهم في القبيلة، فهم يفخرون بأمجادها، وهو الدور الإعلامي والأدبي. وهو دور مهم، لكن النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى يتجاوزان هذا الدور إلى دور مهم إذ يفصلون بين المتنازعين في أشهر أسواق العرب، وهو عكاظ، وتُنصب لهما فيه قبة.

إذاً قبة النابغة في عكاظ تحولت إلى محكمة تفصل بين المتخاصمين والمتنافرين، وتفاضل بين الشّعراء لتختار أفضل الشعر، ولعلّ حكومته بين الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء من الشهرة بمكان يغني عن ذكرها هنا(3).

وممن ادّعى التحكيم من الشعراء الأعشى ميمون بن قيس في مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل، ونجد هذا عند قراءة قصيدته الرائية، إذ يدّعي تحكيمه في حين أن

---

(1) اسمه الحُصَيْن، وكنيته أبوعَيّاش، وهو من بني بَهْدَلَة من تميم، ولقّب بالزِّبْرِقان، وهو اسم من أسماء القمر لوسامته، ولقّب أيضا بقمر أهل نجْد، وهو صحابي، وشاعر فصيح. انظر: محمد بن حبيب – المحبر: 232. وابن دريد – الاشتقاق: 254؛ والآمدي– المؤتلف والمختلف: 187.

(2) ابن الجون الأشعري– الرياض الأدبية في شرح الخمرطاسيّة: 163.

(3) انظر: الأصفهاني – الأغاني، 11: 8.

الحَكَم في هذه المُنافَرَة هو هَرِم بن قُطْبَة. وادعاء الأعشى هذا هو رد فعل على مساواة هَرِم بن قُطْبَة بين المتنافرين، ونوع من التنفير لعامر بن الطُّفَيْل على عَلْقَمَة بن عُلاثَة، «وادّعى الأعشى أنهما حكّماه، فحكم لعامر على علقمة، وقال في ذلك قصائد، منها التي أوّلها: أَعَلْقَمُ لَسْتَ إلى عَامِرٍ»(1).

وهذا الادّعاء ذكره الأعشى في شعره على أنه حقيقة، وقد يصدّق ذلك من لم يدرك أبعاد المُنافَرَة وتفاصيلها:

أَعَلْقَمُ قَدْ حَكَّمْتَني فَوَجَدْتّني بِكُمْ عَالِماً عَلى الحُكُومةِ غائِصا(2)

الأعشى يجسد ادعاءه شعراً لنصرة عامر بن الطُّفَيْل، فيُنصّب نفسه حَكَماً، ويفصل بين المتنافرين لصالح عامر بن الطُّفَيْل.

واستغل الأعشى سوق عكاظ لتحويل الادعاء إلى حقيقة بتهيئة ظروف تدعو لتصديق حكومته، ومن ثمّ تنفيره لعامر بن الطُّفَيْل «فلما رأوا هَرِماً لا يُظهر توجهوا إلى عكاظ فلقي أعشى بني قيس عامراً، [فقال]: ما الخطب يا أبا علي؟ فأخبره، وقال: إني قائل أبياتاً أتقوّل عليه، وأزعم أنكما حكّمْتماني، ثمّ وأنا واقف في سوق عكاظ أنشدها، فينشدها قواعد أصحابك أن يعقروا الإبل ويُحفظ الشّعر، ففعل وغدا الأعشى فقال – ورفع عقيرته، أي صوته بالغناء–:

عَلْقَمَ لا لَسْتَ مِنْ عامِرٍ النّاقِضِ الأَوْتارَ والواتِرِ
سُدتَّ بني الأَحْوَصِ لَمْ تَعْدُهُمْ وَعَامِرٌ سادَ بَني عامِرِ

... فَسَمِعتْهُ مُلَيْكَة بنت الحُطيئة، فوضعت البَوْغَاء على رأسها وهتفت: حرباه؟ (ولا حرباه) هذا والله شعر أبي بصير»(3).

---

(1) ابن نباتة – سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: 165– 166.

(2) ديوان الأعشى – تحقيق محمد محمد حسين: 185.

(3) أبوعبيدة – الديباج: 92–93. وانظر: ديوان الأعشى: 177 – 179. البوغاء: التراب، انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «بوغ».

مما سبق تتضح الخُطة التي وضعها الأعشى، ووافقه عليها عامر، خطّة تشيع ادعاء تحكيم الأعشى في المُنافَرَة، وتنفيره لعامر من خلال قصيدته، وعقر الإبل لتوزيعها على جموع الحاضرين في عكاظ، مما يؤدي إلى شيوع الادعاء فيصبح حقيقة بانتشارها بين الآخرين.

ولا شك في أن وضع مُلَيْكَة التراب على رأسها دليل على مدى خوفها من انتشار الادعاء ليصبح حقيقة، ولا نجد تعليقاً على تنفير ادعاء الأعشى لعامر إلاّ عند البغدادي الذي قال: «وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون، قبحه الله تعالى! هجا بها عَلْقَمَة بن عُلاثَة الصّحابي – رضي الله عنه، ومدح ابن عمه عامراً المذكور – لعنه الله تعالى!– وغلّبه عليه في الفخر»[1]، ولعلّ موقف البغدادي جاء بسبب الدافع الديني؛ فعلقمة من الصحابة في حين أن عامر بن الطُّفَيْل لم يسلم.

وممن ادّعى التحكيم الحطيئة في مُنافَـرَة عُيَيْنَة بن حِصْن وزَبَّان بن سَيَّار، «واعتزل جَرْوَل بن أَوْس الحطيئة فنفّر عُيَيْنَة فقال:

أَبَـى لَـكَ آباءٌ أَبَـى لَـكَ مَـجْـدُهُـم سِوَى المَجْدِ، فَانْظُر صاغِرا مَنْ تُنافِرُه»[2]

وادعاء الحطيئة التحكيم ومن ثم تنفيره لعُيَيْنَة هو رد فعل انتصر بها لمنافره الذي غُلب فيها.

3– الحُكّام العُدُول والمرتشون:

ومما يتصل بالحكام ما وصفوا به من عدل أو ظلم للآخرين قبولهم الرَّشْوَة مما يشكك في مدى صحة حكمهم. والعَدْل إحدى القيم التي حرص الجاهليون عليها وأدركوا أثرها في المجتمع، ومنهم أحد الرعاة الذي دخل على ربيعة بن حُذار الأَسْدي[3] بوصفه

---

(1) البغدادي – خزانة الأدب، 3: 398.

(2) أبو عبيدة، مصدر سابق: 98. وانظر: ديوان الحطيئة، 45.

(3) ذكر الميداني أن ربيعة بن جراد الأسلمي هو حكم هذه المنافرة، و لم يذكر ذلك أحد غيره. انظر الميداني– مجمع الأمثال، 3:258.

حكما في مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ، ليحثه على سرعة الفصل بينهما، وعلى تحري العدل في الحكم «فوالله لئن حكمْتَ بعدلٍ لا تزال حكم مُضر ما بقيت، ولئِن حكمتْ بجورٍ ليُحَطنّ أمرك، وليُتجهمن عدْلك»(1)، من خلال هذا النص يتضح أن العدل سبب الثقة في الحكم، ومن ثم ذيوع شهرته، أما الجَوْر فسبب لفقدان الثقة في الحكم.

ولعلّ شهرة الحكم بالعدل والثقة فيه قد تدفع المتنافرين إلى قبول التحاكم عند قريب منافره، مثلما حدث في المُنافَرَة التي وقعت بين محمد بن أُحَيْحَة والزِّبْرِقان بن بدر «فقال عمرو بن أُحيحة لأخيه محمد، وقد خلا به: إني لأخشى عليك السّقْطَة يا محمد، كيف تخاصم رجلاً في الحسب والسابقة إلى ابن عمه، قال محمد: وإن كان ذلك يا عمرو، والله لا حَكَمَ إلا بالحق، قال عمرو: ويحك إني لأوجل أن يغلب عليه الهوى والحَمِيَّة فيحكم عليك، وهو موقف عظيم، وخطر جسيم، قال محمد: دعني فإنّ نابغة لا يحكم إلاّ بالحقّ»(2). مما سبق نلاحظ أنّ الخوف من تغلب الهوى والعصبية دفعتا بعمرو بن أُحيحة إلى نصح أخيه بعدم التحاكم عند النابغة؛ لكنّ شهرة النابغة بالعدل أدّت إلى أن يثق محمد بن أحيحة بحكمه رغم أن منافره هو الزّبرقان بن بدر ابن عمّ النابغة الذُّبْياني. ولقد غضبت بعض بني تميم من النابغة بسبب تنفيره محمد بن أحيحة على الزِّبرقان، مما دفع بالنابغة إلى قول الشِّعر مبيِّناً أسباب تنفيره لمحمد، وأنه قد حكم بالعدل بين المتنافرين فقال في ذلك:

لما حَكَمْت وكَان حُكْمي مُقْسِطاً ... بالحق لما أن أتى الخَصْمَانِ(3)

ولقد تنافرت قبيلة خزاعة وقبيلة قريش عند عبد المطلب بن هاشم؛ ولعلّ ذلك بسبب ثقة قبيلة خزاعة في عبد المطلب لأنه حليفهم، فلن يظلمهم، فخطب فيهم عبد المطلب مما أدّى إلى الصلح بين القبيلتين(4).

---

(1) أبو العلاء صاعد البغدادي- الفصوص، 5: 299- 300.

(2) ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 136. والسَّقْطَة: العثرة والزلّة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «سقط».

(3) ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 137.

(4) انظر: الماوردي- أعلام النبوة، 159.

وحاول الأعشى أن يحول ادعاءه بالتحكيم في منافرة علقمة وعامر إلى حقيقة، فاستخدم كلمة «حكمتموني» و«قضى»؛ ليشعر السامع بأنه حكَم هذه المنافرة، وقد جاء هذا الادعاء في قوله:

حَكّمتُمُوني فَقَضى بَيْنَكُمْ ... أَبلَجُ مِثل القَمرِ الباهِرِ
لا يَأْخُذ الرَّشْوَة في حُكْمِهِ ... ولا يُبالي غَبَنَ الخاسِرِ»[1]

فهنا ينفي الأعشى أخذه الرَّشْوَة، وهو لا يحكم إلا بالعدل من دون مبالاة بالخاسر، وقال أيضاً:

أؤوّلُ الحُكْمَ على وجْهِهِ ... لَيْسَ قَضائي بالهوى الجائرِ
قَدْ قُلتُ قَوْلاً فَقَضى بَيْنَكُمْ ... وَاعْتَرَفَ المَنْفورُ للنّافِرِ»[2]

وينفي هنا الأعشى أن يكون قضاؤه اتباعاً للهوى؛ ليزيد الثقة بحكمه، بعد أن نفى أخذه الرَّشْوة، لكن رغم هذا فادعاء التحكيم هو كذبٌ وخداع.

ونقف عند الحكام العُدول والمرتشين؛ أما الحكام العُدول فقد وصفهم أبو عبيدة بحكماء العرب العُدول، وهم هَرِم بن قُطْبَة، وهَرِمُ بنُ سِنَان، ومعاوية بن مالك بن جعفر بن كِلاب[3]، وهَرِم بن قُطْبَة بن سيّار بن عمرو هو العُشْراء بن جابر بن عُقَيْل بن هِلال بنُ مازِن بن فَزَارَة، وإليه تنافر عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة[4]، فقد وصف بالعدل، وفيه قال لبيد بن ربيعة:

يا هرِماً وأَنْتَ أَهْلُ عَدْلِ ... أَنْ وَرَدَ الأَحْوَصُ ماءً قَبْلي
لَيَذْهَبَنَّ أَهلُهُ بِأَهْلي ... لا تَجْمَعَنَّ شَكْلَهُمْ وَشَكْلي[5]

---

(1) ديوان الأعشى: 177.

(2) المصدر نفسه: 179.

(3) انظر: أبو عبيدة – الديباج، 101.

(4) محمد بن حبيب– كتاب المحبر، 135.

(5) ديوان لبيد بن ربيعة: 343 – 344.

وهنا يستثير لبيد بن ربيعة عاطفة هَرِم بن قُطْبَة بوصفه بالعدل الذي اشتُهر به، وبعاقبة تنفير عَلْقَمَة بن عُلاثَة على عامر بن الطُّفَيْل الذي يقف معه لبيد بن ربيعة بحكم العصبية القبلية ويناصره بشعره.

والمرتشون من الحكام الذين ذكرهم أبو عبيدة كلهم فصلوا في المُنافَرات، ومن هؤلاء «ضَمْرَة بن ضَمْرَة النَّهْشَلِيّ وتحاكم إليه عبّادُ بن أنف الكلب، وسَبْرة بن عمرو الأسديان، فاسترشى ضَمْرَة عبّاداً ونفّره على سبرة، وأعطاه عبّادٌ عشراً من الإبل»(1). فالدافع المادي هنا وراء ارتشاء ضَمْرَة بن ضَمْرَة، ولعل الرَّشْوة هنا تفوق النُّفُورَة التي خصصت للحَكَم؛ إذ لم يذكر مقدار النُّفُورَة، مما دفع بسَبْرة إلى تذكيره بالأمانة التي لم يصنها، وبالعدل الذي حاد عنه من خلال شعر قال فيه:

يا ضَمْرُ كَيْفَ حَكَمْتَ أُمُّكَ هابِلٌ ... والحُكْمُ مَسْؤولٌ بِهِ المُتَعَمِّدُ

أَحَفِظْتَ عَهْداً أَمْ رَعَيْتَ أَمَانَةً ... أَمْ هَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِها لا يُنْشَدُ(2)

وبهذا يستنكر عليه أن يُضيّع الحق، ويخون الأمانة، وهو مسؤول عن حكمه. وهناك رجز نال فيه سَبْرة من ضَمْرَة بن ضَمْرَة(3).

ومن المرتشين الأقرع بن حابس الذي تنافر إليه جرير بن عبد الله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطَاة الكلبي، «فمدحه جرير ورضخ له رضخةً، فنفّر جريراً على خالد»(4)، وبهذا يكون الارتشاء نوعين؛ معنوي: مثل مدح الأقْرع بن حابِس، وماديّاً كما فعل عَبّاد بن أنف الكلب لما أعطى ضَمْرَة بن ضَمْرَة النَّهْشَلِيّ عشرة من الإبل، وعطاء جرير بن عبد الله للأقرع، والخبر لم يحدد نوع العطاء، ولا مقداره. ويُعدّ الأقرع أول من داهن وحابى

(1) أبو عبيدة– الديباج: 99.

(2) الجاحظ – الحيوان، 1: 319. هابل: الكثير اللّحم والشّحم. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «هبل».

(3) انظر: أبو عبيدة – مصدر سابق : 99.

(4) المصدر نفسه: 100. رضخ له: أعطاه، انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «رضخ».

في الحكومة كما ذكر أبو عبيدة(1).

ولا شك في أن لارتشاء الأقرع بن حابس ما يسوغه؛ وهو قرابة جرير بن عبدالله البَجَلِيّ لمضر وربيعة، لتنفي قبيلة مضر عنه تهمة الرَّشوة «فزعمت مُضر أن الأقرع بن حابس، وأنه لقرابته بمُضر وربيعة أفضل وأكثر عدداً بإخوته من قُضَاعَة؛ لأن قُضَاعَة بن مَعَدًّ، وهو عمّ هؤلاء»(2).

أما ثالث المرتشين من حكام الجاهلية فهو مَرْوَان بن زِنْباع العَبْسيّ(3) الذي «تحاكم إليه السّفاح التغلبي وعمرو بن لأي فارس مَخْلَد من بني تيم الله بن ثعلبة. فأهدى إليه عمرو، وأطعمه فنفّرة على السّفاح، وكان السّفاح أفضل منه»(4)، فالرَّشوة هنا هدية وإطعام مما أحرج السّفاح التغلبي، وجعله يحيد عن الحقّ الذي يتجسد هنا في استحقاق السفاح التغلبي التنفير على عمرو بن لأيٍ من بني تيم الله.

ب- طقوس المُنافَرَة/ التحكيم:

تتحول المُنافَرَة إلى مناصرة قبلية بخروج أفراد القبيلة ولاسيما الوجهاء والأشراف منهم لحضورها والتضامن مع منافر القبيلة، فانتصاره انتصار للقبيلة. ومثال ذلك مُنافَرَة عبد المطلب بن هاشم وجماعة من بني ثقيف، فقد روي أنه «خرج مع عبد المطلب نفر من قومه، وكان معه ولده الحارث، ولا ولد له يومئذ غيره، وخرج الثقفي الذي يُخاصم عبد المطلب، واسمه جُندب بن الحارث في نفر من ثقيف، فساروا جميعاً»(5).

---

(1) انظر: أبو عبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، 1: 309.

(2) المصدر نفسه، 1 : 312.

(3) هو مروان بن زِنْباع من بني غَطَفان، يقال له: مروان القَرَظ، وهو من مشهوري أهل الجاهلية في بعد الغارة، يضرب به المثل في العِزّ، فيقال: «أعزّ من مروان القَرَظ». انظر: ابن دريد – الاشتقاق: 278؛ والميداني – مجمع الأمثال، 2: 391.

(4) أبو عبيدة، الديباج: 100.

(5) محمد بن حبيب– المنمق: 99.

وقد تخرج النساء أحياناً إن تعلقت المُنافَرَة بامرأة؛ مثل هند بنت عتبة في مُنافَرَة عتبة بن ربيعة والفَاكِه بن المغيرة «فخرج الفاكه في جماعة من بني مَخْزُوم، وخرج عُتبة في جماعة من بني عبد مناف، وخرج معهم هند ونسوة معها»[1].

وفي سبيل مناصرة القبيلة تُنسى الخلافات، ويتحول تباعد الأقارب والأهل إلى تقارب وتواد، ومن ذلك ما جرى في مُنافَرَة عبد الله بن جرير وقُضَاعَة حين بلغ «ذلك أسد بن عبد الله، وكان بينه وبينه– أعني جريراً– تباعد، فأقبل في فوارس من قومه، ناصراً لجرير ومعاوناً له ومنجدًا، فزعموا أن أسداً أقبل في أصحابه، فرآه جرير، ورأى أصحابه في السلاح، فارتاع وخافه، فقيل له: هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك، فقال جرير: ليت لي بكلّ بلد ابن عم عاقّاً مثل أسد»[2]. ويشير هذا الخبر إلى ما يجري في المُنافَرات من خروج أفراد قبيلة المنافر في السّلاح، راكبين الإبل والمطايا، يتجلى ذلك مثلاً في مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل، إذ «خرج علقمة ببني الأحوص، فلم يتخلف منهم أحد، معهم القباب والجُزُر والقدور. ينحرون في كل منزل ويطعمون... فسار بنو عامر على الخيل مُجَنَّبِي الإبل، وعليهم السلاح»[3]. وهنا نجد حرص بني الأحوص على حضورهم جميعاً من دون تخلف أحد منهم، حاملين القباب للإقامة فيها، والجُزر والقدور لإعداد الطعام لهم، فما كان من بني عامر إلاّ مجاراتهم في حمل السّلاح والقباب والجُزر لإطعام القوم؛ كي لا يشعر بنو عامر بأنّهم أدنى من بني الأحوص مكانة، أو أقل قدراً.

وبهذا يتمثل دور القبيلة في المناصرة المعنوية والمادية، المعنوية بتأييده ونصرته بخروجهم معه، وحضور المُنافَرَة، وبتأييد شعراء القبيلة له، من خلال شّعرهم الذي يبرز محاسن القبيلة، وفضائل المتنافر خاصة، محاولاً أحياناً التأثير في الحكَم بمدحه، وبإظهار

---

(1) محمد بن حبيب– المنمق: 119.

(2) الأصفهاني – الأغاني، 5 : 22.

(3) المصدر نفسه، 16: 288 وانظر: ابن الجون الأشعري– الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 136. مُجَنَّبِي: تجنيب الإبل: أن تساق غير مركوبة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «جنب».

عواقب هزيمة منافره، مثلما حدث في مُنافَرَة علقمة وعامر، حيث ألقى لبيد بن ربيعة قصيدة في مجلس الحكم(1)، فقد «ثار مع عامر لبيدُ بن ربيعة والأعشى، ومع علقمة الحطيئةُ وفتيان من بني الأحوص، منهم السَّنْدَرِي بن يزيد بن شُريح(2)، ومروان بن سُراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص، وهم يرتجزون»(3). ولعلّ السبب في شهرة هذه المُنافَرَة يعود إلى كثرة الشعراء الذين شاركوا فيها وأهميتهم؛ إذ شارك لبيد بن ربيعة فيها لقرابته من عامر بن الطُّفَيْل، وأما الأعشى فقد طلب من عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة أن يحمياه من الإنس والجن والموت، فأدرك عامر مغزى أن يحميه من الموت بأداء ديته إلى أهله(4)، و لم يدرك ذلك عَلْقَمَة بن عُلاثَة؛ لذا ناصره شعراء بني الأحوص بالرجز إضافة إلى الحطيئة.

أما مناصرة القبيلة المادية للمنافر فتتمثل في إمداده بالإبل والمطايا والطعام، وكل ما يحتاج إليه في المُنافَرَة، وفي مساعدته في الوفاء بالنُّفُورَة.

ومن المؤسف أننا لا نظفر إلاّ بنصوص قليلة يمكن أن تصور لنا مشهد المحاكمة، فأحياناً تقام في القباب، ويشهدها المتنافران والحَكَم وقبيلتا المتنافرين، أو فرعا القبيلة إن كان المتنافران من القبيلة نفسها، وأحياناً قد تشهدها القبائل الأخرى إن أقيمت في أحد المواسم أو الأسواق، ولعلّ سوق عكاظ أكثر الأسواق التي كانت تقام فيها المُنافَرات وتصدر الأحكام.

وأما مشهد المحاكمة وكيفية مثول المتنافرين فيوضحه الخبر التالي «لما أتي نابغة أوقف محمد بن أحيحة هِجَانه صفّاً، وأوقف الزّبرقان هِجَانه صفّاً، ثم وقفا بين يدي زياد

---

(1) ديوان لبيد بن ربيعة: 343.

(2) الأصفهاني – الأغاني، 16: 292.هو ابن عَيْساء أحد بني عامر بن صَعْصَعة، وأمه أمة ليزيد بن شريح، وقد راجز لبيدا في مُنافَرَة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة. انظر: محمد بن حبيب – من نسب من الشعراء إلى أمه ، 1: 75؛ وابن دريد – الاشتقاق: 561.

(3) الأصفهاني– مصدر سابق، 16: 289.

(4) المصدر نفسه،9: 120.

النابغة، وشهدهما من كان بعكاظ من وجوه العرب»(1). إذاً نستطيع القول إن كلاً من المتنافرين يقابل صاحبه، في حين ينتظم هِجَانه ومناصروه من قبيلته في صفّ واحد، متقابلين لهِجَان المتنافر الآخر.

وفي المحاكمة يطلب الحَكَم من المتنافرين كليهما أن ينتسبا، ويعددا الصفات التي ترجح كفّة كل منهما عند الحُكم، ومثال ذلك ما جرى في مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ عند ربيعة بن حُذار الأسدي حيث قال لهما: «هاتيا مكارمكما. فقال خالد: أعطيت يوماً من سأل، وأطعمت من أكل، ونصبتُ قُدوري فأطعمت، حتى وضعت الشَّمال ذيولها، وطعنت يوم شُوَاحِط فارساً، فخللت فخذيه بفرسه. فقال ربيعة: هات يا قعقاع ما عندك. فأخرج قوس حاجب فقال: هذه قوس عمي رهنها عند العرب، فاستدفؤوا من القُرّ...»(2). ونلاحظ هنا أن خالد بن مالك النَّهْشَلِيّ ركّز اهتمامه على صفاته الشخصية التي يفتخر بها، في حين ركز القَعْقاع بن مَعْبَد اهتمامه على أمجاد قومه ومآثرهم، و لم يذكر شيئاً يخصّه. وذكرنا سابقاً أن جوهر المُنافَرَة هو التفاخر بالآباء والأجداد، ولأن القَعْقاع بن مَعْبَد فخر بآبائه نفّر على خالد بن مالك النَّهْشَلِيّ الذي فخر بنفسه.

وهناك طريقة فريدة في التحكيم تتجلى في أن يذكر كلا المتنافرين من يفخران به من أجداد وآباء وأقارب، فيوازن الحكم بينهما فرداً فرداً، ومن ذلك ما نجده في مُنافَرَة الزّبرقان بن بدر ومحمد بن أحيحة، حيث وازن النابغة بينهما قائلاً «شتّان بين محمد والزّبرقان، وشتان بين أحيحة وبدر، وشتّان بين الجلاح وعامر، فأما عامر فصاحب ضأن وإبل وانتجاع... وخيل وسهل، وأما الجَلاح فصاحب حِكَم وبيان وكفاح وطعان

(1) ابن الجون الأشعري– الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 136.

(2) أبو العلاء صاعد البغدادي– كتاب الفصوص، 5: 298. ذكر محقق هذا الكتاب أنه وردت في احدى النسخ «عن العرب»، الشّمال: الريح التي تهُبّ من ناحية القطب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «شمل» .وشُواحِط: يوم انتصر فيه بنو محارب بن خَصَفة على بني عامر بن صعصعة بن كلاب. انظر: أبو عبيدة– كتاب أيام العرب، 2: 342.

وخيل ورهان وخمر وقيان، فالجلاح أفضل من عامر...»(1).

ولا نجد أمثلة كثيرة لهذا الضرب من المنافرة، وطريقة التحكيم فيها، ولكن يبدو أنها كانت مستمرة، ونجد ذلك فيما وصل إلينا من أخبار عن العصر الأموي حيث افتخر رجلان بباب معاوية بن أبي سفيان، أحدهما من بني شَيْبَان، والآخر من بني عامر بن صعصعة، وعدّ كلّ منهما عشرة من قومه يفخر بهم، وصادف وجود حكمين من قومهما، فحكما بينهما بالموازنة بين رجال قومهم فرداً فرداً(2).

ج- الأحكام

إن النظر في أحكام الحكام في المُنافَرات يقودنا إلى أنها لم تخرج عن الأحكام الآتية:

* تنفير أحد المتنافرين على الآخر.
* الصلح بينهما.
* المساواة بينهما.
* أو تحويلهما إلى حكم آخر.

ولقد حرص الكهّان على تنفير أحد المتنافرين على الآخر كما أوضحنا ذلك في الصفحات السابقة عند حديثنا عن الكهان، ودورهم في الحكومة بين المتنافرين.

ولعلّ خطورة الأحكام وما تؤدي إليه من وقوع الشّرّ والفتن بين القبائل أو في القبيلة نفسها دفعت ببعض الحكام إلى تحويل المتنافرين إلى حكام آخرين، مثلما حدث في مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد وزيد بن عبد الله بن جندل بن نهشل، إذ «تنافرا إلى أكثم بن صيفيّ أيّهما أكرم، وجعلا بينهما مئة من الإبل لمن كان أكرمهما، فقال أكثم بن صيفيّ: سفيهان يُريدان الشّر، وطلب إليهما أن يرجعا عما جاءا له، فأبيا، فبعث معهما رجلاً إلى ربيعة

(1) ابن الجون الأشعري- الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 136.

(2) انظر: ابن رشيق القيرواني- العمدة، 2: 936.

بن جُرَاد»(1). ولا شك في أن حِكمة أكثم بن صَيْفي وإدراكه لمخاطر المُنافَرَة جعلته يعدّ المتنافرين سفيهين لا يُدركان ما تؤدي إليه، فأبى أن يحكم حتى لا يكون سبباً في وقوع الشّرّ والفتنة.

وتنافر عبد المطلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة إلى النّجاشيّ ملك الحبشة، لكنه رفض التحكيم(2) بينهما حرصاً على كسب ودّ القبائل جميعها، وحفظاً لمكانته بينها بالابتعاد عما يدور فيها من مفاخرات ومُنافَرات. وخير مثال على تحويل بعض الحُكّام المتنافرين إلى حكام آخرين مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل حين تنافرا إلى سفيان بن حرب فأبى أن يحكم بينهما، لوجود صلة القرابة بين المتنافرين، وما قد تؤدي إليه المُنافَرَة من قطع للأرحام والصلات.

وتميّز أغلب حكام قريش بابتعادهم عن التحكيم في مُنافَرَة علقمة وعامر، حتى أن مروان بن سُراقة بن قتادة أشار إلى ذلك في شعره، لحثّهم على التحكيم، فقد قال:

يالَ قُرَيْشٍ بَيّنوا الكَلامَا	إنّا رَضِينا مِنْكُمُ الأَحْكامَا
فَبَيّنوا إنْ كُنْتُمُ حُكّاما	كان أَبُونا لَهُمُ إمَامَا(3)

1- تنفير أحد الطرفين:

كثر تنفير أحد المتنافرين على الآخر عند الحكام والكُهّان خاصة، مثل مُنافَرَة بني مَخْزُوم وبني أميّة، عندما اختلفوا في أيّهما أكرم نسباً، وحكم بينهما الكاهن سَطِيح، فنفّر الوليد بن المغيرة المَخْزُوميّ على أَسِيد بن أبي العِيص قائلاً: «بالنُّجُودِ أَحْلف وبالتَّهائِم، ثم ببِيتِ الله ذي الدَّعائِم، وكلٍّ منْ حَجّ على شُداقَم، إني بما جئتم به لعا لم، إن

(1) الميداني- مجمع الأمثال، 3: 258.

(2) انظر: محمد بن حبيب- المنمق، 95 وانظر: تاريخ الطبري، 1: 505.

(3) الأصفهاني- الأغاني، 16: 287.

ابن مَخْزُوم أخو المكارم، فارجع يا أَسِيد بأنف راغـم»[1]. وهنا يبدأ الكـاهن سَطِيح كلامه بالقسم ليؤكده، وينفّر ابن مَخْزُوم على أَسِيد بن أبي العِيص.

ولعلّ ما يسوغ حرص الكُهّان على تنفير أحد المتنافرين هو اشتهارهم بمعرفة الغيب؛ أي أنهم على علم مسبق بأحوال المتنافرين، لذا فإنهم مضطرون لتنفير أحد الطرفين على الآخر، ولو افترضنا جدلاً اكتفاء الكاهن بالمساواة والإصلاح فإن هذا سيشكك في معرفتهم وعلمهم، علاوة على حرصهم على الفوز بالنُّفُورَة التي خصصت لهم في حالة تنفيرهم لأحد الطرفين. فضلاً عن أن الإصلاح بين المتنافرين وما قد تؤدي إليه المُنافَرَة من شرّ وغيره لا يُشكّل همّاً وشاغلاً لهم ذلك؛ لأن أمور القبائل لا تعنيهم، إلى جانب بعدهم المكاني عن القبائل المتنافرة، فأغلب الكهان يعتزلون في مكان العبادة في الشام واليمن، على خلاف الحكام الحكماء الذين تشغلهم شؤون القبيلة، ويتطلعون دوماً إلى حلّ مشاكلها، وإبعادها عن المشاحنات المولدة للصراعات والحروب.

ولكي نؤكد على تنفير الحكام لأحد الطرفين نسوق أمثلة أخرى منها: مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ حيث نفّر ربيعة بن حُذار الأسدي القَعْقاع بن مَعْبَد على خالد النَّهْشَلِيّ[2]، ومُنافَرَة بني فَزارَة وبني هِلال فقد قضى الحكم أنسُ بن مُدرك للفزاريين على بني هِلال[3].

2- المساواة بين المتنافريْن:

يراعي بعض الحُكّام صلات القربى بين المتنافرين، ويحرصون على العلاقات بين

---

(1) محمد بن حبيب- المنمق: 114. النُّجود: مفردها نَجْد؛ أي الطريق المرتفع الواضح. التهائم: مفرد التَّهْمَة، أي الأرض القريبة من البحر. الدعائم: مفرد الدّعامة أي عمود البيت أو الخشبة التي يقوم عليها البناء. شُدَاقِم: اسم فحْل من فحول الإبل عند العرب. انظر: ابن منظور - لسان العرب، مادة «نجد» و«تهم» و«شدقم».

(2) انظر: أبو العلاء صاعد البغدادي- كتاب الفصوص، 5: 298.

(3) الميداني- مجمع الأمثال، 1: 196.

القبائل، حتى لا يُزرعوا الشر فيها؛ لذا يلجؤون إلى المساواة التي تعني أن كلا الطرفين يتمتع بصفات متقاربة، من كرم النسب إلى جانب الأخلاق الحميدة.

وحاول بعض الحكام المساواة بين المتنافرين، لكنّ العصبية القبلية والرغبة في التنفير حالت دون ذلك، ومن ذلك مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ إذ «تحاكما إلى ربيعة بن حُذار، فجهد أن يتكافآ فأبيا، وكان عدلاً عاقلاً... وقال: إني نفّرت من كان جده زُرارة وعمّه حاجباً، وأبوه معبدا»(1)، وهنا حين أخفق مسعى الحكم في المساواة بين المتنافرين اضطر إلى تنفير أحدهما على الآخر.

وخير مثال على المساواة بين المتنافرين ما جرى في مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل، فقد هاب الحكام الفصل بينهما، إلى أن احتكما إلى هَرِم بن قُطْبَة الذي عمد إلى بعض الحيل؛ ليجعل المتنافرين يختاران المساواة خوفاً من تنفير أحدهما على الآخر. ومن هذه الحيل الاختفاء عن أنظارهما، مما أدّى بهما إلى المُهاترة والمجادلة، وقد قصد من وراء ذلك أن يصيبهما المَلَل والضيق فينصرفا. وتنقل الروايات أن هرماً استدعى كلاً منهما سراً، ومدح منافره، مما جعل كلاً منهما يطلب المساواة؛ قال عامر: «أنشدك الله والرّحم أن لا تُفضل علي علقمة، فوالله لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً. هذه ناصيتي فاجُززها، واحتكم في مالي، فإن كنت لا بد فاعلاً فسوِّ بيني وبينه... ثم أرسل إلى علقمة سرّاً لا يعلم به عامر. فقال: إني لأحسب فيك خيراً، وأن لك رأياً، وما حبستُك هذه الأيام إلاّ لتنصرف عن صاحبك. أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب، وأبوه أبوك؟... فقال له علقمة: أنشدك الله والرّحم ألاّ تُنفّر علي عامراً، اجُزز ناصيتي، واحتكم في مالي، وإن كنت لا بد أن تفعل فسوّ بيني وبينه»(2).

فكما يلاحظ من الخبر السابق أن هَرِم بن قُطْبَة حاول أن يبعث الخوف في نفسيهما

(1) أبوعبيدة– الديباج، 95–96.

(2) الأصفهاني– الأغاني، 16: 291 وانظر الرواية الأخرى في المصدر نفسه، 16: 292. الأدرم: ما سقطت أسنانه من الإبل وما تراكب شحمه ولحمه. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «درم».

من عاقبة تنفير أحدهما على الآخر، وأوهم كلاً منهما أنه سينفر منافره، معدداً صفات الخصم، مما دفع بهما إلى الاستعداد للتضحية بالنفس والمال، شريطة ألا يُنفّر عليه إن كان لا بد من الحكم لأحدهما، أو أن يُساوي بينهما، مما مهّد لقبولهما المساواة بنفس راضية، ومما قاله هَرِم بن قُطْبَة في ذلك: «يا بني جعفر؛ قد تحاكمتما عندي، وأنتما كركبتي البعير الأَدْرَم، تقعان إلى الأرض معاً، ليس فيكما أحد إلاّ وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم. وعمد بنو هرم وبنو أخيه إلى تلك الجزر، فنحروها، حيث أمرهم هرم عن علقمة عشراً وعن عامر عشراً، وفرّقوا الناس»(1).

ونلاحظ هنا أن هَرِم بن قُطْبَة استخدم الوصف ليساوي بينهما، حيث شبههما بركبتي البعير اللتين يعتمد عليهما في الوقوف والوقوع، وهذه المساواة لا تعني أنهما متشابهان تماماً في شخصيتهما، فكل منهما له صفات تميزه عن الآخر؛ لكنهما في آخر الأمر متساويان، فهما أبناء عمومة، وقد ذكّرهما بذلك في البدء حين ناداهما ببني جعفر، وهما مصدر فخر القبيلة، فلا تُذكر قبيلة بني عامر إلاّ وذُكرا معها.

إن ثقة الناس بتحكيم هَرِم بن قُطْبَة جاء من حكمته في معالجته الأمور وحفظه للأسرار، والذي يؤكد ذلك الخبر الذي يرويه الأصفهاني، بقول: «عاش هَرِم حتى أدرك سلطان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عمر فقال: يا هرم؛ أي الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت؟، فقال: لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جَذَعَة، ولبلغت شعاف هَجَر(2). فقال عمر: نعم مُسْتَوْدَع السر، ومسندُ الأمر إليه أنت يا هَرِم، مثل هذا فليسُد العشيرة. وقال: إلى مثلك فَلْيَسْتَبْضِع القوم أحكامهم»(3)، وهذا دليل على أن المُنافَرَة قد تؤدي إلى حروب وفتن في كثير من الأحيان، على ا لرغم من تهذيب الإسلام للنفوس؛ إلاّ أنّ العصبية القبلية تثور أحياناً في النفوس، لذا فضّل هَرِم الصمت؛ ولهذا

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16: 293، 294.

(2) هَجَر: موضع في البحرين. انظر ياقوت الحموي – معجم البلدان، 5: 393.

(3) الأصفهاني– مصدر سابق، 16: 293. جَذَعَة: جديدة كما بدأت. شعاف: رؤوس الجبال. يستبضع: أيّ إذا شفيته عمّا يسأل عنه من أحكام وبيّنت له: حتى يشتفي. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «جذع» و«شعف» و«بضع».

رأى فيه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – مثالاً للحكم الحكيم، الأمين على الأسرار، والجدير بثقة الناس.

3- الإصلاح بين المتنافرين:

سعى الحُكّام إلى الإصلاح بين المتنافرين، خوفاً من عواقب تنفير أحدهما على الآخر، وما سيؤدي إليه هذا التنفير من فتن وخلافات، وأحياناً مناوشات وحروب. وهذا ما دفع مَرثد الخير إلى الإصلاح بين سُبَيْع بن الحارث ومَيْثَم بن مُثَوِّب، وقد «كان مَرْثَد الخَيْر بن يَنْكَف بن نَوْف بن مَعدِ يكَرِب بن مُضْحِي قَيْلاً، وكان حَدِباً على عشيرته، مُحبّاً لصلاحهم، وكان سُبَيْع بن الحارث أخو عَلَس – وعلس هو ذو جَدَن – ومَيْثَم بن مُثَوِّب بن ذي رُعَيْن تنازعا الشّرف حتى تشاحنا، وخيف أن يقع في حيّيهما شر فيتفانى جِذْمَاهُما، فبعث إليهما مَرْثَد، فأحضرهما ليُصلح بينهما»(1)، وألقى خطبة للإصلاح بين المتنافرين.

يتبين لنا من الخبر السابق أن سبب المُنافَرَة بين مَيْثَم بن مُثَوِّب وسُبَيْع بن الحارث هو تنازعهما في أيّهما أولى بالشّرف والمكانة الأسنى؛ مما أدّى إلى وقوع الخلاف والمشاحنة بينهما، وخُشي معه وقوع الحروب والشّر بين حييهما. ومن شعر مرثد الخير في بيان مخاطر المُنافَرَة وآثارها قوله:

وَلا تَجْنِيا حَرْباً تَجُر عَلَيْكُما عَوَاقِبُها يَوْماً مِنَ الشّر أَشْأَما

فَإِن جُناة الحَرْبِ للحَيْن عُرْضَةٌ تُفَوّقُهُم مِنْها الذُّعاف المُقسّما

حَذار فَلا تَسْتَنْبِشوها فَإِنّها تُغادِرُ ذا الأَنْف الأَشَم مُكَشّما(2)

---

(1) القالي– الأمالي، 1: 92. القَيْل: لفظة تطلق على الملوك من حمير، جمعها أَقْيال. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «قول».

(2) القالي – الأمالي، 1: 93. تفوّقهم: تسقيهم الفُواق، وهو ما بين الحلبتين. الذّعاف: السمّ القاتل. المقسّم: المخلوط. مُكشّم: مقطوع. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «فاق» و«ذعف» و«قسم» و«كشم».

وهذا الشعر الذي قاله بعد الخطبة دفع بالمتنافرين إلى قبول النّصح، والامتثال لرأيه باختيار السّلم خوفاً من آثار الحرب، وجاء الصّلح هنا قبل بدء المُنافَرَة.

وقد يعمد بعض الحُكّام إلى تأخير المتنافرين، وعدم الفصل بينهما لدفعهما إلى الصلح، ومن ذلك ما حدث في مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة وخالد النَّهْشَلِيّ حين «خرج إليهم [يعني ربيعة بن حُذار الأسدي]، فقال: قد أردتُ أن ترجعوا أُلاّفاً كراماً فأبيتم، يا بني أسدٍ اركبوا الخيل، فإذا نفّرت فاعزلوا نصيبي»(1). وحين لم تجد دعوة ربيعة بن حُذار الأسدي للصلح صدى عند المتنافرين أمر بعزل نصيبه من النُّفُورَة، ونفّر القعقاع على خالد النَّهْشَلِيّ.

وقد يستعد المتنافران للمُنافَرَة بتحديد مكانها وزمانها؛ ولكن سعاة الصلح يحولون دون وقوعها، وذلك مثل المُنافَرَة التي كادت أن تحدث بين حاتم الطائي وسعد بن حارثة ابن لَأْم؛ لأن حاتماً الطائي أجار الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس، فثار سعد؛ لأنه يرى أن الإجارة من حقه فقط، فقد وهبهم النعمان بن المنذر ربع الطريق طُعْمَة(2) لهم، ولأجل هذا فمن حقهم أخذ الإتاوات ممن يمرّ بهم من قوافل التجارة التي تعبر منطقتهم، ولوجود مصاهرة بين النعمان بن المنذر وبينهم، فبنو لأم بهذا يتمتعون بمكانة سياسية واجتماعية. إن حاتماً الطائي حين طلب منه سعد بن لأْم التخلي عن إجارته للحكم بن أبي العاصي أطار أرنبة أنف سعد بن حارثة، فاتفقوا على التنافر في سوق الحيرة؛ لذا سعى إِيَاس بن قَبِيصَة(3) إلى النّعمان بن المنذر ونصحه «فقال: أنعم صباحاً أبيت اللعن، فقال النّعمان: وحيّاك إلهك، فقال إياس: أتمدّ أختانك بالمال والخيل، وجعلت بني ثُعلة في قعر الكِنانَة! أظنّ أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن

---

(1) أبو العلاء صاعد البغدادي– كتاب الفصوص، 5: 300.

(2) الطُعْمَة: أي إتاوة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «طعم».

(3) هو إِياس بن قَبيصَة من هَنِيّ، وهم بطن من طيئ ، كان عامل كسرى على الحيرة والعرب الذين يلونهم بعد النعمان بن المنذر، وهو الذي هزم الروم لمّا نزلوا النهروان. انظر: أبوعبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، 1: 631 و 3: 791؛ وابن دريد – الاشتقاق 386؛ هبة الله الحلي – المناقب الزيدية،1: 160.

جُوَيْن، و لم يشعروا أن بني حيّة بالبلد، فإن شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دماً، فليحضروا مجادهم غداً بمجمع العرب. فعرف النّعمان الغضب في وجهِهِ وكلامه، فقال له النعمان: يا أحلمنا لا تغضب، فإني سأكفيك. وأرسل النّعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه أن انظروا ابن عمّكم حاتماً، فأرضوه، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه، وما أطيق بني حيّة. فخرج بنو لَأْم إلى حاتم فقالوا له: أعرض عن هذا المجاد ندعْ أَرْشَ أنفِ ابن عمنا، قال: لا، والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم، ويغلب مجادكم. فتركوا أرشَ أنف صاحبهم وأفراسهم، وقالوا: قبّحها الله وأبعدها، فإنما هي مقارف، فعمد إليها حاتم، وأطعمها الناس، وسقاهم الخمر»(1).

وهنا نجد أن إِيَاس بن قَبيصَة قد وضح للنعمان بن المنذر خطورة الأمر برمته، وبيّن له الأسباب التي أدّت للمُنافَرَة وحذره من عواقبها، إذ إن وقوف النعمان بن المنذر مع أصهاره وإمداده لهم بالخيل والمال سيؤدي إلى إشعال الحرب، فحاتم الطائي ليس مثل عامر بن جُوين؛ فلن يسكت ويدع حقه في الإجارة، لذا لجأ إلى المُنافَرَة.

لقد أدرك النّعمان بن المنذر خطورة الموقف بعد حديثه مع إِيَاس بن قَبيصَة، فقرر السعي للصلح، نتيجة خوفه على ماله من التبذير فيما لا يفيده، وسيكون سبباً في إشعال الحروب. فضلاً عن أنّ النّعمان لا طاقة له ببني حيّة.

فجاء الصلح بتنازل بني لَأْم عن أَرْش أنف صاحبهم، والنُّفُورَة من الأفراس، فأطعم حاتم الطائي الناس. ويمكن أن نعدّ ما حدث صُلحاً لأن المُنافَرَة لم تحدث، ويمكن عده تنفيراً لحاتم على سعد بن حارثة لانسحابه وتسليمه للنُّفُورَة.

وإذا كانت العصبية تشجع بعض أفراد القبيلة على التنفير؛ فإن أصوات الحكماء ترتفع لنزع فتيل الحرب، ولإعادة الهدوء والطمأنينة إلى النفوس، والاستقرار النسبي إلى القبائل.

---

(1) الأصفهاني– الأغاني، 17: 372. المِجاد: من مرادفات المنافرة، وقد جاء ذلك في التمهيد. أرش: هو دية الجراحات، مقارف: غير أصيل. ثُعل: هو ثُعل بن عمرو من بطون طيئ بنو حيّة بن بَهْدَلَة: من بطون طيئ. أختان: أصْهار. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «أرش» و«قرف» و«ثعل» و«ختن».

د- الحُكم ووسائل تنفيذه:

يصدر الحكم حكمه بعد الاستماع للمتنافرين وإلى الحجج التي تقنعه بتنفير أحدهما على الآخر، وقد يأتي حكمه نثراً مسجوعاً، وفي أحيان أخرى يكون شعراً، ينفّر فيه أحد المتنافرين، ويكون تنفيره تارة مسوّغاً، وغير مسوّغ تارة أخرى.

ومن أهم أسباب تنفير الحكم لأحد المتنافرين كرم النسب، وهو جوهر المُنافَرَة، ومثال ذلك ما جرى في مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ عند ربيعة بن حُذار الأسدي عندما «نادى ربيعة: إن السّماح واللّهى والباع، والشّرف الأسنَعَ للقعقاع، إلاّ أنّي قد نفّرت من كان أبوه معبداً، وعمّه حاجباً، وجدّه زُرارة»(1)، فكما يتضح أن ربيعة قد نفّر القعقاع لكرم أصله، وأمجاد أهله؛ في حين خُذل خالد النَّهْشَلِيّ لأنه افتخر بنفسه وبأفعاله، ولم يفتخر بنسبه وأهله.

ولا يكفي كرم النسب من دون الاتصاف بالفضائل والتّحلي بمكارم الأخلاق، وهذا ما اعتمد عليه نُفَيْل بن عبد العُزَّى حين حَكَم بين حَرْب بن أُمَيَّة وعبد المطلب بن هاشم، ولم يكن أميّة في نفسه هنَاك، وإنّما رفعه أبوه وبنوه، وكان مضعوفاً وكان صاحب عِهَار، يدل على ذلك قول نُفَيْل بن عبد العُزَّى جدّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين تنافر إليه حَرْب بن أُمَيَّة وعبد المطلب بن هاشم، فنفّر عبد المطلب، وتعجب من إقدامه [حَرْب بن أُمَيَّة] وقال:

أَبُوكَ مُعَاهِرٌ، وَأَبُوهُ عَفٌّ   وَذادَ الفَيلَ عَنْ بَلد حَرَام»(2)

وهنا ارتجل الحكم شعراً ليبين سبب تنفيره.

ولا بد أن يفتخر المنافر بأصله الحقيقي لا بانتسابه إلى غير أهله؛ ومن ذلك ما جرى في مُنافَرَة عُيَيْنَة بن حِصْن وزَبَّان بن سَيَّار عند الكاهنة العز:

(1) أبو العلاء صاعد البغدادي- كتاب الفصوص، 5: 301. اللّهى: جمع لُهوة، وهي العطيّة، الأَسْنع: المرتفع. انظر: ابن منظور - لسان العرب، مادة «لهو».

(2) المقريزي- كتاب النزاع والتخاصم فيما بين أمية وهاشم: 41. وقوله هناك: أي بالمكان أو المستوى الذي يستطيع به مُنافَرَة عمّه أو ابن عمّه. العِهَار: الفجور. انظر: ابن منظور - لسان العرب، مادة «عهر».

«فقال عُيَيْنَة: أنا ابن الجون.

فقال زبان: بزينة أم عمرو.

فقال عُيَيْنَة: عليه. فلم يرض، وكان يُقال: إن بدر بن عمرو بن الجون الكندي، وأن عُيَيْنَة لما اعتزى إلى الجون، وكان معتلياً لزبان، فلما ترك نسبه في بني فَزارَة وفخر بفخر غيره قالت: افتخرت بفخر ليس لك، وتركت ما في يديك، فكأنما نفّرت زبان، فطلب زبان المئة النُّفُورَة، فقال عُيَيْنَة: أنا أفضل منك نفساً وأباً ولكنها جارت»(1).

ويتبين هنا رغبة عُيَيْنَة في انتسابه إلى الجون الكندي ليغلب منافره؛ لكن الكاهنة العز اعتمدت هنا على حقيقة النسب لا على ما كان يقال من أن « أم بدر كانت عند الجون الكندي فحملت ببدر، وخلف عليها عمرو بن جونة بن لُوذان، فولدت له بدراً على فراشه»(2). إن الكاهنة قد حكمت بما هو معروف عن نسب عُيَيْنة لا على ما يُقال من انتسابه لابن الجون الكِندي، مما جعل عُيَيْنَة يظنّ أنها جارت عليه.

وإذا كانت الكاهنة العز هنا قد جارت على عُيَيْنَة بن حِصْن كما ظن؛ فإن الأقرع بن حابس في مُنافَرَة جرير البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ نفّر جريراً على خالد، وبالغ في تنفيره «فقال الأقرع: واللات والعُزّى، لو فاخرت قيصر ملك الروم، وكسرى عظيم فارس، والنّعمان ملك العرب لنفّرتك عليهم»(3)، وأكد الأقرع حكمه بالقسم باللات والعزى فبالغ في تنفيره، فجعل جريراً أفضل من الملوك في ذلك الوقت، ولعل اتهام الأقرع بن حابس بالرشوة يجعل التنفير والمبالغة فيها ثمناً لهذه الرشوة.

ويلجأ بعض الحكام إلى السجع في أحكامهم ولاسيما الكهان منهم، ومثال ذلك مُنافَرَة عبد المطلب بن هاشم وبني ثقيف، حين «قالا له: أخبرنا فيما اختصمنا؟ قال: أحلف بالضياء والظُلَم، والبيت ذي الحرم، أن المال ذا الهرم للقرشي ذي الكرم»(4). فهنا

(1) أبو عبيدة – الديباج: 97.

(2) عبد الكريم النهشلي– الممتع في صنعة الشِّعر: 155.

(3) الأسود الغندجاني– فرحة الأديب: 109.

(4) محمد بن حبيب– المنمق: 101.

أقسم الكاهن بالضياء والظُلَم والكعبة بأن المال لعبد المطلب بن هاشم. ونُفّر عبد المطلب ابن هـاشم على حَرْب بن أُميَّة عند نُفَيْل بن عبد العُزَّى؛ إذ قال موجّهاً كلامه لحَرْب بن أُميَّة: «يا أبا عمرو، أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأوسم وسامة، وأعظم منك هامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صفْداً، وأطول منك مِذْوَداً، وإني لأقول هذا وإن فيك لخصالاً: إنك لبعيدُ الغضب، رفيع الصيت في العرب، جَلْد المريرة، تحبك العشيرة، لكنك نافَرْتَ مُنَفَّراً»(1). فكما نلاحظ فإن الخبر يدلنا على أن النسب والحسب ليس سبباً للتنفير هنا، ولعل ذلك يعود إلى أن المتنافرين ينتميان إلى أصل واحد، مما جعل الحكم يعتمد على الصفات الجسدية والمعنوية للمتنافرين، كالطول والوسامة والهامة وكثرة الولد والعطاء والذود عن العرض والشرف.

وفي مُنافَرَة عبد المطلب وبني ثقيف حكم الكاهن بينهما بالشعر عندما «قال عبد المطلب: اقضِ لصاحب الخيرات الكُبَر، ومن كان أبوه سيد مُضَر، وساقي الحجيج إذا كثر، فقال الكاهن (الرجز):

أَمَا وَرِب القُلَّص الرّوَاسِم يَحْمِلْن أَزْوالا بِقَي طاسِم

إن سَناء المَجْد وَالمَكارِم في شَيْبَة الحَمْد النَّدى ابْن هاشِم

فقال عبد المطلب: اقض بين قومي وقومه، أيهم أفضل، فقال:

إن مَقالي فَاسْمَعُوا شَهَادَةْ أَن بَنِي النّضْر كِرام سَادَةْ

مِن مُضَر الحَمْراء في القِلادَة أَهْل سَناءٍ وَمُلوك قادَةْ

زِيارَة البَيْت لَهُم عِبَادَة»(2)

(1) محمد بن حبيب– المنمق : 95. لامة: عرضة للوم. الصَّفْد: العطاء. مِذْوَداً: دفاعاً عن عرضه وشرفه. نافرت مُنفراً: فاخرت من هو الغالب عليك. جَلْدُ المَريرَة: قوي العزيمة انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «لوم» و«ذود» و«جلد». وانظر: مُنافَرَة هاشم بن عبد مناف وحَرْب بن أُميَّة في الكامل في التاريخ، 2: 554.

(2) المصدر نفسه: 102. شَيْبة الحَمْد هو لقب عبد المطلب بن هاشم؛ لقب بذلك لنور وجهه ولأنه وجد في ذؤابته شعرة بيضاء عند مولده، انظر: الثعالبي – ثمار القلوب، 1: 97.

ويلاحظ أن المُنافَرَة انتقلت من شخصية إلى قبلية، وأصبح الحكم شهادة مصدقة بأن قبيلة مضر لها الشرف والقيادة، والمكانة الدينية. أما قوله: «مُضَر الحمراء» فإنه يشير إلى لقب اشتهرت به مضر؛ لأن مضر وربيعة عندما اقتسمتا الميراث، أخذت مضر الذهب، وأخذت ربيعة الفرس، وقيل إن شعار مضر في الحرب والرايات والعمائم هو اللون الأحمر(1).

وقد يلجأ الحكم إلى قول الشعر في التحكيم، ومثال ذلك مُنافَرَة مالك بن عُميلة وعميرة بن هاجر الخزاعي التي حكَم فيها الكاهن عُزّى سَلَمَة العُذْرِيّ فقال:

أَحْلِف بِالَمْرْوَة وَالَمشَــاعِر وَمَنْــحَر البُدْن لدى الحَزاوِر

وَكُل مَن حَج عَلَى عـُذافِر مِن بَيْن مَـطفور وَبَيْن نَاشِر

يُــؤم بَــيْــتَ الـلـه ذِي السَّتائِر أنّ سَــنــاء المَجْــدِ وَالَمفَــــاخِــر

لَـفِــي الـفَـتَــى عُـمَـيْـرَةَ بــنِ هَــاجِــر فَــارْجِـع أَخـا الـدَّارِ بِـجَـدٍّ عَـاثِـر(2)

وفي هذا الرجز لم يبتعد الكاهن عُزّى سَلِمَة العُذْرِيّ عن طريقة الكهّان في التحكيم حين أقسم بالمروة والمشاعر، ووضّح كيفية الحج عند الجاهليين، ليؤكد قسمه بأنّ سنا المجد والفخر هو في عميرة بن هاجر.

ولا يمتلك الحَكَم قوة أو سلطة تنفيذية لتنفذ أحكامه؛ لكنه يأخذ عهداً على المتنافرين بالامتثال لحكمه، وفي ذلك يقول جواد علي عن تنفيذ الأحكام «والقوة التنفيذية الوحيدة التي يستند إليها الحكم في تنفيذ حكمه هي العهود والمواثيق التي يأخذها من المتخاصمين بوجوب طاعة حكمه مهما كان... فقوة الحَكَم إذن معنوية، وكلمة شرف تصدر عن المتخاصمين بإطاعة الأمر»(3)، لكن الأمر في المُنافَرات يختلف قليلاً؛ فإلى جانب القوة المعنوية التي أشار إليها جواد علي هناك التزامات ومواثيق مادية، تتمثل في الرهائن الذين يحتجزون إلى أن يتم الالتزام بحكم الحكَم، وفي النُّفُورَة التي توضع في

---

(1) انظر ابن منظور– لسان العرب، مادة «مضر».

(2) محمد بن حبيب– المنمق: 110– 111.

(3) جواد علي – المفصل، 5: 497.

يد رجل محايد، وتقسم فور صدور الحُكم.

وقد يتعرض الحكم أحياناً– إن حكم لأحد الطرفين – لبعض التهديدات من الطرف المنفور، بإخراجه من مدينته أو قريته مثلما حدث لنُفَيْل بن عبد العُزَّى(1)، وكذلك هدد بعض بني تميم النابغة الذبياني؛ لأنه نفّر محمد بن أُحَيْحة على الزِّبْرِقان بن بدر التميمي(2).

هـ– زمن المُنافَرَة:

عندما تتهيّأ الأسباب للمُنافَرَة من خلاف وتنافس، يحدد الزمان والمكان والحكَم من خلال حوار المتنافرين، وفي ذلك يقول جواد علي «فإذا وافق الطرفان المتخاصمان على اختيار الحاكم أو المحكِّم ووافق الحاكم أو المحكمون على النظر في الدّعوى؛ عيّنوا موضعاً ووقتاً للنظر في القضية ولسماع البيّنات، ثم لإصدار الحُكم بعد الوقوف على حجج الخصماء»(3).

ويمكن أن تعقد المحاكمة في أيّ وقت، ولكن بعض الحكام تميزوا بالقضاء في وقت محدد من اليوم مثل «عامر الضّحْيان بن سعد بن الخزرج بن تَيْم الله بن النَّمَر بن قاسط(4). وكان يجلس للناس في الضّحى»(5)، حتى لقّب بالضحيان.

وهناك من قسّم أيامه ليجعل منها يوماً للتحكيم، وهو «غَيْلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف... وكان يجلس في أيام الموسم،

---

(1) انظر محمد بن حبيب– المنمق: 98.

(2) انظر: ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 137.

(3) جواد علي– المفصل، 5: 497.

(4) من رجال النَّمَر، وسيدهم في الجاهلية، وصاحب مرابعهم، كانت ربيعة بن نزار تعطيه من الغنيمة رغم عدم مشاركته في الحرب؛ وذلك لمكانته الكبيرة عندهم، وكان يقضي للناس وقت الضّحى؛ لذلك لقب بالضّحْيان. انظر: محمد بن حبيب – المحبر: 135؛ ابن دريد – الاشتقاق: 334.

(5) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 135.

فيحكم بين الناس يوماً، وينشد شعره يوماً، وينظر إلى وجهه يوماً» (1).

ولا نكاد نظفر إلاّ بإشارات قليلة عن زمن المُنافَرات، ونقصد بالزمن المدة الممتدة من وقت التنافر إلى التحكيم، و لم تشر الأخبار إلى زمن المنافرة غالباً، ونستطيع القول بأن المُنافَرات كانت تعقد بعد عام من الخلاف؛ كي يستعد المتنافران بتجهيز النُّفُورَة، والذهاب إلى المُنافَرَة مسلحين – أحياناً– لبيان قوتهم وشجاعتهم، ممتطين الخيول والإبل بصحبة وجهاء القبيلة وأفرادها، ونستثني من ذلك منافرة حاجب بن زُرارَة وقيس بن مسعود اللذين تنافرا أمام النعمان بن المنذر، فبعث معهما حكّاماً إلى قبيلتهما كي يتأكدوا من المعايير التي اتفق المتنافران عليها(2). مما يجعل الزمن بمقدار المسافة التي سيقطعونها في رحلتهم، أي ما تستغرقه الرحلة إلى قومهما في ديارهم، ثم العودة إلى النعمان من جديد.

وفي مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل بحث المتنافران طويلاً عمن يحكم بينهما، إلى أن قبل هَرِم بن قُطْبَة التحكيم «وأمرهما بالانصراف، ووعدهما ذلك اليوم من قابل، فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه... وأتوا هرماً فأقاموا عنده أياماً»(3). وهناك خبر آخر يشير إلى تحديد وقت المنافرة تحديداً دقيقاً إذ «انتهيا إليه [هَرِم بن قُطْبَة] مساءً، فأمر لكل واحد منهما بقُبّة، وأمر لهما بالإنزال، وما يحتاجان إليه»(4). وحاول محمد محمد حسين أن يحدد تاريخ منافرة علقمة وعامر، فيرى أنها وقعت بعد بعثة الرسول ﷺ وقبل العام الرابع الهجري(5).

وفي مُنافَرَة جرير بن عبدالله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ تحدد الزمن بتحديد

(1) محمد بن حبيب، المحبر، 135.

(2) انظر: ابن رشيق – العمدة، 2: 940.

(3) ابن نباتة– سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: 164. قابل: عام قابل أي عام مقبل. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «قبل» .

(4) الميداني– مجمع الأمثال، 2: 477.

(5) انظر: ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تحقيق محمد محمد حسين: 174.

المكان في قول خالد: إن «ميعادُنا من قابل سوق عُكَاظ»(1). وزمن المُنافَرَة قد يمتد إلى أكثر من عام مثلما حدث بين القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارة وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ؛ فقد «تواعدا إلى سبعة أرجاب يخرجان في كلّ عام خصيب، فلما صادفا ذلك العام، خرجا يردان الماء ويسقيان اللبن وينحران الإبل، حتى أتيا ربيعة وهو في قبّة من أَدَم، فاحتجب عنهما، حتى اشتدت عليهما النفقة، وعظمت عليهما المؤنة. فمر راعي غنمٍ على بابه فنادى: يا ربيعة، قد أكلت الإبل أوبارها وتساوكت غنمي»(2). فزمن المُنافَرَة هنا طويل جداً، امتدّ إلى سبعة أعوام، مما ألحق خسائر ماديّة جسيمة بالمتنافرين، تجلت في كثرة النحر والإنفاق.

و- مكان المُنافَرَة:

1- سوق عكاظ:

هي من أشهر الأسواق التي كانت تقام فيها المُنافَرات والمفاخرات، واسمها مأخوذ مما يجري فيها من العَكْظ، و«كان العرب يجتمعون فيها كل سنة شهراً، ويتناشدون ويتفاخرون، ثم يتفرقون، فهدمه الإسلام، وكانت فيها وقائع... يقال: أَدِيم عُكاظي منسوب إلى عكاظ، وسُمّي به لأن العرب كانت تجتمع كل سنة، فَيَعْكِظ بعضهم بعضاً بالمفاخرة والتناشد، أي يَدْعَك وَيَعْرَك، وفلان يَعْكِظ خصمه بالخصومة يَمْعَكُه»(3). واشتُقّ اسم عكاظ مما يجري في السوق من مفاخرات ومُنافَرات ونشيد للشعر، وأما موقعها فهو قريب من الطائف. وقيل إن عُكاظ «نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال، وبه كانت تُقام سوق العرب بموضع منه يقال له الأُثَيْداء»(4). وعُكاظ سوق من أسواق العرب، تعرض فيها البضائع للبيع، وموسم أيضاً من مواسم

(1) الأسود الغندجاني- فرحة الأديب: 108.

(2) أبو العلاء صاعد البغدادي- كتاب الفصوص، 5: 299. تساوكت: سارت متمايلة. انظر: ابن منظور - لسان العرب، مادة «سوك».

(3) الخليل بن أحمد- معجم العين، 1: 195. وانظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة «عكظ».

(4) الأُثَيْداء مكان بعكاظ. ياقوت الحموي- معجم البلدان، 1: 92.

العرب الجاهلية، حيث يحضر الشُّعراء وأشرف القبائل وبعض الكهّان وغيرهم، وتعقد هذه السوق سنوياً في شهر ذي القعدة، وتستمر إلى آخر الشهر[1]. ويمكن أن نشبّه سوق عكاظ بسوق حُرّة لم تفرض فيها نسبة من الأرباح لقبيلة بني تميم التي تُقام السوق على أرضها، مثل بقية الأسواق الأخرى[2].

ويمكن القول إن سوق عكاظ تمثل تجمعًا تجاريًا وقضائيًا وأدبيًا واجتماعيًا ودينيًا، فالتّجار يحضرون محملين بمختلف أنواع البضائع، وكان النعمان بن المنذر يبعث لَطِيمَة له لتباع، ويشترى بثمنها الأَدَم والحرير وغير ذلك[3]. وكان قيس بن زُهَيْر بن جُذَيْمة العَبْسي[4] يستغل وجوده في عكاظ ليأخذ من هوازن ما عليها من الإتاوة[5]، وقد تتم أحياناً خِطبة في سوق عكاظ[6]، وافتداء بعض الأسرى[7]، ويحضر السوق الشعراء والخطباء والكّهّان والرّهبان، ومنهم زُهْرَة بن سِرْحَان[8].

ومما يؤكد صحة ما ذهب إليه أغلب العلماء في قيام سوق عكاظ في شهر ذي القعدة هو حرص العرب على تجنب القتال فيه، ويتجلى هذا الحرص في أنهم إذا قدموا «عكاظ دفعت [أي العرب] أسلحتها إلى [عبدالله] بن جُدْعان، حتى يفرغوا من أسواقهم

---

(1) انظر: محمد بن حبيب – المحبر: 267.

(2) انظر: جواد علي– المفصل في تاريخ العرب، 7: 377.

(3) انظر: الأصفهاني– الأغاني، 22: 26. لَطِيمَة: هي العير التي تحمل الطيب وبَز التجارة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «لطم».

(4) هو قيس بن زهير بن جُذَيْمة العبسي، شاعر وخطيب، لقّب بقيس الرأي لحنكته ودهائه، ويضرب به المثل في الدهاء، ويقال: «أدهى من قيس»، وقاد غَطَفان كلّها، ولم تجتمع على أحد من قبله في الجاهلية ولا الإسلام. انظر: ابن دريد – الاشتقاق: 278؛ والمرزباني– معجم الشعراء: 178؛ والميداني – مجمع الأمثال، 2: 188.

(5) الأصفهاني– مصدر سابق، 11: 78.

(6) المصدر نفسه، 10: 23.

(7) القلقشندي– صبح الأعشى، 1: 468.

(8) انظر: الأصفهاني– مصدر سابق، 22: 26.

وحجّهم، ثم يردّها عليهم إذا ظعنوا، وكان سيداً حكيماً مثرياً من المال»(1)، ويأتي وضع الأسلحة لمنع أي قتال قد يحدث في الأشهر الحُرُم.

ووجود الحُكّام والكُهّان في سوق عكاظ دفع بالكثيرين ولاسيما المتنافرين إلى اختيار عكاظ للتحكيم فيه؛ يقول القلقشندي في ذلك: «ومن له حكومة ارتفع إلى من له الحكومة [أي القضاء]، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة فيها من بني تميم، وكان آخر من قام بها منهم الأقرع بن حابس التميمي»(2).

ونلاحظ مما سبق أن عكاظ أقيمت فيها محاكم مختلفة، منها المُنافَرات، وهي محاكم مرتبطة بموعد سنوي معروف بين القبائل، وحكَمَت فيه أفخاذ قبيلة بني تميم كلها، وقد صادف في أحيان كثيرة أن تلي القضاء والموسم، وهذا يدل على مكانة بني تميم بين القبائل؛ ولأن سوق عكاظ كانت تقام على أراضيها.

ومن المُنافَرات التي قُضي فيها في عُكاظ ما حدث بين محمد بن أحيحة والزّبرقان بن بدر، حين «ترافعا في حكومتهما إلى النابغة، وكان النابغة قد نَصَب قبّة بعُكاظ، وفعل ذلك أيضاً زُهَيْر بن أبي سُلمى، يَسْمع العرب منهما»(3). فهنا نرى أن كلاً من النابغة وزُهَيْر قد نصبت له قبّة لتمثل محكمة خاصة به، يفصل فيها بين المتنازعين، فيمتثل لحكمهما المتنازعان.

ومن المُنافَرات التي فُصل فيها في سوق عُكاظ مُنافَرَة جرير البَجَلِيّ، وخالد بن أبي أَرْطاة الكَلْبِيّ حين قال له رجل من بني كَلْب: «كأنك تستطيل على قُضَاعَة! فقال: ميعادك من قابل سوق عكاظ»(4)، وبتحديد المكان هنا يتحدد الزمن وهو في شهر ذي القعدة.

---

(1) أبو عبيدة– أيام العرب: 512.

(2) انظر: محمدبن حبيب – المحبر: 182، الفخذ هو ما انقسم من أفخاذ البطن، انظر ص 117 من هذه الدراسة.

(3) ابن الجون الأشعري– الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 136.

(4) أبو عبيدة– شرح نقائض جريرو الفرزدق، 1: 310.

ومن المُنافَرات التي كادت تحدث منافرة حاتم الطائي وابن عمّه سَعْد بن لأْم، لولا جهود الصلح التي بذلها النّعمان بن المنذر ليحمي نفسه وأصهاره من بني لَأْم، وقد حدّد بنو لَأْم مكان المُنافَرَة فقالوا: «بيننا وبينك سُوقُ الحيرة فنُماجدك»(1). ولعلّ اختيار الأسواق للتحكيم فيها يعود إلى رغبتهم في أن يشهد المُنافَرَة عدد كبير من الناس؛ ليعرفوا نتيجة المُنافَرَة، فيلتزم بذلك كل من المتنافرين بها.

2- منـزل الحكم:

من أمثال العرب «في بيته يُؤتى الحكم»، وأخذ المثل من القصة التي رويت على لسان الأرنب والثعلب حين احتكما إلى الضّب(2)، وفي ذلك يقول المثقّب العبدي(3):

ضَرَبَتْ -لمّا اسْتَقَلّتْ- مَثَلاً ... قَالَهُ القُوّالُ عَنْ غَيْرِ وَهَمْ

مَثَلاً يَضْرِبُهُ حُكّامُنا ... قَوْلُهُمْ فِي بَيْتِهِ يُؤْتى الحَكَمْ(4)

وإذا سلّمنا بأن هذين البيتين من الشعر الصحيح النسبة إلى المثقب العبدي لا المنحول؛ فإن هذا المثل جاهلي، مما يعني أنّ الحكّام كانوا يطلبون من المتنافرين وغيرهم من المتنازعين الحضور إلى منازلهم للفصل بينهم.

وكل المتنافرين سعوا بأنفسهم إلى الحكام من حكماء وكهّان، فذهبوا إلى الحكماء في منازلهم، وأما الكهّان فعقدوا المحاكمات في أماكن عبادتهم.

وتقام المحاكم عند الحكام الحكماء في منازلهم، ولا نعثر على وصفٍ لها، إلاّ كونها قُبّة من أَدَم عند بعض الحكام؛ مثل النابغة الذُّبْياني الذي تضرب له قبّة حمراء من أَدَم في سوق عُكاظ، ومثل ربيعة بن حذار الأسدي الذي فصل بين القَعْقاع بن مَعْبَد، وخالد بن مالك

(1) الأصفهاني- الأغاني، 17: 370.

(2) انظر: الميداني - مجمع الأمثال، 2: 442.

(3) اسمه عائِذ بن مُحْصِن، وقيل اسمه شَأْس بن عائذ بن مُحْصِن بن نَكْرَة، شاعر جاهلي. انظر: المرزباني- معجم الشعراء: 148.

(4) ديوان المثقب العبدي: 220.

ا النَّهْشَلِي(1)، وهَرِم بن قُطْبَة الذي أنزل المتنافرين عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة في قُبّة لكل منهما(2).

ولعل القبّة تؤكد المكانة الاجتماعية الرفيعة لصاحبها؛ فهي «تضرب للسادات الأشراف والأغنياء... فكان لرؤساء القبائل أصحاب العزّ قباب من أَدَم... وتعتبر هذه القباب من أمارات التعظيم والتفخيم والامتياز والجاه عند الملوك»(3)، وهذا يدل على ما يتميزون به من تقدير وتعظيم وثراء.

ومن الأخبار التي وصلتنا عن القَسِم بن عُقَيْل أنه كان يقول: «إن أول ما رأيت فيه الثّياب المصبّغة، والقِباب الحُمْر يوم جئتُ جريراً في قَسْر»(4)، ونملك بعض الوصف لما يمكن تسميته بكرسي القضاء– إن صح التعبير – عند ربيعة بن مُخاشِن؛ فقد ترجم له ابن حبيب فقال «ومن بني تميم ربيعة بن مخاشن بن معاوية بنُ شريف بن جِرْوَة بن أَسِيد بن عمرو بن تميم. وكان يجلس على سرير من خشب في قُبة من خشب فسُمّي ذا الأعواد»(5)، ولعلّ اللّقب هو الذي حفظ لنا هذا الوصف، وربما كان ربيعة بن مُخاشِن هو الوحيد الذي انفرد بقبّة من خشب، في حين أن أكثر الحُكّام أقاموا في قباب من أَدَم.

أما الحُكّام الكهّان فنظن أنهم عقدوا محاكمهم في أماكن عبادتهم التي هي مواضع تجمّع الكُهّان، كي يمارسوا كهانتهم، فإنه من الجائز لنا أن نعدّ تلك المعابد من محاكم الجاهليين آنذاك(6).

وقد تعددت أماكن وجود الكُهّان ممن حكّموا في المُنافَرات التي وصلتنا؛ فمنهم الكاهنة

---

(1) أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، 5: 299.

(2) الميداني – مجمع الأمثال، 2: 477.

(3) جواد علي – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 5 : 6.

(4) أبو عبيدة – شرح نقائض جرير و الفرزدق، 1: 310. قَسْر: بطن من قبيلة بَجيلَة. انظر: ابن دريد – الاشتقاق: 516.

(5) محمد بن حبيب – المحبر: 134.

(6) انظر: جواد علي – المفصل في تاريخ العرب، 5: 497.

العزّ في نَجْرَان(1)، والكاهن سَطِيح الذِئْبي في اليمن(2)، والكاهن الخُزاعي بعُسْفان(3)، والكاهن عزّى بن سَلَمَة العُذري في الشام(4). وفي مُنافَرَة حاجِب بن زُرارَة وقَيْس بن مَسْعُود جرت المُنافَرَة في أماكن قوم كلا المتنافرين(5).

ز- النُّفُورَة:

مرّ المعنى اللغوي للنُّفُورَة والنُّفارة، والكلمة الأولى منهما أكثر استخداماً في الأخبار والروايات، «والنُّفارَة مَا أَخَذَ النافِر مِنْ المَنفور، وَهُوَ الغَالِبُ، وَقيلَ: بَلْ هُوَ مَا أَخَذَهُ الحَاكِم»(6).

ويمكن تقسيم النُّفُورَة إلى مادية ومعنوية؛ مادية تتمثّل في الإبل والخيل غالباً، أما المعنوية فهي قليلة لا نجدها إلاّ في مُنافَرَة هاشم بن عبد مناف، وأمية بن عبد شمس، إذ اشترط عليه هاشم أن تكون النُّفُورَة مادية من خمسين ناقة سود الحَدَق، ومعنويـة بالجلاء عن مكة عشر سنين(7).

أما النُّفُورَة المادية فأغلبها مئة من الإبل في أكثر المُنـافَرات، مثل مُنافَرَة خِدَاش بن زُهَيْر(8)،

(1) أبو عبيدة – الديباج، 97.

(2) انظر محمد حبيب– المنمق: 113.

(3) انظر: المصدر نفسه: 107، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، 2: 554.

(4) محمد بن حبيب– مصدر سابق: 99.

(5) انظر: ابن رشيق – العمدة، 2: 940 ومابعدها.

(6) ابن منظور: لسان العرب، مادة «نفر».

(7) انظر محمد بن حبيب – مصدر سابق: 105؛ تاريخ الطبري، 1: 504؛ ابن الأثير– مصدر سابق، 2 : 554 الحَدَق: السواد المستدير وسط العين.

(8) هو من رجال بني ربيعة بن عامر، كان شاعراً وفارساً، وله بلاء في أيام الفُجار بين قريش وقيس، أدرك حُنَيْنًا وشهدها مع المشركين، وهو من حمقى العرب. انظر: ابن سلام – طبقات فحول الشعراء، 1: 144، وانظر: ابن دريد – الاشتقاق: 295.

وهُبَيْرَة بن عامر(1)، ومُنافَرَة عُيَيْنَة بن حِصْن وزَبَّان بن سَيَّار، ومُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ، ومُنافَرَة حاجِب بن زُرارَة وقَيْس بن مَسْعُود عند النعمان بن المنذر، ومُنافَرَة بني فَزارَة وبني هِلال(2)، التي قضى فيها «أنس بن مُدرك على الهِلاليين، فأخذ الفَزارِيّون منهم مئة بعير، وكانوا تراهنوا عليها»(3).

وقد تقسم النُّفُورَة ثلاثة أقسام للحَكَم، والنّافر، ولإطعام القوم، ويتضح ذلك فيما جرى في مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل التي حكّم فيها هَرِم بن قُطْبَة، «حيث خرج المتنافران ومع كل واحد منهما ثلاثمئة بعير يُعطى الحاكم منها مئة، ويعقِرُ مئة، ويأكل هو وأصحابه في الطريق مئة»(4)، وكذلك كان الحال في مُنافَرَة القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ، حيث ذكر ذلك أبو العلاء صاعد البغدادي: «فتنافرا على مئتي بعير، للقامر مئة، وللمنفّر مئة، وجعلا نُفُورتَهما إلى ربيعة بن حُذار الأسدي»(5). وأما القسم الثالث فهو لإطعام المتنافر وقومه، حيث جاء في وصية حاجِب بن زُرارَة للقعقاع بن معبد: «يا ابن أخي قد كرهت ما صنعت، ولكن هذه ثلاثمئة بعير فاركبها فأطعم، واعقر واعْبِط للنُّفُورَة مئة، وكانوا كذلك يفعلون في الجاهلية»(6). والجملة الأخيرة تشير إلى أن للنُّفُورَة ثلاثة أقسام أولها للنّافر، وثانيها للحَكَم، وثالثها لإطعام القوم في أثناء الرّحلة. وقد لا تشير بعض الكتب أحياناً إلى القسم الثالث، وربما لأنهم يرون ذلك من البديهيات، أو لأن ما خصّص للطعام لا يساوي بالضرورة قيمة النُّفُورَة؛ بل حسب ما يتوافر لدى المتنافر، حيث تُعين القبيلة المتنافر لتوفير النُّفُورَة التي قد يعجز عنها.

---

(1) هو هُبَيْرَة بن عامر بن الحُرّ بن قُشَيْر، أغار على النعمان بن المنذر بالقرب من البصرة، واكتسح أمواله وامرأته المتجرّدة ففرّ النعمان إلى الحيرة. انظر: هبة الله الحلي – المناقب الزيدية، 1: 454.

(2) انظر لمزيد من التفصيل عن هذه المنافرات: أبو عبيدة، الديباج: 95؛ الأصفهاني– الأغاني، 5: 23، 16: 286؛ الميداني– مجمع الأمثال، 1: 196، 212، 3: 258.

(3) الميداني– مصدر سابق،1: 196.

(4) أبو عبيدة– مصدر سابق: 89.

(5) أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، 5: 299.

(6) أبو عبيدة، مصدر سابق، 95. اعبط: انْحر. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «عبط».

والأمر مختلف في مُنافَرَة مالك بن عُميلة وعُميرة بن هاجر الخزاعي عن غيرها من المُنافَرات، وفي ذلك يقول محمد بن حبيب «فتداعيا إلى المُنافَرَة إلى الكاهن، فأيّهما فضّل الكاهن فله مئة من الإبل والفرس، فتواثقا ... وقاد كل واحد منهما عشرين بعيراً للكاهن»(1). إن النُّفُورَة هنا مزدوجة من الإبل والخيل، ونصيب الكاهن أقل من نصيب النافر، فنصيبه عشرون بعيراً.

وقد يُعطى الحكم (المنفّر) خمسين من الإبل مثل مُنافَرَة عائذ بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم والحارث بن أسد بن عبد العُزّى، فقد «جعلا بينهما كاهناً يقوم بعُسْفان، وجعلا للمُنفّر خمسين من الإبل»(2)، ولا يختلف الأمر بالنسبة إلى نُفُورَة الكاهن في مُنافَرَة الوليد بن المغيرة وأَسِيد بن أبي العِيص(3).

إن الحماس والتهور والثقة بالتنفير على الخصم. قد تدفع بالمتنافرين إلى المبالغة في النُّفُورَة التي قد تؤدي بأحدهما إلى فقر مدقع، أو غنى فاحش، وذلك رهن بحُكم المنفّر، ومثال ذلك ما جرى في مُنافَرَة جرير بن عبد الله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ، «فقال لجرير: ما نجعل؟ قال: الخطر في يدك. قال:ألف ناقة حمراء في ألف ناقة حمراء. فقال جرير : ألف قينة عذراء في ألف قَيْنَة عذراء، وإن شئت فألف أُوقِيَة صفــراء لألف أُوقِيَة صفراء»(4). تختلف النُّفُورَة هنا عن غيرها من النّفورات في المبالغة؛ فألف ناقة هي ثروة طائلة، بل ينتقل جرير بن عبد الله بنوعية النُّفُورَة من الإبل التي تعارفت القبائل على تقديمها في المُنافَرات إلى القَيْنَات العذارى، بل إلى أوقيات الذهب. وهذا يعطينا صورة لنوعية النُّفُورَة التي يقدمها بعض الأغنياء في العصر الجاهلي.

وتصل المبالغة في النُّفُورة إلى أقصى حدّ بفقد المنفور لجميع ماله؛ وذلك ما جرى من

---

(1) محمد بن حبيب– المنمق: 109.

(2) محمد بن حبيب – المنمق: 107.

(3) المصدر نفسه: 113.

(4) أبو عبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، 1: 301 ؛ الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: 108.
أُوقِيَة: زنة سبعة مثاقيل، وزنة أربعين درهما. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «وقي».

مُنافَرَة الوليد بن المغيرة وأَسِيد بن أبي العِيص بن أمية؛ إذ «قال أَسِيد: إن نفّرتك أخرجتك من مالك، وإن نفّرتني أخرجتني من مالي... وخرجوا وساقوا إبلاً ينحرها المنفّر »[1]. فالنُّفُورَة هنا المال جميعه، الذي يأخذه النّافر الغالب، أما نحر الإبل فهو تعبير عن فرحة أَسِيد بالتنفير على أبي ربيعة بن المُغيرة المَخْزُوميّ، حيث إنه بعدما نفّر على أبي ربيعة قام أَسِيد بنحر الجُزُر، «ورجع فأخذ مال أبي ربيعة، وكانت أخت أَسِيد عند أبي جهل، فكلمت أخاها حتّى ردّ على أبي ربيعة ماله »[2].

مما سبق يمكننا القول إن النُّفُورَة غالباً ما تكون مئة من الإبل للنّافر، ومئة أو أقل حسب اتفاق المتنافرين مع الحَكَم النّافر، وأكثر ما نجد ذكراً لنُفُورَة الحكم النافر عند الكهان.

ح- الرِّهـــــان:

يوضع الرِّهان لضمان الوفاء بالنُّفُورَة والرضوخ لحكم المنفر، إلى جانب كونه تأكيداً لقبول الحَكَم المنفّر وقد مرّ ذلك سابقاً.

وقد يلجأ المتنافران إلى وضع النُّفُورَة عند رجل قبل التحكيم لضمان الوفاء بالنُّفُورَة؛ ومثال ذلك ما حدث في مُنافَرَة عائذ بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، والحارب ابن أسد بن عبد العزّى؛ إذ «جعلا الإبل على يد المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مَخْزوم»[3]، وهو شقيق المتنافر عائذ بن عبدالله، ولعلّ هذا يدل على مدى ثقتهم ببعضهم بعضاً.

وفي مُنافَرَة حاتم الطائي وسعد بن لَأْم «وضعوا تسعة أفراس رهناً على يدي رجل من كَلْب؛ هو امرؤ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عُلَيْم بن جَنَاب»[4]. وقد

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 115.

(2) المصدر نفسه: 116.

(3) المصدر السابق: 107.

(4) الأصفهاني – الأغاني، 17: 370.

يعمد بعض الحكام ممن اعتذر عن عدم التنفير إلى حبس الإبل لحين الفصل في المُنافَرَة، ويتضح ذلك حينما بعث أكثم بن صيفي معهما رجلاً إلى ربيعة بن حُذار، وحبس إبلهما التي تنافرا عليها(1).

وقد يكون الرّهان بإبقاء الأسير ليفتديه أهله، وليستجيبوا للقبيلة التي أسرته، أو برهن الأشخاص لضمان خضوع قبائلهم، وبهذا لا يكون الرِّهان مقتصراً على المنافرات فحسب؛ وإنّما «استخدم رهن الأشخاص في الأمور السياسية في الغالب؛ إذ كان المقهورون من الملوك والأشراف وسادات القبائل يضعون أبناءهم أو أقرب الناس إليهم رهائن لدى الغالبين، تكـون وديعة عندهم، وضماناً بحسن سلوكهم، وبعدم خروجهم على طاعة الغالبين»(2). وقد يكون هدف الرهن إبقاء قبائل الرهائن محافظة على الولاء للغالبين، لا يخرجون عن طاعتهم، ويناصرونهم متى طُلب منهم.

وعمد النّعمان بن المنذر إلى استخدام رهائن العرب في الحروب؛ لضمان ولاء القبائل العربية له، فحياة الرهائن مرتبطة بحسن تصرف رؤساء القبائل، وعدم معارضتهم لمصالح النّعمان بن المنذر الذي اعتاد أن يخرج برهائنه في الحروب، «وكانت له خمس كتائب: الرّهائن، والصنائع، والوضائع، والأشاهب، ودَوْسَر؛ أما الرهائن فإنهم كانوا خمسمئة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة، ثم يجيء بدلهم خمسمئة أخرى، وينصرف أولئك إلى أحيائهم، فكان الملك يغزو بهم، ويوجههم في أموره »(3).

وقد ذُكر أمر الرّهان في أشهر منافرتين؛ الأولى: بين عَلْقَمَة بن عُلاثَة، وعامر بن

---

(1) انظر: الميداني– مجمع الأمثال، 3: 258.

(2) جواد علي – المفصل في تاريخ العرب، 5: 622 ، 623.

(3) الميداني – مصدر سابق، 1: 207. الصَّنائع: هم من خواصّ الملك، لا يبرحون بابه، وهم من بني قيس وبني تيم اللات. الوضائع: هم ألف رجل من الفرس، يضعهم النعمان في الحيرة للنجدة، ويتمّ تبديلهم كل سنة. الأشاهِب: هم أخوة النعمان بن المنذر، وبنو عمّه، ومن يتبعهم، لقبوا بالأشاهب لبياض وجوههم. دَوْسَر: هي كتيبة من أخشن الكتائب، وأكثرها نكاية وبطشاً، وأكثرهم من قبيلة ربيعة. انظر: الميداني – مجمع الأمثال، 1: 207.

الطُّفَيْل، والثانية: بين جرير بن عبد الله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ.

ففي مُنافَرَة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل لجؤوا إلى وضع الرّهان لضمان الوفاء بالنُّفُورَة، «ووضعوا بها رهناً من أبنائهم، على يدي رجل من بني الوحيد، فسُمّي الضمين إلى السّاعة، وهو الكفيل »(1). ويشير هذا النّصّ إلى أن الرّهائن من الرجال يُوضعون على يد رجل أو رجال من قبائل أخرى، إضافة إلى أن من يوضع لديه الرهائن يُسمّى بالضمين والكفيل، ولعل الأخبار لم تذكر الرِّهان لأنه من الأمور التي اعتادوا عليها في الوفاء بالنّفورة.

وهناك من جعل الأصنام كفيلة بالوفاء بالنُّفُورَة، ولم يمنعه ذلك من وضع رهائن لضمان حقه، وهذا ما جرى في مُنافَرَة جرير بن عبد الله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطاة الكَلْبِي الذي «قال : من لي بالوفاء؟ قال [جرير]: كفيلك اللاّت والعُزّى، وإِساف، ونائِلَة، وشَمْسُ، ويَعُوقُ، وذُو الخَلَصَة ونَسْر. فمن عليك بالوفاء؟ قال: وَدّ، ومَناة، وفَلْس ورُضا. قال جرير: لك بالوفاء سبعون غلاماً مُعِمّا مُخْوِلاً، يوضعون على أيدي من سمّينا من قريش »(2). ولعل المتنافرين جعلا الأصنام كفيلة لهما؛ لأن هذه المنافرة على قدر كبير من الأهمية، فهي بين قبيلتين كبيرتين: قضاعة وأقسامها، وبين قبيلة أَنْمار وأقسامها التي تضمّ بجيلة وغيرها، ولإجبار المنفور على الوفاء بالنفورة لأنه جعل الآلهة كفيلة له، ومع هذا فقد وضعوا رهائن أيضاً من الغلمان على يد الكفيل القُرشيّ هو عُقبة بن ربيعة بن عبد شمس(3). بهذا نجد أن الرّهان في المُنافَرات يعتمد على وضع النُّفُورَة في يد رجل، أو بوضع رهائن من الرجال لدى إحدى القبائل التي يثق بها المتنافران، ويرضيان بها.

---

(1) الأصفهاني– الأغاني، 16: 286. بنو الوحيد: هم بطن من بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعَة. انظر: ابن دريد – الاشتقاق: 296.

(2) الأسود الغندجاني– فُرحة الأديب: 109. مُعمّ مُخول: أي كريم الأعمام والأخوال. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «خول » و«عمم» .

(3) انظر: أبو عبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، 1: 301.

الفصل الثاني
أنواع المنافرات ومجالاتها وآثارها

أولاً: أنواع المنافرات:

المنافرة محاكمة في المفاخرة بالأنساب والأحساب؛ لذا من المهم الحديث عن تقسيم القبيلة، ومعرفة أسماء فروعها، وهذه المعرفة تفيد في تحديد أنواع المنافرات التي أساسها معرفة الأنساب، وسأعرض أقسام القبيلة مع تعريفها باختصار، والإحالة على مصادرها.

أ- طبقات أنساب العرب:

1- الشَّعْب: وهو النسب الأبعد الذي تنتسب إليه القبائل مثل عَدنان، وجمعه شُعُوب، وسُمّي بذلك لأن القبائل تتشعب منه.

2- القَبيلة: وهو ما انقسم فيه الشعب، وينتمون إلى أب واحد، عدا ثلاث قبائل مثلما يرى ابن حزم وهي: تَنُوخ والعُتْق وغَسَّان، فإنّ كلّ قبيلة منها تنتمي إلى عدة بُطُون.

3- العَمَارة: وهو ما انقسم فيها أنساب القبيلة كقريش، وتجمع العَمَارة على عَمَائر وعمارات.

4- البَطْن: وهو ما انقسم فيه أنساب العَمَارة كبني عبد مناف، وبني مَخْزُوم، وتجمع على بُطُون وأبطُن.

5- الفَخِذ: وهو ما انقسم فيه أنساب البطن كبني هاشم وبني أُمَيَّة، وتجمع على أفخاذ.

6- العَشيرة: وقد زادها بعضهم ومنهم أبو عبيدة مَعْمر بن المُثنى، وعرّفها بأنها رَهط الرّجل الأدنون، ووضعها قبل الفَصِيلَة.

7- الفَصِيلة: وهو ما انقسم فيه أنساب الفَخِذ كبني العباس وبني أبي طالب، وتجمع على فصائل.

وقد يطلق لفظ الحيّ على كل طبقات أنساب العرب، أو على الخصوص فيُقال حيّ بني فلان. وتُسمى القبيلة باسم الأب كربيعة ومُضر والأَوْس والخَزْرج، أو باسم الأم

كخِنْدِف وبَجِيلَة. ونورد مثالاً على هذه الطبقات: كِنانَة قبيلة، وقُريش عَمَارة، وقُصيّ بَطْن، وهاشم فَخِذ، والعباس فَصيلة(1).

ولم يهتم العرب بتقسيم طبقات الأنساب فحسب؛ وإنما ورد كثير من الروايات والأخبار عن بيوت العرب، وبيوت بعض القبائل، وما اشتُهرت به من فرسان وشعراء وكرماء وغيرهم. وهو أمر مهم حتى يعرف المتفاخر والمتنافر بمن يفخر كل منهما؛ لينتصر على مفاخره أو منافره، والمقصود بالبيت أي أشرف بطون القبيلة وأفخاذها. ونجد هذا التحديد في ردّ النعمان بن المنذر على كسرى، حين سأله عن ذلك فقال النعمان بن المنذر: «من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع؛ فالبيت من قبيلته فيه، ويُنسب إليه»(2).

ويرى ابن خلدون أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء، وغالباً ما ينحدر بعد ذلك، ويستشهد على ذلك من القرآن الكريم والسُّنة النبويّة، ويُسوِّغ ابن خلدون سبب تحديد أربعة آباء، فالأب قد عانى في بنائه المجد ومحافظته على الخِلال فهو مجتهد، أما الأب الثاني فإنه قد سمع عما عاناه أبوه، فهو مُقلد له، والثالث يُقلد من دون أن يُحس بما عاناه جدّه، والرابع يُقصر غالباً عن مجاراة أجداده وآبائه، ويظنّ أن المجد سهل المنال؛ لأنه ناله من دون معاناة ولاتكلف(3).

واهتمام العرب بالأنساب جعلهم يحددون أشهر بيوت العرب، ولقد ذكر أبو عبيدة هذه البيوت فقال «بيوت العرب ثلاثة: فبيت قَيْس في الجاهلية بنو فَزارَة، ومركزه بنو بَدْر، وبيت رَبيعة بنو شَيْبَان ومركزه ذو الجَدَّين، وبيت تميم بنو عبد الله بن دارِم، ومركزه بنو زُرارَة»(4).

---

(1) انظر: ابن رشيق– العمدة، 2: 879، القلقشندي – صبح الأعشى، 1: 359، جواد علي – المفصل، 4: 313.

(2) القلقشندي – مصدر سابق، 1: 432.

(3) انظر: ابن خلدون– المقدمة: 240.

(4) ابن رشيق – مصدر سابق، 1: 882.

وفي وفود العرب إلى كسرى يقدّم النعمان بن المنذر بعض بيوت العرب أيضاً، ومثّلهم في الوفد قيس بن عاصم السّعدي، والأشعث الكِندي(1).

ونقف عند رواية ابن سلاّم الجمحيّ عن مفاخر بعض القبائل إذ ذكر أنه «كان يُقال: إذا كُنت من تميم ففاخر بحَنْظَلة، وكاثر بسَعْد، وحارب بعَمْرو، وإذا كنت من قَيْس ففاخر بغَطَفان، وكاثر بهَوَازِن، وحارب بسُلَيْم، وإذا كنت من بَكْر ففاخر بشَيْبَان، وكاثر بشَيْبَان، وحارب بشَيْبَان»(2).

وهذه الرواية تدل على أن بنى شَيْبَان قد حازوا الشجاعة، والكثرة، وغيرها من الصفات التي يفتخر بها العربي. وإذا كانت بنو شَيْبَان قد حازت كل هذا فلا غرابة في ذلك؛ لأنهم من بني تَغْلبة وفيهم قيل: «ليس من العرب أربعة إخوة أنجَبُ ولا أعدُّ ولا أكثر من بني تَغْلبة بن عُكابة، وكان يقال له: الأغرُّ، والحِصْن، وبنوه شَيْبَان، وذُهْلٌ، وقَيْسٌ، وتَيْمُ الله»(3). وهذه المعرفة مهمة بالنسبة للمتنافر؛ ليعرف بمن يفخر في منافرته، وليبرز مفاخر قبيلته كلّها ببطونها وأفخاذها من حيث العدد والشجاعة والمفاخر الأخرى.

ب- أنواع المنافرات:

لجأ العرب في الجاهلية إلى المنافرات لأنها إحدى وسائل الفصل بينهم فيما هم فيه مختلفون، ويعتمد الحكم على عراقة النسب خاصة، إلى جانب غيرها من الفضائل التي يتمتع بها المتنافران، وبهذا نستطيع أن نقول إن المنافرة ثلاثة أنواع:

1- منافرة في القبيلة الواحدة.

2- منافرة تقع بين قبيلتين.

---

(1) القلقشندي - صبح الأعشى، 1: 432.

(2) ابن رشيق - العمدة، 1: 188 .

(3) المصدر نفسه، 2: 188.

3- منافرة شخصية قد تتحول إلى قبلية.

1- منافرة في القبيلة الواحدة:

قد تقع المنافرة بين رجلين في القبيلة الواحدة أو فروعها، ومثالها منافرة عبد المطلب ابن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة في أمر التاجر اليهودي الذي حرّض حَرْب بن أُمَيَّة أصحابه على قتله التاجر مما دعاهما للتنافر، وفي ذلك يقول الحكم المُنفِّر نُفَيْل بن عَبْد العُزّى بن رِيَاح:

أَبُوكُما وَاحِدٌ، والفَرْعُ بَيْنَكُمَا   مِنْه الخِشَاشُ، وَمِنْهُ النَّاضِرُ اليَنِعُ[1]

ومثال آخر على ذلك منافرة هاشم بن عبد مناف وأُمَيَّة بن عبد شمس، وهما فخذان من بَطْن عبد مناف بن قُصي بن كِلاب[2]، ومن المنافرات التي وقعت في القبيلة الواحدة منافرة عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر بن عدي بن فَزارَة وزَبّان بن سَيّار بن مَنْظور بن سيّار أحد بني مازن بن فَزارَة، وهي بَطْن من بني ذُبْيان، ومن أفخاذها بنو عَدِيّ وبنو مازن[3]، ومنافرة عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر بن الطُّفيل التي وقعت في القبيلة الواحدة لكنّها شخصية كما سنرى، ومنافرة القعقاع بن معبد وخالد بن مالك النهشلي، وكلاهما من قبيلة بني تميم، ونلاحظ مما سبق أن المنافرات في القبيلة الواحدة تقع بين الأفخاذ خاصّة.

وإذا كانت المنافرة تقع بين الأقارب من القبيلة ذاتها، وبين أبناء العمومة؛ فإنها قد تقع بين الإخوة أيضاً مثال منافرة بني لُؤي بن غالب حيث اتُهم عامر بن لؤي بقتل أخيه عمرو الذي نهشته الأفعى. وهنا تعني المنافرة المحاكمة بمبناها العام، ولا تختص بالنسب لأنهم إخوة، وإن وصفهم الكاهن سَطِيح الذِّئْبِيّ بكرم النسب قائلاً «بنو لُؤَي أهل سَناء

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 97. الخِشاش: عويد من الخشب يوضع في أنف الناقة لتكون سهلة الانقياد. انظر: ابن منظور– لسان العرب، مادة «خشش» .

(2) انظر: محمد بن حبيب – المنمق: 103.

(3) انظر: أبوعبيدة – الديباج: 97.

وشرف وسؤدد ورفعة، والأمر كائن فيهم غدا»[1]، فقد نسب السّناء والشرف والرفعة والسؤدد إلى بني لؤي، وتنبّأ بصيرورة الأمر إليهم في المستقبل.

2- منــافرة بين قبيلتين:

قد تقع المنافرة بين قبيلتين مثل منافرة بني فَزارَة وبني هِلاَل[2]، ومثل منافرة مالك بن عُميلة بن السَّبَّاق بن عبد الدّار بن قُصيّ وعُمَيْرة بن هاجر الخُزَاعي بسبب خلافهم على مراهنة الخيل[3]، ومثل منافرة خالد بن وهب ومعبد بن الأَشْتَر بن حَجْوَان الفَقْعَسِيّ[4]، ومنافرة محمد بن الجُلاَّح الأَوْسي والزِّبْرِقان بن بَدر بن عامر التميمي[5] ومنافرة قريش وخُزاعة[6]، ومنافرة عبد الله بن جرير البَجَلي وخالد بن أرطاة الكلبي[7].

3- منافرة شخصية لا قبلية:

قد يحدد المُنفِّر نوع المنافرة من خلال معرفته بالمتنافرين، ومثال ذلك منافرة الشاعرين الإسلاميين جَوّاس بن قُطْبة العُذْري وجميل بن عبد الله بن مَعْمر المعروف بجميل بثينة، وهي وإن كانت منافرة إسلامية لا جاهلية؛ فإن الحَكم هو من يهود تَيْماء الذي قال لهما: «يا جميل، قل في نَفسك ما شئت، فأنت واللّه الشّاعر الجميل الوجه الشّريف، وقل أنت يا جوّاس في نفسك، وفي أبيك ما شئت، ولا تذكرنّ أنت يا جميل أباك في فخر، فإنه كان يسوق معنا الغنم بتَيْماء، عليه شَمْلة لا تواري إسته، ونفّروا عليه

(1) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 118.

(2) انظر: الميداني – مجمع الأمثال، 2: 196.

(3) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 109.

(4) انظر: الألوسي – بلوغ الأرب، 1: 326.

(5) انظر: ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 136.

(6) انظر: الماوردي– أعلام النبوة:159.

(7) انظر: الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: 105.

جوّاساً»(1)، نرى أن الحكام قد حدّدوا نوع المنافرة بجعلها شخصية لا قبلية بسبب معرفتهم بأبي جميل بن عبد الله، لأنه كان راعياً للغنم بتيماء، لكن لماذا اللجوء إلى يهود تيماء؟

وقد يطلب أحد المتنافرين أن تكون المنافرة شخصية لا قبلية إن وافق خصمه، ومثال ذلك ما جرى في منافرة القَعْقاع بن مَعْبَد بن زُرارَة وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ، فقد قال القَعْقاع بن مَعْبَد «هلمّ إلي أنافرك، ودع الشيخ [حاجِب بن زُرارَة] فقال: أنافرك عن ندينا، فقال القعقاع: لا بل عن الآباء والأبدان»(2)، إذاً حاول خالد النَّهْشَلِيّ تحويل المنافرة من قبلية إلى شخصية في حين رفض ذلك القَعْقاع بن مَعْبَد، لكن خالداً النَّهْشَلِيّ حاول تذكيره بأن البشر ينتمون إلى أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء؛ ليبين أن التنافر يجب أن يكون أساسه أفعال المرء وأخلاقه لا أن يكون أساسه شيئاً لا دخل للإنسان فيه، وهو النسب. وقد بيّن رأيه حين حدد نوع المنافرة «قال [القعقاع]: بل أيُّنا خيرٌ أباً وأمّاً. .. فغضب خالد وقال: نعم، إلى آدم وحوّاء»(3).

ولعلّ طلب خالد النَّهْشَلِيّ نابع من معرفته بأن القعقاع سيُنفّر عليه إن التزم بأساس المنافرة المتعارف عليه بين القبائل، وهو المحاكمة في النسب، والمفاخرة بمآثر الآباء والأجداد إضافة إلى الخصال الحميدة التي لم تشفع لخالد، فنُفِّر عليه القعقاع رغم محاولات خالد النَّهْشَلِيّ التي أخفقت.

وقد تتحول المنافرة من منافرة شخصية إلى قبلية، ومثال ذلك منافرة عبد المطلب بن هاشم وثقيف، إذ اختصموا في مال، وقيل ماء يُسمى ذا الهَرْم بالطائف لعبد المطلب، وأنقل هنا فقرات من المنافرة؛ فبعد أن حكم الكاهن لعبد المطلب غضب الثقفيون، «فقال جُندب بن الحارث: اقضِ لأرفعنا مكاناً، وأعظمنا جِفَاناً، وأشدنا طِعاناً، فقال عبد المطلب: اقضِ لصاحب الخيرات الكُبَر، ومن كان أبوه سيد مُضَر، وساقي

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 22: 151.

(2) أبو عبيدة– الديباج:95

(3) أبو العلاء صاعد البغدادي – الفصوص، 5: 299.

الحَجيج... فقال عبد المطلب: اقضِ بين قومي وقومه أيّهم أفضل...»[1].

من خلال هذه المنافرة التي بدأت بالفصل بينهم في ملكية ماء بالطائف حاول المهزوم فيها – وهو جُنْدُب بن حارثة – أن ينفّر على عبد المطلب، ليثبت أنه أكرم نسباً من عبد المطلب فحوّل المخاصمة إلى منافرة شخصية، ثم انتقل بها عبد المطلب بن هاشم إلى منافرة قبلية لتُنفّر قبيلة مُضَر على قبيلة ثقيف، فالنافر المنتصر يطلب تحويلها من شخصيّة إلى قبلية بعد أن ضمن تنفيره على خصمه؛ لأن التنفير في المنافرة الشخصية يؤدي إلى ضمان التنفير في المنافرة القبلية؛ فأساس المنافرة واحد، وهو أن يكون النافر أفضل نسباً، إلى جانب الصفات الحميدة الأخرى التي يتحلى بها المتنافران. وبهذا فإن الكاهن لا يمكن أن يُنفِّر بني ثقيف على قبيلة مُضر، ولاسيما أنه نفّر عبد المطلب على من اختصم معه من بني ثقيف.

وهناك منافرة أخرى بين أَسِيد بن أبي العِيص وأبي ربيعة بن المُغيرة المَخْزُوميّ التي نفّر الكاهن الخُزَاعي فيها أَسِيداً على أبي ربيعة بن المغيرة مما دفع بالمنفور إلى الانتقال بالمنافرة من شخصية إلى قبلية بطلبه التنفير بين بني قُصيّ وبني مَخْزُوم، فقد حكم الكاهن لبني قصيّ[2].

أما أنواع المتنافرين فإنه يصادفنا المتنافر الثابت في مهمته؛ أي أنه يمثل القبيلة في المنافرات، وتعمد بعض القبائل إلى تحديد منافر يمثل قبيلته بين القبائل مثل قبيلة قُريش، ومنافرها هو عمر بن الخطاب حيث «كانت إليه السّفارة في الجاهلية، وذلك أنهم كانوا إن وقعت بينهم وبين غيرهم حرب، بعثوه سفيراً. وإن نافرهم حي لمنافرة جعلوه منافراً ورضوا به»[3].

وجاء اختيار عمر بن الخطاب للتنافر والتفاخر بسبب معرفته بالأنساب، وأيام العرب، ونجد بعض القبائل اهتمت باختيار المتنافر قوي الشخصية، وهذا ما حدث في منافرة

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 102. الكُبَر: جمع كُبرى. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «كبر».

(2) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 116.

(3) ابن عبد ربه – العقد الفريد، 3: 278، وانظر: ابن عساكر – تاريخ دمشق، 24: 118.

القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِي فقد «ثارت بنو تميم إلى حَاجِب فقالوا له: اللهَ اللهَ في قومك، أُرْدُدْ القَعْقاع كما رددت شَيْبَان. فقال: إن القَعْقاع ليس كشَيْبَان، إن القَعْقَاع ليس برَطْب فَيُعْصَر، ولا بيابس فيُكسر»(1). كما نرى حاجِب بن زُرارَة الذي عمد إلى اختيار المنافر القوي الذي يملك الجرأة، وسرعة البديهة، وفصاحة اللسان، والمعرفة بأنساب العرب، وأيامها، وأخبارها.

ج- مجــالات المنــافرة:

*** النسب:**

إن أساس المنافرة هو التفاخر والتحاكم بالنسب، إلى جانب الصفات والأخلاق الأخرى التي سنذكرها هنا مع التعليق عليها، وأساس التفـاخر بالنسب هو بالآبـاء والأجداد، ومثال ذلك منافرة عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بَدْر وزَبّان بن سَيّار الفَزَاري عند العِّز كاهنة نَجْرَان، حيث تحاور كل من زَبّان وعُيَيْنة:

«فقال زَبّان: أنا ابن منظور.

فقال عُيَيْنَة: أنا ابن حِصْن.

فقال زَبّان: أنـا ابـن سَيـّار.

فقال عُيَيْنَة: أنا ابن حُذيفة...»(2)

و لا نجد في أخبار المنافرات دائماً حواراً حول انتساب المتنافرين للمنفّر؛ ولعلّ ذلك بسبب معرفته لأنسابهما، ولكننا نجد أن المنفّر أحياناً يطلب من المتنافرين سرد نسبهما ليبين شيئاً مثل منافرة عُيَيْنَة بن حِصْن وزَبّان بن سيّار حيث ينتسب فيه عُيَيْنه إلى ابن الجَوْن الكِنْدي، مما جعل الكاهنة تُنفِّر زبّاناً؛ لأن عُيَيْنَة افتخر بغير قومه(3).

---

(1) أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، 5: 298 – 299.

(2) أبو عبيدة – الديباج: 97.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وهناك مثال آخر وازن النّابغة الذُبْياني فيه بين نسبي الزِّبْرِقان بن بَدر بن عامر ومحمد بن أُحيحة بن الجلاّح، واعتمد فيه على النسب في تنفيره؛ لكنّه ركز اهتمامه على صفات وأفعال أخرى كان يفخر بهما المتنافران، ربما لأنهما يتقاربان في عراقة النسب؛ فالزِّبْرِقان ابن بدر هو من أشراف بني تميم، ومحمد بن أُحَيْحَة بن الجلاح سيّد الأَوس، فأراد النابغة أن يوازن بين كلّ من افتخر بهما المتنافران بطريقة دقيقة، مع توضيح مناقب المُفتخر بهم ومثالبهم، قال النابغة: «شتان بين محمد والزِّبْرِقان، وشتان بين أُحيحة وبدر، وشتان بين الجلاح وعامر؛ فأمّا عامر فصاحب ضأن وإبل وانتجاع ... وخيل وسهل، وأمّا الجلاح فصاحب حكم وبيان وكفاح وطعان وخيل ورهان وخمر وقيان، فالجلاح أفضل من عامر...»[1].

والمنافر قد يذكر بعض من يفخر بهم من أهله مثل القَعْقاع بن مَعْبَد الذي قال لرَبيعَة ابن حُذار الأَسْدِي: «أنا ابن معبد زُرارَة، وأمي مُعَاذَة بنت ضِرَار، رَأَس من أعمامي عشرة، ومن أخوالي عشرة»[2]. فخر القَعْقاع بن مَعْبَد هنا بأبيه وأمه، وبأعمامه وأخواله؛ أي فخر بعائلته من جهة أبيه وأمه فحظي بعراقة النسب من جهتيهما. ولعلّ ما دفع القعقاع للتفصيل في نسبه هو سؤال المنفّر رَبيعَة بن حُذار الأسدي لخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ ما عندك يا خالد؟ قال: أنا ابن مالك، قال: لم تصنع شيئاً، ثم ابن من؟ قال: ابن رِبْعي، قال: لم تصنع شيئاً، ثم ابن من؟ قال: ابن سَلْم؟ قال الآن، فمن أمّك؟ قال: فَرْعة، قال: ابنة من؟ قال: ابنة مَنْدوس، قال ربيعة للقعقاع: قد نفّرتُك يا ابن الضُّبْنَة»[3]. ولعلّ الخبر السابق هو من الأخبار القليلة التي ذُكِر فيها نسب الأم وجُعِل ضمن معايير التنفير.

وهناك حالة خاصة نادرة للتنفير يعتمد الحكم فيها على مدى درجة القُرب من عبد

(1) ابن الجون الأشعري- الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 136. انْتِجَاع: طلب الكلأ ومساقط الماء. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «نجع» .

(2) الميداني – مجمع الأمثال، 3: 258.

(3) المصدر نفسه، 3: 258. الضُّبْنَة: أهل الرجل وحشمه، وما تحت يده من عيال ومال. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «ضبن».

الله بن جَعْدة[1]، وهو مقياس حددّه حكم ذي الجَدَّين، ويورد الأصفهاني هذه المنافرة مُعلّقاً على شعر النابغة على النحو الآتي:

«وأما قوله:

لَــوْ تَـسْـتَـطِـيـعُونَ أَنْ تُـلْـقُوا جُـلُــودَكُـمُ وَتَـجْـعَـلُــوا جِـلْـدَ عَـبْـدِ الـلـهِ سِـرْبَــالا

السبب في ذلك أن هُبيرة بن عامر بن سَلَمة بن قُشير لقي خِداش بن زُهير، فتنافرا على مئة من الإبل، وقال كل منهما لصاحبه: أنا أكرم وأعز منك، فحكّما في ذاك رجلاً من ذي الجَدَّيْن، فقضى بينهما أنَّ أعزّهما وأكرمهما أقربهما من عبد الله بن جَعْدة نسباً... فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبدالله من دون المكاثرة بـآبائهما إقراراً له بذلك، حتى فَلَـج هُبيرة القُشَيْـري وظفـر»[2]، ولعلّ المنفّر هنا اختار عبد الله بن جَعْدة بسبب مكانته بين القبائل، فقد كانت تفرض له إتاوته في بعض الأسواق.

ويمكن تقسيم مجالات المنافرة إلى:

*معنوية: مثل الشّجاعة، والكرم.

*مادية: مثل قوس حاجِب بن زُرارَة في منافرة القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ، ونَعْلي عامر بن مالك في منافرة عامر بن الطّفيل وعَلْقَمَة بن عُلاَثَة .

ولن نعمد إلى تصنيف الوسائل المعينة في المنافرة كلها؛ وإنّما سنذكرها لتحليلها والتعليق عليها، نظراً لتداخل النوعين أحياناً، مثل: إطعام الناس، ونحر الذبائح يمكن أن نعدها مادية لكون الطعام ونحر الذبائح شيئاً مادياً بما يتحقق من ذبح الإبل وتقديم الطعام للناس، ويمكن عدها معنوية لدلالتها على الكرم.

---

(1) هو عبدالله بن جَعْدَة بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة، كان سيّداً مطاعاً، وكانت له إتاوة بعكاظ، يأتيه بها حي من الأزد، وهو أول من صنع دبّابة من جذوع النخل، وألبسها جلود الإبل، وكان في البحرين. انظر: الأصفهاني– الأغاني، 5: 23.

(2) المصدر نفسه، 5: 23. انظر : ديوان النابغة الجعدي، تحقيق واضح الصمد بيروت، دار صادر، ص127. فلج: فاز. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «فلج».

يمكن الحديث عن هذه الوسائل المعينة في المنافرة من خلال ثلاثة نماذج، لنبين المجالات المشتركة بين المنافرات، وما تميزت به بعض المنافرات عن غيرها:

1- منافرات قريش وغيرها من القبائل:

نقف عند منافرة عبد المطلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة، وفيها قال نُفَيْل عبد العُزّى ابن رياح موجهاً حديثه إلى حَرْب بن أُمَيَّة: «يا أبا عمرو أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأوسم منك وسامة، وأعظم منك هامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجْزل منك صَفْداً، وأطول منك مِذْوداً، وإني لأقول هذا وإن فيك لخصالاً: إنك لبعيد الغضب، رفيع الصِّيت في العرب، جَلْد المَرِيرة، تحبك العَشِيرة، لكنك نافرتَ مُنفَّراً»(1).

هذه منافرة بين بني هاشم وبني أُمَيَّة وكلاهما ينتهي إلى عبد مناف، فهما متساويان في النسب؛ لذا اعتمد المنفِّر في تعليل حكمه على مجالات أخرى في المنافرة وهي: طول القامة والوسامة، وعِظَم الجسد، وهذه الصفات منها جسدية، أما النفسية والاجتماعية فهي العطاء والدفاع عن العِرْض.

وهناك صفات إيجابية لدى حَرْب بن أُمَيَّة وهي ضبط الأعصاب، والشهرة، وقوة العزيمة، ومحبة العشيرة وهي صفات نفسية واجتماعية، ورغم الصفات الإيجابية لديه إلاّ أنه تنافر مع عبد المطلب بن هاشم الذي تميز بصفات إيجابية: جسدية ونفسية واجتماعية.

وقد يحدد المتنافران هذه المجالات مثلما حدث في منافرة عبد المطلب بن هاشم وجماعة من بني ثقيف، وفيها «قال جُنْدُب بن الحارث: اقضِ لأرفعنا مكاناً، وأعظمنا جِفَاناً، وأشد طِعاناً، فقال عبد المطلب: اقضِ لصاحب الخيرات الكُبَر، ومن كان أبوه

(1) محمد بن حبيب- المنمق: 95. وانظر: تاريخ الطبري، 1: 505. لامة: أي أقل لوماً. صفد: العطاء. مذود: اللسان، وبه يذاد عن العرض. جلد المريرة: قوي العزيمة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «لوم»، «صفد»، «ذاد» .

سيد مُـضَر»(1). هنا حدد المتنافران المجالات وهي: رفعة المكانة، وعَظَمَة الجِفَان أيّ الكرم، والشجاعة، في حين حدد عبد المطلب بن هاشم الخيرات الكُبَر، وأكّد عراقة نسبه؛ لأن أباه سيد مُضَر.

وقد يفتخر أحد المتنافرين بما اختصت به قبيلته كمنافرة بني مَخْزُوم مع أَسِيد بن أبي العِيص بن أُمَيَّة الذي افتخر بمآثر بني قُصي «فعدّد رجال قصي، ثم قال: فينا السِّقاية والحِجَابة والندوة والرِّفادة واللِّواء، فتداعوا إلى المنافرة»(2). ونستطيع أن نقول تركز الاهتمام في المنافرات على الفضائل الكريمة والأخلاق الحميدة التي حرص عليها الجاهليون، وبما تميزت به بعض القبائل، فقُريش تميزت بمآثر مثل الاهتمام بالبيت الحرام وبالحجيج.

ومن الأسباب التي تجعل الحَكَم يُنفِّر أحد المتنافرين على الآخر هو عراقة النسب، ولاسيما إن كان ينتهي نسبه إلى الملوك، وهو سبب جعل النابغة الذُّبياني يُنفِّر محمد بن أحيحة بن الجلاح على الزِّبرقان بن بدر التميمي؛ لأن محمد بن أحيحة من الأوس من أولاد ثعلبة بن عمرو بن عامر، وهو من ملوك الغساسنة(3).

ردّ النابغة الذُّبياني على تهديد بعض بني تميم شعراً، وبيَّن فيه أهم سبب لتنفير محمد بن أحيحة على الزِّبرقان بن بدر التميمي؛ فمحمد ينتهي نسبه إلى ملوك غسَّان، وهم أصحاب قوة ونفوذ وثروة، ومما قاله في هذا المعنى:

شَتَّان مَنْسُوب إلى جَوْز الفَلا وَمحمد يَنْمِي إلى التِّيجَانِ(4)

وذكر النابغة الذبياني مفردات في قصيدته تبين سبب تنفيره لمحمد، وهي تتعلق بنسبه إلى الملوك وهي(غسَّان– عمرو بن عامر– قحطان)، وذكـر مفردات تدل على ثرائهم

---

(1) محمد بن حبيب– المنمق: 101، 102.

(2) المصدر نفسه: 115. الحِجابَة: سَدَانَة الكَّعْبَة ومن بأيديهم مفاتيحها. الرِّفادَة: إطعام الحجّاج. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «حجب» و«رفد» .

(3) انظر: ابن دريد– الاشتقاق:433، ابن رشيق– العمدة، 2:948.

(4) ابن الجون الأشعري– الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية:137

منها (الّدرّ– المرجان– العِقْيان–الجَراجر– الهِجان)(1).

وفي منافرة قَيْس بن مَسْعُود وحاجِب بن زُرارَة نجد مجالات غريبة فريدة لم تكرر في غيرها من المنافرات، وهذه المجالات حددها قَيْس بن مَسْعُود في قوله «أنافرُهُ عن أكرمنا قَعِيدة، وأحسننا أدب ناقةٍ، وأكرمنا لئيم قومٍ، فبعث معهما النّعمان من ينظر في ذلك، فلما انتهوا إلى بادية حاجِب بن زُرارَة، مرّوا على رجل من قومه فقال له حاجِب: هذا ألأَم قومي، وهو فلان بن فلان، والرّجل عند حَوْضه، ومورد إبله، فأقبلوا إليه، فقالوا: يا عبد الله، دعنا فَلْنَسْتَقِ، فإنّا قد هلكنا عطشاً، وأهلكنا ظُهُورنا، فتَجَهّم، وأبى عليهم فلما أعياهم، قالوا لحاجِب: اسفِرْ، فَسَفر، فقال حاجِب: أنا حاجِب بن زُرارَة، فَدَعْنا نَشْرب، فقال: أنت؟ فلا مرحباً بك.... فقال له قيس: هذا – والله – ألأم قومي، فلما وقفوا عليه، قالوا له مثل ما قالوا للآخر فأبي عليهم، وَهَمّ أن يَضْربَهم، فقال له قَيْس ابن مَسْعُود: ويلك! أنا قَيْس بن مَسْعُود، فقال له: مرحباً وأهلاً، أورِدْ...»(2).

مما سبق نلاحظ أن قَيْس بن مَسْعُود قد حدد مجالات المنافرة وهي كرم الزوجة، وكرم لئيم القوم، وحسن أدب الناقة. وكرم الزوجة يتجلى في ترحيبها بضيوف زوجها، وإعداد الطعام لهم، وكرم لئيم القوم يكون بتجاوزه لؤم نفسه، وحاله مع غيره، فينسى ذلك أمام سيد قومه وكريمهم. وحسن أدب الناقة يكون بثباتها حتى لو أنيخت على قريتين من النّمل، ولعل قيس بن مسعود واثق من نفسه؛ ولهذا اختار أصعب المجالات ليثبت أنه مميز مختلف عن غيره، فلم يلجأ إلى المجالات المعهودة.

وقد دفع هذا بالنّعمان بن المنذر إلى إعطائه مئة ناقة، وهي نفورة مادية، أما المعنوية فهو اللقب الذي أطلقه عليه حيث قال له: «كنت يا قَيْس ذا جَدَّ فأنت اليوم ذو جَدَّين،

---

(1) انظر : ابن الجون الأشعري– الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 137. العِقْيان: الذهب الخالص، الجَراجر: العِظام من الإبل، الهِجان: البيض الكرام من الإبل. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «عقى و«جرر» و«هجن».

(2) ابن رشيق –العمدة 2: 940 –941. الظُهور: الإبل التي يُحمل عليها ويركب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «ظهر» .

فسُمّي بذلك ذا الجَدَّيْن»(1).

2- منافرة عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاَثَة :

جا ء حوار عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاَثَة في كتاب الأغاني في ثلاث صفحات، وهي منافرة شخصية؛ لأن عامراً رفض التنافر بالآباء والأجداد لأنهم أبناء عمومة، وإن افتخر مناصروهم بنسب كل منهما، وسننقل بعضاً من هذا الحوار، ونعرض هذه المجالات مع تحليلها.

«فقال عامر: والله لأنا أكرم منك حَسَباً، وأثبت منك نسباً، وأطول منك قَصَباً.

فقال له عَلْقَمَة: لأنا خير منك ليلاً ونهاراً.

فقال عامر: لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك. فقال عَلْقَمَة: على ماذا تنافرني يا عامر؟

فقال عامر: أنافرك على أني أنحر منك للِّقاح، وخير منك في الصباح، وأطعم منك في السّنة الشِّيَاح.

فقال عَلْقَمَة: أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أني جبان، ولأن تلقى العدوّ وأنا أمامك أعزّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك. وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل، ولست كذلك، ولكن أنافرك أني خير منك أثراً، وأحد منك بصراً، وأعزّ منك نفراً، وأسرح منك ذِكْراً.

فقال عامر: ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد، وبصري ناقص، وبصرك صحيح، ولكني أنافرك على أني أنشر منك أُمة، وأطول منك قِمّة، وأحسن منك لِمّة، وأجعد منك جُمّة، وأبعد منك هِمّة.

قال عَلْقَمَة: أنت رجل جَسِيم وأنا رجل قَضِيف، وأنت جميل، وأنا قبيح؛ ولكني

---

(1) ابن رشيق – العمدة، 2: 942.

أنافرك بآبائي وأعمامي.

فقال عامر: آباؤك أعمامي، و لم أكن لأنافرك بهم؛ ولكني أنافرك أني خير منك عقْباً وأطعم منك جَدْباً.

قال عَلْقَمَة: قد علمت أنه لك عَقِباً في العشيرة، وقد أطعمت طيباً إذ سارت؛ ولكني أنافرك أني خير منك، وأولى بالخيرات منك، وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم...

قال أبو المنذر، قال أبو مسكين، قال عامر في مراجعته: والله لأنا أركب منك في الحُماة، وأقتل منك للكُمَاة، وخير منك للمولى والمولاة.

فقال له عَلْقَمَة: والله إني أعز منك؛ إني لبَرّ وإنك لفاجر، وإني لوفي وإنك لغادر، ففيم تفاخرني يا عامر؟ فقال عامر: والله إني لأَنْزل منك للقَفْرة، وأنحر منك للبَكْرة، وأطعم منك للهَبْرة، وأطعن منك للثُّغرة.

فقال عَلْقَمَة: والله إنك لكَلِيل البصر، نَكِد النظر، وثّاب على جاراتك بالسَّحَر.

فقال بنو خالد بن جعفر، وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر: لن تُطيق عامراً، ولكن قل له: أنافرك بخيرنا، وأقربنا إلى الخيرات، وخذ عليه الكِبَر. فقال له عَلْقَمَة هذا القول»(1).

وهناك خبر آخر – رواية مفردة– وهي «أن هَرِماً قال لعامر حين دعاه: يا عامر، كيف

---

(1) الأصفهاني– الأغاني، 16: 284 وما بعدها، هناك بعض الاختلافات في رواية الخبر عند القلقشندي – صبح الأعشى 1: 438 – 439.

لِقاح: جمع لاقحة أي ما في بطنها ولد. الشّياح: القحط والجدب. أسرح: أبعد. أَنْشَز أُمّة: أرفع قوماً. لِمَّة: شعر الرأس المجاور لشحمة الأذن، وهو دون الجمّة. الجُمّة: مجتمع الرأس، و ما ترامى من شعر الرأس على المنكبين. الكُماة: الشّجعان. القَفْرة: الخلاء من الأرض. البَكْرة: الفتي من الإبل. الهَبْرَة: القطعة المتجمعة من اللحم. الثُغْرة: الثُلْمة والمنفذ. القَضِيف: الجسم الضعيف البُنية. العَقْب: الولد، وولد الولد. القَصَب: عظام الأصابع من اليدين والرجلين. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «لقح » و«شيح و«سرح» و«نشز» و«لمم » و«جمم» و«كمي» و«فقر» و«بكر» و«هبر» و«ثغر» و«قضف» و«عقب» و« قصب».

تفاضل عَلْقَمَة؟ فقال عامر: و لم يا هَرِم؟ قال: لأنه أنْجل منك عَيْناً في النساء، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدعاء. قال عامر: هل غير هذا؟ قال: نعم، هو أكثر منك نائلاً في الثَّراء، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء. ثم قال لعَلْقَمَة: كيف تفاضل عامراً؟ قال: وَلِمَ يا هَرِم؟ قال: هو أنفذ منك لساناً، وأمضى منــك سِنَاناً، قال عَلْقَمَة: فهل غير هذا؟ قال: نعم هو أقتل منك للكُمَاة، وأفك منك للعُناة»(1).

نقف هنا عند نوع المنافرة من خلال حوار المتنافرين؛ فعَلْقَمَة يطلب المنافرة بالآباء والأعمام، لكن عامراً يعترض لأن آباء عَلْقَمَة هم أعمامه، لذا ينافره بما يتميز به من صفات جسدية ونفسية وغير ذلك. ومهما يكن فإن هذه المنافرة هي منافرة في القبيلة ذاتها بين فرعين منها: بني عامر وبني الأحوص، وهي منافرة شخصية.

ويمكن تقسيم المجالات في منافرة علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل إلى الاهتمام بالنسب، والصفات النفسية، الأخلاقية، والاجتماعية، الجسدية. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن كلا المتنافرين أثبت الصفات الحسنة لنفسه، ونفاها عن الآخر من خلال استخدام التضاد.

الاهتمام بالنسب:

كرم الحسب، ثبات النسب، وقد رفض عامر المنافرة بالآباء والأعمام.

الصفات النفسيـــة:

يحاول المتنافر أن ينسب لنفسه الصفات الإيجابية، وينسب لمنافره الصفات السلبية.

الصّفات الإيجابية:

العزة، البرّ، الوفاء. بعد الهِمّة، الشجاعة، الكرم والعبارات الدالّة على ذلك: «أنحر اللّقاح، أطعم في السّنة الشّياح، أطعم جَدْباً، أنحر للبَكْرة، أطعم للهَبْرة، أطعن للثُّغرة،

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16: 292. نَفيراً: أيّ من يخرجون للإعانة والمساعدة. العُناة: الأسرى. السِّنان: الرّمح، جمعه أسنّة. انظر: ابن منظور– لسان العرب، مادة «نفر» و«قرر» و«ملك» و«عنا» و«سنن».

أنفذ منك لساناً».

الصفات السلبية:

الفُجُور، الغدر، البخل.

الصفات الجسـدية:

الصفات الإيجابية:

طول القصب، حدة البصر، حسن اللمّة، طول القمّة، أجعد جُمّة، رجل جسيم، جميل. البصر: حاد، صحيح، أنجل عَيْناً في النساء.

الصفات السلبية:

رجل قَضِيف، قبيح.

البصر: كَلِيل، نَكِد، ناقص.

الصفات الاجتماعية:

الصفات الإيجابية:

أعزّ نفراً، أسرح ذِكْراً (الشهرة)، خير للمولى والمولاة، خير عَقْب في العشيرة، أعظم حقيقة عند الدعاء، أفك للعنُاة.

الصفات السلبية:

سبّ العم [لكن عامر بن الطّفيل رفض].

أدوات مـادية: نعلا عامر بن مالك؛ ليفخر عامر بن الطفيل بقومه الشجعان، وبمشاركتهم في كثير من المعارك حيث طلب عامر بن مالك من ابن أخيه عامر بن الطّفيل أن يسبّه فقال الأخير «لا أَسبُّك وأنت عمي، فقال: فكيف إذن أُعِينُك، ولكن دونك نعلي، فإني قد رَبَعْتُ فيها أربعين مِرْباعاً، فاستعن بها في نفارك»(1).

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16: 286. المِرْباع: ربع الغنيمة، وهو نصيب رئيس القبيلة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «ربع».

نلاحظ أن هناك اهتماماً ببعض الخصال والخلال؛ ففي الصفات النفسية يغلب الحديث عن الكرم والشجاعة من خلال استخدام الكناية، أما في الصفات الجسدية فقد تركز الاهتمام فيها على البصر والشَّعر، في حين تركز في الصفات الاجتماعية على مكانة المتنافر في عشيرته، وحبّهم له.

3- منــافرة القَعْقـاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ:

نقف هنا عند منافرة القَعْقاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ، والحَكَم فيها رَبِيعَة بن حُذار الأَسْدِي الذي طلب منهما أن يعددا مكارمهما «فقال خالد: أعطيتُ يوماً من سأل، وأطعمت من أكل، ونَصَبْتُ قُدُوري فأطعمت حتى وضعتُ الشَّمال ذيولها، وطعنتُ يوم شُواحِط فارساً فخللتُ فخذيه بفرسه. فقال ربيعة: هات يا قعقاع ما عندك. فأخرج قوس حاجِب فقال:هذه قوس عمّي رهنها عند العرب، فاسْتَدْفؤوا من القُرّ، وشَبِعوا من التّمر، وانقضت عنهم الشَّتْوةُ، وهاتان نَعْلا جدّي، قَسَم فيهما [أربعين] مِرْباعاً: ثمانية وثلاثون على مُضَر، واثنان على تميم. وهذه ذُرِّيَّة زُرارَة نُصالح عليها سبعة أَمْلاك كلّهم حربٌ لصاحبه. وعمّي سُوَيْدُ بن زُرارَة لم يرَ ناره خائف قط إلاّ أَمِن، و لم يُمسك بطُنِبِ فُسْطَاطه أَسِيرٌ إلاّ فُك»(1).

نجد هنا اختلاف معايير المنافرة بينهما؛ فالقَعْقاع بن مَعْبَد جعلها منافرة قبلية في حين جعلها خالد بن مالك النَّهْشَلِيّ منافرة شخصية، فاختلفت المجالات التي استعانا بها في المنافرة؛ ربما لأنه لم تكن هناك مآثر عظيمة لبني نهشل مثل بني زرارة، فحاول خالد أن يجعلها شخصية، واعتمد في منافرته على أفعاله من كرم وشجاعة في حين استعان القعقاع بنسبه ومكارم قومه، مما جعل الحكم يُنفِّر القعقاع بن معبد الذي التزم بأساس المنافرة، وهو المفاخرة بالآباء والأجداد وما لهما من مكارم ومآثر.

(1) أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، 5: 300 – 301. الشَّمال: رياح تهب من جهة القطب. القُرّ: البرد. أملاك: مفردها مَلِك، وتجمع على ملوك أيضاً. طُنُب الفُسْطاط: حبل الخيمة أو بيت الشّعر. انظر: ابن منظور–لسان العرب، مادة« شمل» و«قرر» و«ملك» و«طنب» .

النســب:

ويبرز في فخر القعقاع بعمّه حاجِب وعمه سُوَيْد.

الصفات النفسية:

العطاء، والكرم، وهناك عبارات دالة على ذلك وهي: «أطعمت من أكل، نصبت قُدُوري حتى وضعت الشَّمَال ذيولها، شبعوا من التّمر».

الشجاعة مثل: طعنة الفارس يوم شُواحِط.

الصفات الاجتماعية:

مثل توفير الأمن والمساعدة على فكّ الأسير، ومن العبارات الدالّة على ذلك: «لم ير ناره خائف قط إلاّ أمِن، ولم يمسك بطُنْب فُسْطاطه أسير إلاّ فُكّ». ويمدّ قوم القعقاع أياديهم البيضاء للقبيلة، فحاجِب بن زُرارَة رهن قوسه ليطعم العرب حين أصابهم القحط برهن قوسه عند كسرى عظيم فارس، وعمّه سُوَيْد فكّ الأسرى ممن استنجدوا به.

أدوات مـاديّــة:

وتتمثل في نعلي جدّ القعقاع التي خاض بها حروباً كثيرة.

وهنا يتضح أن القَعْقاع بن مَعْبَد ركّز اهتمامه في المنافرة على أمجاد قومه، ودورهم في قبيلتهم وعند العرب، أما خالد النَّهْشَلِيّ فاعتمد على أخلاقه ومآثره. لا شك في أن اختلاف المعايير بينهم، واختلافهم في مجالات المنافرة جعلت الحَكَم المُنفِّر يُنفِّر القَعْقاع ابن مَعْبَد؛ لأن ما تعارفت عليه العرب أن يفتخر المتنافران بأمجاد قومهما لا بنفسيهما.

ولعلّ هذه المنافرة تذكرنا بما جرى بين جَرِير بن عبد الله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطاة بن خُشَيْن بن شَبَث الكَلْبي، ولا بأس هنا أن نورد ما ذكراه للأَقْرَع بن حَابِس.

«فقال الأَقْرَع: ما عندك يا خالد؟

فقال: نحن ننزل البَراح، ونَطْعن بالرِّماح، ونحن فِتيان الصّباح.

فقال الأَقْرَع: ما عندك يا جرير؟

قال: نحن أهل الذهب الأصفر، والأحمر المُعَصْفر، نُخيفُ ولا نخاف، ونُطْعِمُ ولا تستطْعم، ونحن حيٌّ لَقَاحُ، نُطعم ما هبت الرّياح، نطعم الشّهر، ونضمن الدّهر، ونحن الملوك لِقَسْر»(1).

عمد خالد بن أَرْطاة إلى الفخر بشجاعته، وهو فعله خالد بن مالك النَّهْشَلِيّ، في حين افتخر جرير بن عبد الله بالثروة من امتلاك الذهب وغيره، والكرم من إطعام الآخرين، وامتلاك القوة التي تخيف الآخرين، إضافة إلى أنهم ملوك لقَسْر. وبهذا قدّم جرير بن عبد الله أكثر من سبب لتنفيره على خالد بن أَرْطاة، فهو يفتخر بنفسه وقومه، ويبين هذا ما يعتمد عليه الأثرياء في منافرات من امتلاك الثروات والنفوذ لتنفيرهم فضلاً عن كرم النّسب.

مما سبق نجد أن أغلب المجالات التي ذُكرت في المنافرات يُركّز الاهتمام فيها على كرم النّسب والأخلاق والخصال الكريمة، في حين ركز المتنافران في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر بن الطُّفيل اهتمامهما على الصفات الجسدية والنفسية؛ لأنهما متكافئان في النسب فهما أبناء عمومة، وركّزت بعض القبائل اهتمامها في مجالات المنافرة على ما حظيت به من مكانة مثل قبيلة قريش التي أسند إليها الرِّفادة والسقاية والحِجَابة والندوة، في حين ركزت قبيلة بَجِيلَة اهتمامها على امتلاكها الثروة والقوة المعنوية التي تخيف الناس منهم، ومكانتهم الاجتماعية والسياسية، فهم ملوك قَسْر.

مما سبق نجد أن كرم النسب هو روح المنافرة وعمودها، إلى جانب الخصال الكريمة مثل الشجاعة، وصفات الفارس مثل شدّة الطعن وكيفية القتل والكرم. وتحتل هذه الصفات المرتبة الأولى إن تعادل المتنافران في النسب مثل منافرة عَلْقَمَة وعامر، فهما أبناء عمومة، ومنافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية، أما الصفات الجسدية التي ذُكرت في

---

(1) الأسود الغندجاني – فُرحة الأديب: 109. حيّ لَقَاح: أي لا يدينون للملوك، و لم يصبهم سباء. الأحمر المُعَصْفَر: الخمر. الشّهر: ربّما المقصود بالشهر هو شهـر المُلَيْساء، وهو شهر بين الصَّفَرِيَّة والشتاء، وهو الوقت الذي تنقطع فيه المِيرة. ابن منظور – لسان العرب، مادة «ملس». قسر: بطن من بطون بجيلة، انظر: ابن دريد – الاشتقاق: 516.

بعض المنافرات فإنه رُكّز الاهتمام فيها على الشَّعر والبَصَر، أما الناحية الاجتماعية فتركز الاهتمام فيها على دور قبيلة المنافر ما تميّزت به عن غيرها، ومكانتهم بين العرب، وأما من الناحية المادية فتمثلت في قوس حاجب بن زُرارة وفي نعليه في منافرة القعقاع بن معبد بن زُرارة وخالد بن مالك النّهْشلي، وفي نعلي عامر بن مالك في منافرة علقمة وعامر.

د- صفات المنافر:

إن المتنافر حين يَمْثُل بين يدي الحَكَم يضع شرف قبيلته واسمها رَهْناً بحُكْم المُنفِّر؛ لذا فإن الإقدام على المنافرة مخاطرة كبيرة، ولعلّ هذا ما دفع حاجِب بن زُرارَة إلى ردّ ابن أخيه شَيْبَان، وتشجيع أخيه القَعْقاع؛ لأنه أقوى حُجة، وأفصح لساناً من أخيه.

وهناك صفات كثيرة لا بد أن يتحلّى بها المنافر أهمها كرم النسب وعراقته؛ لأنه أساس المنافرة، والتنفير يعتمد على ذلك في المرتبة الأولى، لذا يحاول بعض المتنافرين عدم زج أنفسهم في المنافرات لمخاطرها، وهذا ما فعله قَيْس بن زُهير حين رحل عن قبيلة قريش خوفاً من وقوع المنافرة؛ لأنه ليس نظيراً لهم، ولا بد أن يتحلى المتنافر بقوة الحُجة والبرهان، وفصاحة اللسان؛ لأنه في مجلس التحكيم وقبله – أحياناً – يجري حوار بين المتنافرين، يحاول فيه كل منهما أن يثبت أنه الأفضل والأجدر بتنفير الحكم له على خصمه، بذكر الأسباب التي تؤهله للفوز بالتنفير على منافره، أو تؤثر في الحَكَم فترجح كفّته على كفّه خصمه.

ويرى محمد عثمان علي أنه من الضروري لمن ينافر أن يكون فصيحاً وبليغاً، يجيد الجدل، قادراً على تصريف الكلام، وإجرائه على وجوهه المختلفة: حتى يحقق النصر له ولقبيلته(1).

هـ- موقف المتنافرين بعد التنفير:

في التنفير يعمد المُنفِّر إلى تنفير أحد المتنافرين، أو المساواة بينهما، أو تحويلهما إلى حَكَم

---

(1) محمد عثمان علي – أدب ما قبل الإسلام: 219.

آخر، وتنفير أحدهما يعني أن يعلو شأن القبيلة على القبيلة التي تنافرها أمام باقي القبائل ولاسيما أن بعض المنافرات كانت تعقد في الأسواق والمواسم.

والفرحة تعمّ قبيلة النّافر؛ إذ يُعدّ من مفاخر القبيلة انتصارها على القبيلة الأخرى في المنافرات، ويأخذ النّافر من المنفور ما اتفق عليه من النفورة التي توضع على يد رجل آخر لضمان الوفاء بها، لكن النّافر قد يصرّ على أخذ النفورة مباشرة من دون انتظار لوصول المَنفُور لقبيلته، وهذا ما حدث بين سُويد بن صامت[1] وأحد بني سُليم حين تنافرا عند كاهنة من كهّان العرب، فنفّرت سويداً الذي أصرّ على منافره أن يعطيه النفورة مباشرة، وهي مئة ناقة «فلما فرّقت بينهما الطريق، قال: مالي، يا أخا بني سُليم؛ قال: أبعث إليك به، قال: فمن لي بذلك إذا فُتّني به؟ قال: أنا؛ قال: كلا، والذي نفس سُوَيْد بيده، لا تفارقني حتى أوتى بمالي فاتّخذا، فضرب به الأرض، ثم أوثقه رباطاً ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سُليم بالذي له»[2]. رفض سويد بن صامت أن يُبعث إليه بالنفورة غير مقتنع بوفاء منافره بالنفورة، وفضّل أن يحتجزه رهينة عند بني عمرو بن عوف حتى تضطر بنو سُليم إلى تسليمه النفورة.

إذن المنفور يشعر بالغضب والقهر، وخذلان قبيلته أو قومه إن كان من القبيلة ذاتها، لأنهم قد رشحوه للمنافرة، أو قد يكون هو سبباً في إقحام قبيلته فيما لا تحمد عقباه، ولعلّ هذا ما دفع عامر بن الطفيل للتضحية في مقابل عدم تنفير عَلْقَمَة عليه قائلاً لهَرِم ابن قُطْبة: «ناشدتك الله والرّحم ألا تفضل علي عَلْقَمَة، فوالله إن فعلت لا أفلح بعدها! هذه ناصيتي جُزّها، واحتكم في مالي»[3]. إن عامراً هنا مستعد لأن يخسر حياته وماله في سبيل أن ينتصر ويفوز على علقمة؛ حتى لا يخذل بني مالك أمام بني الأحوص. ولا

---

(1) هو سُوَيْد بن صامِت بن حوط بن حبيب الأنصاري، شاعر من المدينة لقب بالكامل، أسلم قبل الهجرة، وقتلته الخزرج عند عودته إلى المدينة، انظر: سيرة ابن هشام 1: 148.

(2) ابن هشام– السيرة النبوية، 2: 525– 526. اتخذا: أخذ كل واحد منهما صاحبه في قتال. انظر: ابن منظور– لسان العرب، مادة «أخذ».

(3) ابن نباتة – سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: 164

يحتاج هَـرِم بن قُطْبة لأن يُضـحي عامر بـن الطفيل أو عَلْقَمَة بن عُلاَثَة بأيّ شيء حتى يدرك عواقب الحّكم بينهما؛ لذا ساوى بينهما، حتى لا يزرع الشّر والفتنة في القبيلة.

وقد يتمنى المَنْفُور الموت، وهذا ما أحس به مالك بن عُميلة بعد أن نُفِّر عليه عُميرةُ بن هاجر؛ فقال أبياتاً يصف فيها حاله:

شَـآنِـيَ لَـمَّـا أَنْ جَـرَيْـتُ ابْـنُ هَـاجِـرٍ   فَأَشْـمَـتُّ أَعْـدَائِي وَأُخْـرِجْـتُ مِـنْ مَالِي

فَـيَـا لَـيْـتَـنِـي مِـنْ قَـبْـلُ حَـلّي وَرِحْـلَـتِـي   إِلَى الكَاهِنِ الطَّاغُوتِ قَطَّعْتُ أَوْصَالِي(1)

هكذا نرى أن المنفور قد تَندّم وتمّنى الموت بسبب خذلانه وخذلان قبيلته؛ لأنه شمّت به أعداءه، وخسر مئة من الإبل، ووصف الكاهن بالطاغوت(2)، وهو من ألقابه، وبأنه لا يبالي ما أتى، فيأكل أموال النّاس ويقهرهم، ولا يثنيه عن ذلك تحرّج أو غيره.

وتتباين مواقف المنفورين «الخاسرين» في المنافرات؛ ولكن الحزن والغضب هو شعور كل من خسر المنافرة، وقد يتحول هذا الغضب إلى تهديد مثلما فعل بنو تميم مع النّابغة الذبياني في منافرة الزِّبْرِقان بن بدر التميمي ومحمد بن أُحَيْحَة، حين نفَّر النّابغة محمّدًا على الزِّبْرِقان(3). وربما تحول إلى التشكيك في نسب المنافر، وهو أساس المنافرة، كما حدث في منافرة عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة وزَبَّان بن سَيّار الفَزَاري «فقال عُيَيْنَة: أنا أفضل منك نفساً وأباً، ولكنّها جارت ... فقال عُيَيْنَة:

إِنّـا لَـنَـعْـلَـمُ مَـا أَبُـوكَ بِـجَـابِـر   فَـالْـحَـقْ بِـأَهْـلِـكَ مِـنْ بَـنِـي دُودَانِ

حَـالَـتْ بِـكُـمْ أَمَـةٌ لِـنَـضْـلَـةَ وَابْـنُـهُ   فَـسَـقَـتْ بِـزِينَـتِـهَـا أَبَـا زَبَّـان»(4)

هنا يطعن عُيَيْنَة في نسب زبّان بن سيار الفَزَاري، وبهذا يشكك في أساس المنافرة وروحها وهو النسب، بعد أن شكك في حُكم الكاهنة؛ لأنه أفضل نَفْساً وأباً، وأن العِزّ كاهنة نَجْرَان قد جارت، وظلمته بتنفير زبّان عليه.

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 111. وشآني: سبقني: انظر ابن منظور مادة «شأى».

(2) انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «طغى».

(3) انظر: ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 137.

(4) أبو عبيدة – الديباج: 97.

وقد يدفع الغضب الخاسر المنفور إلى تحويل المخاصمة إلى منافرة شخصية ثم قبلية؛ مثل ما حدث في منافرة عبد المطلب بن هاشم وبني ثقيف، وقد ذكرناها سابقاً.

وقد ينال المنفور من المُنفِّر فلا يصفه بالجَور والظُّلم كما في منافرة عُيَيْنة بن حِصْن وزَبَّان بن سَيّار؛ بل قد يحاول أن يضرّ بقبيلة الحَكَم المنفّر، وهذا ما حدث في منافرة عبد المطّلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة «فغضب حَرْب من ذلك، وأغلظ لنُفَيْل، وقال: من انتكاس الدهر أن جعلناك حَكَماً»(1)، وحاول حرب بن أمية إخراج بني عَدي، لكن بني سهم منعوهم بسبب حلفهم مع بني عَدي، فكفّ حرب عنهم. ولولا سعي هذه القبائل لأخرج حَرْب بن أُمَيَّة بني عدي بن كَعْب من مكة؛ عقاباً لحَكَمها نُفَيْل بن العُزّى ابن رياح بن عدي بن كعب.

تعدّ خسارة المنافرة من مثالب القبيلة، وهي خسارة معنوية، وتخسر خسارة ماديّة تتمثل في النفورة، ولكنها قد تعود إلى المنفور بصورة سلميّة مثلما حدث في منافرة أبي ربيعة بن المغيرة وأَسِيد بن أبي العِيص بن أُمَيَّة التي نفّر فيها الكاهن الخُزَاعي، واضطر أبو ربيعة إلى إعطاء أَسِيد النفورة وهي ماله كلّه، «فنحر أَسِيد الجُزُر، ورجع فأخذ مال أبي ربيعة، وكانت أخت أَسِيد عند أبي جهل فكلّمت أخاها حتى ردّ على أبي ربيعة ماله»(2).

ونحر أَسِيد بن أبي العِيص هنا هو تعبير عن فرحته بتنفيره على أبي ربيعة الذي صار فقيراً مما جعل أخت أَسِيد النافر تشفق على أبي ربيعة بن المغيرة؛ فتقنع أخاها بردّ المال إليه.

وإذا كان أبو ربيعة بن المغيرة قد رُدّت إليه أمواله من دون طلب وبصورة سلمية؛ فإن خالد بن مالك النَّهْشَلِيّ قد عمد إلى أخذ النفورة غَصْباً حين نَفَّر رَبِيعَة بن حُذار الأَسْدِي القَعْقاع بن مَعْبَد عليه، وعن هذه الحادثة قال أبو عبيدة: «فانطلق خالد بن مالك فأغار

(1) أبو عبيدة – الديباج: 95- 98.

(2) محمد بن حبيب– المنمق: 116.

على إبل نفورة ربيعة فذهب بها... إلى إبله، وكانا وضعا إبلهما في رَحل امرأة ليرضيا بما حُكِم عليهما، فأخذها من عندها»[1].

وربما تكون هناك أشياء أخرى حدثت في المنافرات التي لم تصلنا، وما يدفعنا إلى هذا القول هو المنافرة التي حدثت بين جوّاس الشاعر وجميل بن مَعْمَر – وإن كانت هذه منافرة حدثت في العصر الإسلامي إن صحّ الخبر– وقد نفّر فيها يهود تَيْماء جوّاساً على جميل فأراد بعض قومه الانتقام من جوّاس، فماذا فعلوا؟ «فغضب لجميل نفرٌ من قومه يُقال لهم بنو سفيان، فجاؤوا إلى جوّاس ليلاً، وهو في بيته، فضربوه وعرّوا امرأته أم الجُسير في تلك الليلة»[2]، نجد هنا أن اعتداءً على حرمة بيت جوّاس الشّاعر قد وقع، وهذا حدث في العصر الإسلامي، ولانجد إشارة لموقف الدولة الإسلامية ولا لرد فعل القضاء تجاه ما حدث، وإذا كان قد حدث هذا بعد الإسلام فماذا يمكن أن يكون قد حدث في المنافرات الجاهلية التي لم تصلنا؟

وفي ختام حديثنا هنا عن المتنافرين لا بد أن نذكر أن المرأة قد شاركت في المنافرات مُنافِرة، ومناصِرة، وحَكَماً مُنفِّراً. وقد مرّ ذلك في الفصل السابق؛ أما مشاركتها منافرة فنذكر في هذا المقام هِنْد بنت عُتْبة بن ربيعة حيث اتهمها زوجها في عفّتها، وقَدِمت مع أبيها عُتبة بن ربيعة «فخرج الفاكه في جماعة من بني مَخْزُوم، وخرج عُتْبة في جماعة من بني عبد مناف وخرجت معهم هِنْد ونسوة معها»[3]، وقد ذكرنا فيما مضى أن هذه منافرة بالمعنى اللّغوي أي محاكمة بشكل عام، أما المعنى الاصطلاحي وهو المحاكمة في النسب فلم تتوافر عناصر المنافرة مثل النفورة، ومحاولة كلا المتنافرين إثبات أنه الأفضل؛ بل إن الأمر هنا لم يتجاوز الحُكْم ببراءة هِنْد بنت عُتْبة التي أثبتها الكاهن.

وهناك منافرة أخرى خرجت فيها العَجْفاء بنت عَلْقَمَة السّعدي مع رفيقاتها إلى كاهنة حيث «تنافرْن إلى كاهنة معهن في الحيّ، فقلن لها: اسمعي ما قُلنا، واحكمي بيننا

(1) أبو عبيدة – الديباج: 95.

(2) الأصفهاني – الأغاني، 22: 152.

(3) محمد بن حبيب – المنمق: 119.

واغْدلي، ثم أَعَدن عليها قولهن»[1]، ولا بأس أن نقف هنا ونتساءل هل هي منافرة بالمعنى اللّغوي أم الاصطلاحي؟ لعلّ ما يجعلنا نقول إنها منافرة هي لفظتا «تنافرن» و«احكمي»، واختلافهما حول أيّ أبّ هو أفضل؛ فكل واحدة تزعم أن أباها أفضل، واللجوء إلى الكاهنة للحُكْم بينهن، لكن الكاهنة ساوت بينهن، لتبين أن كلّ فتاة تفخر بأبيها، وتبين رأيها في أفضل النساء، وأفضل الرجال معددة الصفات المثالية لكلّ منهما، خاتمة ذلك بمثل اشتُهر عنها هو قولها (كلّ واحدة منكن بأبيها معجبة)، أو بعبارة أخرى «كلّ فتاة بأبيها معجبة»، كلّ فتاة في هذه المنافرة لم تذكر كرم النسب عند وصف أبيها، وهو أساس المنافرة وروحها، فلم تفتخر أي فتاة منهن بعراقة نسب أبيها؛ بل ركّزن اهتمامهن على مكارم الأخلاق التي جاءت مساندة لكرم النسب، ربما لأنهن متقاربات في كرم النسب فهنّ من حيّ واحد. وهذا يذكرنا بمنافرة عامر بن الطُّفيل وعَلْقَمَة بن عُلاَثَة، أما العناصر الأخرى للمنافرة وهي الكاهنة والمتنافرات واختلافهن حول أيّ واحدة منهن أفضل أباً، والنفورة هي معنوية تتجلى في المدح والثناء بتفضيل إحداهن على الأُخرى.

وقد كانت المرأة محرضة لأحد المتنافرين؛ مثلما حدث بين عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر الطّفيل حين وجّهت أم عامر ابنها للمنافرة «فقالت: يا عامر؛ نافره أيّكما أولى بالخيرات»[2].

وتقف المرأة أحياناً إلى جانب أحد المتنافرين مناصرة له، وهذا ما فعلته ابنة الحطيئة حين سمعت شعر الأعشى الذي ادّعى فيه أنه حكم بين عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر بن الطُّفيل له فنفّر الأخير في شعره «فسمعته مُلَيْكَة بنت الحطيئة فوضعت البَوْغاء على رأسها، وهتفت: حَرْباه [واحَرْباه]؟ هذا والله شعر أبي بصير، فلما توعد علقمة الأعشى زاد فيها» [القصيدة...][3].

---

(1) الميداني – مجمع الأمثال، 2: 10.

(2) الأصفهاني – الأغاني، 16: 285.

(3) أبو عبيدة – الديباج: 93– 94. البَوْغاء: التراب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «بوغ».

ثانياً– آثار المنافرات:

يخشى الحكماء من عواقب المنافرة وما تؤدي إليه من حروب؛ لذا فإنهم يبادرون للإصلاح بين المتخاصمين حتى لا يستفحل الخصام أو اللجاج بينهما فيدفعهما إلى التنافر، وهذا ما فعله مَرْثَد الخَيْر بن يَنْكَف بن نوف بن مَعْدِيكَرِب حيث أصلح بين سُبَيْع بن الحَارِث ومَيْثَم بن مُثَوِّب حين تنازعا الشرف والزعامة، فقال لهما: «... وأنيبوا إلى السَّبيل الأَرْشد، والمَنْهج الأقصد. فإن الحَرْب تُقْبِل بِزِبْرِج الغرور، وتُدْبِرُ بالويل والثُّبُور، ثم قال الملك:...

وَلاَ تَجْنِيا حَرْباً تَجُرُّ عَلَيْكُمَا	عَوَاقِبُهَا يَوْماً مِنَ الشَّرِّ أَشْأَمَا
فَإِنَّ جُنَاةَ الحَرْبِ لِلْحَيْنِ عُرْضَةٌ	تُفَوِّقُهُمْ مِنْهَا الذُّعَافَ المُقَشَّمَا
حَذَارِ فَلاَ تَسْتَنْبِشُوهَا فَإِنَّهَا	تُغَادِرُ ذَا الأَنْفِ الأَشَمِّ مُكَشَّمَا»(1)

مما سبق نجد أن مَرْثَد الخَيْر يدعو إلى الصُّلح؛ لأنها السبيل الأمثل، ولأن وحدة القبيلة وتماسكها حريّ به أن يعلو على أيّ صراع على الشّرف والرئاسة، وهذا الصراع والتنافر قد يؤدي إلى وقوع الحَرْب بين فرعي القبيلة مما يجعلها مطمعاً للقبائل الأخرى؛ لذا على المتنافرين هنا التخلي عن مطامع النفس ورغباتها من أجل وحدة القبيلة، وحذّرهم من آثار الحَرْب التي لا تجر إلا إلى الشّرّ والويل والثبور، والمنتصر في الحرب خاسر أيضاً، بسبب مقتل الكثيرين.

وإذا كان مَرْثَد الخَيْر قد لجأ إلى النصح بالإصلاح لما في الحرب من أهوال تطال الجميع؛ فإن إياس بن قَبِيصة عمد إلى التهديد بمخاطر الحرب ليضغط على النّعمان بن المنذر قائلاً له «أظنّ أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جُوَين، و لم يشعروا أن بني حيّة بالبلد، فإن شئت والله ناجزناك حتى يَسْفَح الوادي دماً، فليحضروا مِجادهم غداً بمجمع العرب. فعرف النّعمان الغضب من وجهه وكلامه، فقال له النّعمان: يا

(1) القالي – الأمالي، 1: 93. بزِبْرِج: الوشي. تُفوّقُ: تسقيهم. الذّعاف: السّم القاتل . المقشّم: المخلوط. تستنبثوها: لا تخرجوا نبيثها، وهو ما يخرج من البئر إذا حُفرت. مكشّم: مقطوع. انظر شرح هذه المعاني: القالي – مصدر سابق، 1: 93.

أحلمنا لا تغضب فإني سأكفيك، وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وأصحابه: انظروا ابن عمكم حاتماً، فأرضوه، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالاً تبذّرونه، وما أطيق بني حيّة»(1). يحذّر إياس بن قَبيصة النّعمان من مغبة مجاراة أصهاره من بني لَأْم الذين فضحوا عامر بن جُوين، لكن الأمر مختلف مع حاتم الطائي الذي لن يسكت مثل عامر بن جُوين؛ لذا نافر حاتم الطائي سعد بن لَأْم، وواعده في سوق الحيرة، وهي منافرة غير مأمونة العواقب، فالغرور قد يدفع ببني لَأْم أصهار النّعمان إلى استغلال قُربهم من النّعمان لدفعه إلى محاربة حاتم الطائي وقومه، وهو ما أدركه إياس بن قبيصة فحذّرالنعمان بن المنذر من مغبة الحرب.

وسعى النّعمان بن المنذر إلى الصلح حتى يجنّب نفسه وأصهاره مخاطر الحرب، ودعا إلى إرضاء حاتم الطائي معللاً ذلك بعدم قدرته على مواجهة بني حيّة، وربما لديه طاقة لمواجهتهم لكن السّبب غير كافٍ بالنسبة له، وهو ليس في حاجة إلى استعداء القبائل، فضلاً عن عدم رغبته في تبذير أمواله في حروب لا يجنى منها في رأيه غير الخسارة.

مما سبق نلاحظ أن بعض المتنافرين يرضى بالصلح؛ لكن بعضهم يمضي في منافرته إلى التحكيم كما حدث في كثير من المنافرات ومنها منافرة عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر بن الطُّفيل؛ لذا يحاول المُنفِّر الحكيم أن يُجنب المتنافرين مخاطر المنافرة وما تجرّ إليه من حروب.

أ- داحــس والغبــراء:

هي حرب وقعت بين قبيلتي عبس وذبيان، واستمرت بينهما سجالاً، ثم تصالحا، وتشتمل هذه الحرب على عدّة أيام منها: يوم المريقب، ويوم اليعمرية، ويوم الفروق، وذات الجراجر، ويوم المعيقة، وقد انتهت بالصُّلح بينهما(2).

وسبب الحرب الأساسي هواختلافهم حول ملكية الفرسين اللتين سميت باسمهما

(1) الأصفهاني – الأغاني 17 :372 . أختانك: أصهارك. انظر: ابن منظور–لسان العرب، مادة «ختن».

(2) أبو عبيدة– أيام العرب:177.

الحرب، وتتفق الروايات على أن فرس حَوْط بن أبي جابر بن أَوْس بن رياح المسمى بِجَلْوى قد مرّت بفرس قِرْواش بن عوف بن ثعلبة المسمى بذي العقال فنزا على جَلْوَى، فوضعت داحساً التي وضعت الغبراء فيما بعد مما أدّى إلى الاختلاف بينهما.

ولقد أغار قَيْس بن زُهَير بن جَذِيمة العَبْسيّ على بني يربوع، فأصاب ابنتي قرواش ومئة من الإبل مستغلاً فرصة خلو الحيّ من الرجال، لكنه ترك الفتاتين والإبل في مقابل أن يأخذ داحساً مما أغضب قومه فأرضاهم، ثم تنافر قِرْواش بن عوف بن ثعلبة مع قَيْس بن زُهَير وقضي في هذا الأمر بأن تُردَ الفتاتان والإبل إلى قيس بن زهير، ويرد عليه فرسه(1). هذه المنافرة منعت وقوع الشّرّ، وهوالحرب؛ ولكنها أبقت النفوس مستعدة لها، لأن قِرْواش بن عوف بن ثعلبة قد رضي بعد شرّ.

إن سباق الخيل والرِّهان الذي وضعهما مالك بن عُمَيلة وعُمَيْرة الخُزاعي أفضى بهما إلى التنافر، أما رهان قِرْواش بن عوف بن ثعلبة وقيس بن زُهير، وما فعلته بنو فَزَارة من تأخير داحس رغم أنه قد سبق أن أهاج الشحناء، وهيَّأ النفوس لتقبل الحرب التي دامت سنين طويلة، وربما لو تنافر قيس بن زهير وقِرْواش لما حدثت هذه الحرب، فالمنافرة في أحيان كثيرة كانت تمنع الشرّ(2).

ونقف عند هذا الخبر فقد قيل: «إن قيساً أقام بمكة، فكان أهلها يفاخرونه، وكان فخوراً، فقال لهم: نَحُّوا كعبتكم عنا وحرمكم، وهاتوا ما شئتم، فقال له عبد الله بن جُدْعان(3): إذا لم نفاخرك بالبيت المعمور، وبالحرم الآمن، فبمَ نُفاخرك؟

فقال قيس:

تُـفَـاخِـرُني مَـعَـاشِـرُ مِـنْ قُـرَيْـشٍ   بِـكَـعْـبَـتِـهِـمْ وَبِـالـبَـلَـدِ الحَـرَامِ

(1) أبو عبيدة– أيام العرب: 181.

(2) لمزيد من التفصيل انظر: عادل جاسم البياتي– الشعر في حرب داحس والغبراء: 75.

(3) هو سيد من سادات قريش في الجاهلية، ومن أجوادهم، حرم على نفسه الخمر، كان يصل الرحم ويطعم المساكين وأول من صنع الفالوذج في مكة وأطعم الناس، وكان سبباً في دخول قريش في حِلْف الفضول. انظر: محمد بن حبيب– المحبر: 97، 103، الأصفهاني– الأغاني، 8: 327.

فَـأَكْـرِمْ بـالـذّي فَـخـرُوا وَلَـكِـن		مَـغَـازِي الخَيْـلِ دَامِـيَـةُ الـكَـلامِ
وَطَـعْـنٌ في الـعَـجَـاجَـةِ كُـلَّ يَـوْمٍ		نُـحـورَ الخَيْـلِ بـالأَسَـلِ الـدَّوامـي
وَمَـا عَـيْـشُ ابْـنُ جُـدْعَـانٍ بِـعَـيْـشٍ		يَـجُـرُّ الخَزَّ في الـبَـلَـدِ الـتِّـهـامِـي
أَحَـبُّ إِلَيَّ مِـنْ عَـيْـشٍ رَخِـيٍّ		مَـعَ الـقُـرَشِـيِّ حَـرْبٍ أَوْ هِـشَامِ

فملّ قيس مفاخرتهم، وعزم على الرحلة عنهم، وسرّ ذلك قريشاً؛ لأنهم كانوا كرهوا مفاخرته، فقال لأخوته: ارحلوا بنا من عندهم أولاً، وإلا تفاقم الشرّ بيننا وبينهم، والحقوا ببني بدر، فإنهم أكفاؤنا في الحسب، وبنو عمّنا في النسب، وأشراف قومنا في الكرم، ومن لا يستطيع الربيع أن يتناولنا معهم»(1).

مما سبق نجد أن التفاخر بين قيس بن زهير ونفر من قريش قد وقع، حيث فاخروه بالبيت الحرام والبلد الآمن مما أغضب قيس بن زهير الذي طلب منهم تنحية هذه المفخرة؛ لذا ردّ عليهم شعراً بأن ما يفخرون به يقدّره ويكرّمه لكنه يفسح لهم مجالاً آخر للتنافر، وهو الشجاعة والإقدام، فهو يفضل حياة الحرب والمغازي، ولبس خشن الثياب والدروع على الحياة المرفهة التي يعمّها الرّخاء والراحة، وهي الحياة التي ينعم بها حَرْب بن أُمَيَّة وهشام.

واختلاف مقاييس المفاخرة واضح بينهما؛ فقريش تفتخر بمآثرها على القبائل في حين يدعو قيس بن زهير للتفاخر على أساس الشجاعة والإقدام، أيّ أنه يريدها منافرة شخصية لا قبلية؛ لكن رفضهم يدفعه إلى الرحيل عنهم، لكن السؤال هنا: لماذا لم يُقْدِم قيس بن زهيرعلى منافرة قريش مع أن أسبابها متحققة بالتفاخر الذي دار بينهم؟

في حديث قيس لقومه تتضح لنا هذه الأسباب؛ فهذه المفاخرة بينهم ستؤدي بهما إلى المنافرة ومن ثَمَّ إلى الشرّ، وهو هنا الحرب التي كان أحد أسبابها عجز قيس بن

---

(1) أبو عبيدة – كتاب الأيام، 2: 181– 182.

زهير عن مجاراة قريش في مفاخرتهم. ولم يلجأ قيس بن زهير الذي ملّ مفاخرة قريش إلى المنافرة؛ لأنه يعلم أن أساس المنافرة هو كرم النسب، فضلاً عما تتمتع به القبيلة من مفاخر ومآثر؛ لذا سيُنفّر الحَكَم قُريشاً على بني تَغْلبة، ويمثلهم هنا قيس بن زهير الذي أدرك ذلك بحكمته وببعد نظره، فآثر الرحيل إلى بني بَدْر؛ لأنهم أكفاؤهم في الحسب، وبنو عمهم في النسب، وليبتعد أيضاً عن الربيع بن زياد العبسي المتخاصم معه.

ب- حرب الفِجَار:

حرب وقعت بين كنانة وهوازن، وهو اليوم الأول من حرب الفِجار، وعن سبب تسميتها بحرب الفِجَار يقول أبو عبيدة: «فهذه الأيام تسمّى فِجَاراً لأنها كانت في الأشهر الحُرم، وهي الشهور التي يحرمونها، ففجروا فيها، فلذلك سُمّيت فِجَاراً، وهذه يقال لها أيام الفِجَار»(1)، والأشهر الحُرُم أربعة أشهر؛ وهي ذو القِعْدة وذو الحُجة ومُحَرّم ورَجَب.

ونقف عند حرب الفِجَار الأولى «قال أبو عبيدة: أيام الفِجَار عدّة، وهذه أولها، وهو بين كِنانَة وهَوازِن، وكان الذي هاجه أن بَدْر بن مَعْشَر أحد بني غِفَار بن مُليل بن ضَمْرَة ابن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانَة، جُعِل له مجلس بسوق عُكاظ وكان حَدَثاً مَنِيعاً في نفسه، فقام في المجلس، وقام على رأسه قائم، وأنشأ يقول:

نحنُ بَنو مُدْرِكة بن خِنْدِفَ ... مَنْ يطعنوا في عَيْنِهِ لم يُطرفِ

ومن يكُونوا قَومَهُ يُغطْرِفِ ... كأنهم لُجّةُ بَحْرٍ مُسدِفِ

ومدّ رِجله، وقال:

– أنا أعزّ العرب، فمن زعم أنه أعزّ مني، فليضرب هذه بالسّيف، فهو أعزّ مني. فوثب رجل من بني نصر بن معاوية، [يدعى] الأُحَيْمِر بن مازن، أحد بني دُهْمَان بن نصر بن

(1) أبوعبيدة – أيام العرب، 2: 506.

معاوية، فأندرها من الرُّكبة، ثم قال:

- خـذهـا إلـيك أيّـهـا المُخَـنْـدِف.

وهو ماسك سيفه، وقام أيضاً رجل من هوازن فقال:

نـحـنُ بـنُـو دهـمـان ذو الـتَّـغَـطْـرفِ   بَـحْـرٌ لـبَـحْـرٍ زاخـرٍ لم يـنـزفِ

نـحـنُ ضَـرَبـنـا رُكْـبـةَ المُخَـنْـدِفِ   إذْ مَـدَّهَـا فِـي أَشْـهُـرِ المُعَـرَّفِ

قال أبو عبيدة: إنما خرصها خرصةً يسيرة، فتحاور الحيان عند ذلك، حتى كاد أن يكون بينهما الدّماء، ثم تراجعوا، ورأوا أن الخطب يسير»(1).

وما جرى هنا هو بداية منافرة؛ لكن لماذا لم يلجأ الطرفان إلى المنافرة؟ فالمنافرة ستفصل بينهما فيمن له الشّرف والمجد، والتعبير «فتحاور الحيان» لا يبين لنا ما جرى بين الحيين؛ لكن نستطيع أن نقول إنه حوار تعصب فيه الطرفان كلّ إلى قبيلته، ولعل إدراك الحيّيْن ما قد يؤدي إليه التحاور من تنافر وتنازع، ومن ثَمّ إلى إراقة الدّماء جعلهم يتراجعون؛ ولأن الأمر يسير، ولاسيما أنهم في الأشهر الحرم التي تعارف العرب فيها على حرمة الحرب.

ومن الجدير ذكره أن أحد المتنافرين مجهول فلم يحدد بدر رجلاً بعينه؛ بل هو يرى نفسه أعز من في المجلس، فالمتنافر بَدْر بن مَعْشَر لم يحدد رجلاً أو قوماً؛ بل شمل كلامه كل من حضر المجلس في سوق عُكاظ.

(1) أبو عبيدة – كتاب أيام العرب، 2: 504. أندرها: قطعها. ذو التغطرف: التكبر والاختيال في المشي، مُسدف: مُظلم. خَرْص: السِّنان، وعويد يغرز في عَقد السقاء. انظر: ابن منظور–لسان العرب، مادة «ندر» و«غطرف» و«سدف».

ثالثاً– صورة المجتمع الجاهلي من خلال المنافرات:

أ– الحياة الدينية:

يتضح من خلال المنافرات أن الجاهليين قد آمنوا بوجود الله سبحانه وتعالى، ولا نجد تعليلاً لعبادتهم للأصنام إلا ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾(1). ونجد ذلك في قول كاهن عُسْفان «حلفتُ بربّ السماء، ومرسل العَمَاء فينبعن بالماء... حلفتُ بربّ مكة واليمامة، ومن سلك بطن تهامه لحج أو إقامة»(2).

لعلّ أبرز جوانب الحياة الدينية في المنافرات تتضح من خلال القسم الذي يقسمه الحكم، ولاسيما الكهان منهم، وتتجلى صورة القسم في صيغ مختلفة أبرزها:

1– القسم بالله (سبحانه وتعالى):

مع إضافة أسماء عناصر الطبيعة والمخلوقات؛ ومن أمثلة ذلك «أما وربّ الواطدات الشُّمّ، والجَرْوَل السُّود بهن الصُّم... أما ورب السّماء والأرض والماء، وما لاح لنا من حراء»(3) أما ورب العاديات الضَّبْح، ما يعدل الحُرّ بِعَبْد نَحْنَح»(4). كما أقسم الكاهن عُزّى سَلِمَة العُذْرِي بالله في أبيات سابقة(5).

---

(1) سورة الزمر: 2 و3.

(2) محمد بن حبيب – المنمق: 107. العَمَاء: السّحاب الكثيف الممطر. انظر: ابن منظور–لسان العرب، مادة «عمي».

(3) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 116. الواطدات: الجبال. الجَرْوَل: الأرض ذات الحجارة الصُّم: الحجارة الصلبة. انظر: ابن منظور–لسان العرب، مادة «وطد» و«جرو» و«صمم».

(4) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 116. العاديات: الخيل المغيرة الضبح: صوت عدو الخيل. انظر: ابن منظور–لسان العرب، مادة « عدو» و«قرر» و«ضبح».

(5) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 102.

2- القسم بالبيت الحرام:

وممن أقسم به الكاهن سَطِيح الذِّئْبِيّ فقال: «بالنُّجُود أحلف والتَّهائم، ثم بيت الله ذي الدَّعائم، وكل من حج على شُداقِم»(1)، ويتبين من خلال المنافرات مكانة البيت الحرام، وشعائر الحج؛ ولأهميته ومكانته لجأ الكهان إلى القسم به، ومنهم الكاهن عُزّى سَلَمَة العُذْرِي «أحلف بالضِّياء والظُّلَم، والبيت ذي الحرم»(2)، والحج إلى البيت الحرام من العبادات لديهم؛ لذا جعلها الكاهن من أسباب تنفيره لعبد المطلب بن هاشم في منافرته مع بني ثقيف «زيارة البيت لهم عبادة»(3).

ولا نجد هذه الإشارات السريعة لمكانة البيت الحرام فحسب؛ وإنما ورد في شعر الكاهن عُزّى سَلَمَة العُذْرِيّ الذي تميز بكثرة الحَلْف والإشارة إلى البيت الحرام واصفاً بعض شعائر الحجّ لدى العرب في الجاهلية:

«أَحْلفُ بالمَرْوَةِ وَالْمَشَاعِر	وَمَنْحَر البُدْن لَدَى الحَزَاوِر
وَكُلِّ مَنْ حَجَّ عَلَى عُذَافِر	مَا بَيْنَ مَطْفُورٍ وبين نَاشِر
يَؤُم بَيْت الله ذِي السَّتائِر	أَنَّ سَنَاء المَجْدِ والمَفَاخِر
لَفي الفَتَى عُمَيْرَةِ بنِ هَاجَر	فَارْجع أَخَا الدَّارِ بِجَدٍّ عَاثِر»(4)

هذا من الشعر الذي وصلنا فيما يتعلق بالحجّ في الجاهلية، ويرى جواد علي أنه لولا إقرار الإسلام لبعض شعائر الحج في الجاهلية -التي لم تتعارض مع مبادئه- لما عرفنا شيئاً عن الحج في العصر الجاهلي(5). ونلحظ أن الجاهليين عظّموا المروة، وقدّموا البُدْن؛ لأنها نوع من الأضحية. مع طوافهم بالبيت، والطواف هو أهم طرائق التعبد إلى الآلهة

---

(1) محمد بن حبيب- المنمق: 114. شداقم: الواسع الشدقين من الإبل. انظر: ابن منظور-لسان العرب: مادة «شدقم».

(2) المصدر نفسه: 101.

(3) المصدر نفسه: 102.

(4) المصدر نفسه: 110- 111.

(5) انظر: جواد علي - المفصل في تاريخ العرب: 6: 352.

والتقرب إليها، ولقد وردت إشارات إلى هذه الشعائر الدينية في الشعر الجاهلي(1).

3- القسم بالأصنام :

وردت أسماء الأصنام في المنافرات لتكون كفيلاً للمتنافرين للوفاء بالنفورة، ونجد ذلك في منافرة خالِد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ وجَرير بن عبد الله البَجَلِي «قال خالد: من لي بالوفاء؟ قال: كفيلي اللاّت والعُزّى، وإساف، ونائلة، وشمسٌ، ويَعوقٌ، وذوالخَلَصة، ونَسْر؛ فمن عليك بالوفاء؟ قال: وَدٌّ، ومَنَاةٌ، وفِلْسٌ، ورُضى»(2).

ويرد في قسم الكُهّان الحلف بالضِّياء والظُّلَمة وغير ذلك، ومن أمثلة ذلك قول الكاهن عُزّى سَلَمَة العُذْرِي: «أحلف بالضياء والظُّلَم»(3)، و«أحلف بالنور والقمر، والسّناء والدهر، والرياح والفَطْر»(4). وقد يتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى أن قسم الكاهن يحمل أثراً مجوسياً، ولكنّ لا نتوقع من الكاهن ذلك؛ لأن الكهّان يقومون برعاية بيوت الأصنام(5)، كما أن المجوسية كانت معروفة، فقد آمن بها بعض بني تميم، ومنهم حاجِب ابن زُرارَة(6)، ويمكن تسويغ قسم الكاهن بالنور والظلمة بطريقته في القسم التي تعتمد على التضاد مثل «النور والظلمة – الغائر والمنجد»، وقد يعتمد الكاهن في قسمه على وجود علاقة فيما يقسم به في العبارة قوله مثل «النور والقمر – الرياح والقطر» كأنه يريد أن يقسم بكل ما في الكون من أمور متناقضة ومتشابهة.

ولعلّ ما يلفت النظر في منافرة عُتبة بن ربيعة، والفَاكِه بن المغيرة الذي اتهم فيها

---

(1) جواد علي – المفصل، 6: 355. ولمزيد من التفصيل انظر: محمد إبراهيم الفيومي – تاريخ الفكر الديني الجاهلي، 462 –472 .

(2) أبو عبيدة – شرح نقائض جرير الفرزدق، 1: 301؛ وانظر الأسود الغندجاني– فرحة الأديب: 109.

(3) محمد بن حبيب – المنمق: 101.

(4) المصدر نفسه: 110. لعلّ الكلمة هي القطر.

(5) انظر: شوقي ضيف – العصر الجاهلي: 421.

(6) لمعرفة أثر المجوسية في العرب انظر: صادق مكي – ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي: 73، وانظر: محمد إبراهيم الفيومي – تاريخ الفكر الديني الجاهلي: 320.

زوجته، وهي هِنْد بنت عُتْبة بن ربيعة، هو ذكر يوم القيامة في حديثها مع أبيها حين سألها عن سبب تغير حالها قبل وصولهم إلى الكاهن؛ فقالت: «ولكني أعلم أنكم تأتون بشراً يُخطئ ويصيب، ولا آمنه أن يسمني مَيْسماً يكون عليّ سُبّة إلى يوم القيامة، فقال لها: إني سوف أختبره من قبل أن ننظر في أمرك»(1)؛ فهل آمن الجاهليون بيوم الحساب؟ وهل سُمّي باسم يوم القيامة؟ عن هذا يقول صادق مكي: «أما فكرة الحساب الذي يكون في يوم محدد يجمع الله تعالى فيه الناس، فيكون حساباً عاماً شاملاً... فوردت عند زُهَيْر بن أبي سُلْمى وحده بين شعرائنا في قوله:

فَلاَ تَكْتُمَنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ ... لِيخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ ... لِيَوْمِ حِسَابٍ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ(2)

إذ قد يكون لفظ القيامة مستخدماً في الجاهلية مرادفاً للحساب لإيمان بعض الجاهليين بالبعث، وقد يكون هناك خطأٌ في الرواية فاستخدم لفظ القيامة بدلاً من الحساب أو لفظ آخر. ولم ترد عبارة «يوم القيامة» في سائر الأخبار خلا خبر انفرد به محمد بن حبيب من دون غيره، أما الكتب الأُخرى فوردت فيها عبارة «إلى آخر الدهر»(3).

ولقد وجد الرسول ﷺ في المنافرات فرصة سانحة لنشر دعوته؛ إذ أخذ يعرض دعوته لنفر من الأَوْس قدموا للمنافرة، فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن(4)، وكذلك في تعرضه ودعوته لسُوَيْد بن صامت بعد منافرته مع رجل من بني سُليم(5).

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 119.

(2) صادق مكي – ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي: 111. انظر: ديوان زهير بن أبي سلمى: 81.

(3) انظر: الأصفهاني – الأغاني 9:66، الأبشيهي– المستطرف من كلّ فن مستظرف، 2: 393.

(4) انظر: السمهودي– وفاء الوفا من أخبار دار المصطفى، 1: 221.

(5) ابن هشام – السيرة النبوية، 2: 426.

ب- الحياة السياسية:

يؤكد ما جاء في المنافرات ما هو معلوم عن حياة العرب السياسية من أن بعضهم قد عاش قبائل متفرقة، وبعضهم سكن المدن والقرى، وبعضهم لم يعرف الاستقرار. وما يجمع القبيلة هو رابطة النسب؛ إذ إنهم ينتمون لأَصل واحد، ويجتمعون لتحقيق مصالح أفراد القبيلة، ليكونوا قوة في وجوه أعدائهم.

كان العرب في الجاهلية على معرفة بالدّول والممالك الأخرى، وعلى اتصال بهم، ومن ذلك وفود رؤساء القبائل العربية إلى النُّعمان بن المُنْذِر، ووفود العرب إلى كسرى عظيم فارس بصحبة النُّعمان بن المُنذر، ومما يدل على معرفتهم بهؤلاء الملوك والحكام قول الأَقْرَع بن حَابِس في منافرة جرير بن عبد الله البَجَلِي وخالِد بن أَرْطاة الكَلْبِي عندما نفّر جريراً على خالد : «واللات والعُزّى؛ لو فاخرت قيصر ملك الروم، وكِسرى عظيم فارس، والنُّعمان ملك العرب، لنفّرْتُك عليهم»(1).

وعلى الرغم من ذهاب وفود العرب إلى الملوك فإنهم يرفضون الخضوع لهم أَنَفَة وعِزّة، ونجد ذلك في قول جرير بن عبد الله البَجَلِيّ في منافرته مع خالِد بن أَرْطاة الكَلْبِيّ عند الأَقْرَع بن حَابِس معدداً مفاخر قبيلته: «ونحن حي لَقَاح»(2)؛ أي أنهم لا يدينون للملوك، و لم يصبهم في الجاهلية سِباء.

كان العرب قبائل متفرقة ولا يعني هذا أنهم لم يعرفوا علاقات أو روابط سياسية؛ بل نجد لديهم أحلافاً وجواراً وغير ذلك من طرائق التعاون بين القبائل العربيّة. ومن أشكال العلاقات والروابط السياسية بين القبائل إقامة الأحلاف، ومفردها حِلف، واشتقاقه في اللغة من حَلْف اليمين، «وأصلها العقد بالعزم والنية... تأكيداً لعقده... والحِلْف بالكسر، العهد يكون بين القوم... أصل الحِلْف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد، فماكان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام ... وما كان منه في الجاهلية على نصرة المظلوم وصلة الأرحام

(1) الأسود الغندجاني- فرحة الأديب: 109.

(2) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

كحِلْف المُطَيَّبِين وهم ستّ قبائل: عبدُ الدَّار، وجُمَح، ومَخْزُوم، وبنو عَدِيّ، وكَعْبٌ، وسَهْم، وما جرى مجراه ... لم يزده الإسلام إلا شدّة، يريد من المعاقدة على الخير ونُصرة الحقّ...»[1].

وقد فصّل جواد علي الحديث في هذا الموضوع، وذهب إلى أن الأحلاف تقوم بين عشائر القبيلة الواحدة وبُطُونها، أو بين القبائل المختلفة. وهي تقوم على المصالح لصدّ غزو القبائل الأخرى، أو لتتحالف القبائل الصغيرة مع القبائل الكبيرة القوية. وتدوم هذه الأحلاف بدوام المصالح الواحدة، وقد يتم التحالف على النار أو الطِّيب أو الدّم أو القَسَم عند الأصنام، وتُدونُ هذه الأحلاف وتُحفظُ[2].

ومن حقوق المتحالفين أن ينصر كل منهم الآخر ولاسيما القوي الذي ينبغي عليه أن يمنع الأذى عن المتحالفين معه، وقد يؤدي هذا التحالف إلى جر القبائل المتحالفة معهم إلى المنافرة؛ وهذا ما حدث في منافرة بني مَخْزُوم وبني أُمَيَّة من بني كِنانَة حين تفاخر حلفاؤهم بعزِتهم وقوتهم، مما أدى ببني مَخْزُوم وبني أُمَيَّة إلى التنافر، وننقل هنا بعضاً من حوارهما «قال رجل من بني كِنانَة كان حليفاً لبني مَخْزُوم: بنو مَخْزُوم أعزّ وأمنع وقال رجل من بني زُبَيد – وكان حليفاً لبني أُمَيَّة–: بنو أُمَيَّة أعزّ وأمنع»[3].

وقد يدفع التحالف الأذى عن بعض القبائل بانتصار القبيلة القوية للقبيلة الضعيفة؛ وهذا ما حدث في منافرة حَرْب بن أُمَيَّة وعبد المطلب بن هاشم التي حكم فيها نُفَيْل بن عَبْد العُزّى بن رِيَاح بن عدي بن كعب، ونفّر فيها عبد المطلب بن هاشم على حَرْب بن أُمَيَّة، فما كان من الأخير إلا أن عزم على إخراج بني عدي انتقاماً من حكمها، وفي ذلك يقول محمد بن حبيب: «فأراد حَرْب بن أُمَيَّة إخراج بني عَدِيّ بن كَعْب من مكة؛ فاجتمعت لذلك بنو عبد شمس بن عبد مناف وبنو نوفل بن عبد مناف، وغضب لعبد المطلب بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زُهْرَة، وغضب بنو سَهْم لبني عَدِيّ لأنهم من

(1) ابن منظور – لسان العرب، مادة «حلف» .

(2) انظر: جواد علي– المفصل في تاريخ العرب، 4: 370 وما بعدها.

(3) محمد بن حبيب – المنمق: 112.

الأحلاف فمنعوهم، فلما رأى ذلك حَرْب بن أُمَيَّة كفّ عنهم»[1].

إن بني سَهْم منعت إخراج بني عدي؛ لأنهم من الأحلاف فلا بد من مناصرتهم، لأن حَرْب بن أُمَيَّة وعبد المطلب بن هاشم قد ارتضيا بالحكم المنفّر نُفَيْل بن عَبْد العُزّى، ومن ثم لا مناص من أن يرضيا بما يحكم به.

أما الجِوار فقد فصّل جواد علي الحديث فيه؛ إذ يرى أن له صلةً كبيرةً بالنسب والعصبية، فقد اندمجت بعض القبائل الصغيرة بالكبيرة عن طريق الجِوار، ويُعلن الجوار في الأسواق والمواسم، ولابد فيه من الحفاظ على حقوق المستجير من المستجار به، وهي الحماية والمحافظة على النفس والمال والأهل، ومن حقوق الجوار المطالبة بدم المستجير والبحث عن قاتله، وهذا ما أدّى بعبد المطلب بن هاشم إلى منافرة حَرْب بن أُمَيَّة مطالباً بدم جاره اليهودي؛ «قال أبو المنذر: كان رجلٌ من اليهود من أهل نَجْرَان يقال له أُذينة في جوار عبد المطلب بن هاشم ... فجعل عبد المطلب لا يعرف له قاتلاً، حتى كان من بعد فعلم من أين أتى، فأتى حَرْب بن أُمَيَّة فأنبّه لصنيعه، وطلب بدم جاره»[2].

ج- الحياة الاجتماعية:

يتضح من المنافرات أن عمود القبيلة وروحها هو النسب، والعصبية القبلية التي تجتمع في نسب واحد وما يتبعها من حلف أو جوار تفرض حقوقاً على المتحالفين. ولا بد هنا أن نذكر بعض ما يتعلق بالأنساب؛ فهناك أنساب صريحة معروفة، وهناك دُخلاء، وبعض المُسْتلحَقين.

والدَّخيل من انتسب إلى قوم وليس أصله منهم، والدّخيل أيضاً الضيف لدخوله على المضيف[3]. ووصف الرجل بالدّخيل هو تقليل من مكانته وقيمته ولاسيما في المنافرات، ومن ذلك منافرة أَسِيد بن أبي العِيص والوليد بن المغيرة؛ فقد قال ابن أبي العِيص للوليد

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 98

(2) المصدر نفسه: 94.

(3) انظر: ابن منظور– لسان العرب، مادة «دخل».

بن المغيرة «أنا خير منك منصباً، وأثبت منك في قريش نسباً، وأنت رجل من كِنانَة من بني شِجْع دخيل في قريش، نزيع في بني مَخْزُوم»(1).

ويبين جواد علي علاقة الاستلحاق بالنسب قائلاً: «هو أن يستلحق إنسان شخصاً فيلحقه بنسبه ويجعله في حمايته ورعايته، أي في عصبيته. وقد يكون الرجل صريحاً معروف النسب، وقد يكون أسيراً أو مولى أو عبداً فيسميه مولاه، وينسبه إليه»(2). وقد يكون الاستلحاق من أبناء الإماء. وممن استلحق أميةُ بن حرب خلال وجوده في الشام بعدما نُفّر عبد المطلب بن هاشم عليه، فدفع حرب خمسين ناقة لعبد المطلب، ونُفي خارج مكة عشر سنين، وهو ما اتفق عليه المتنافران، فما كان من أمية إلا أن «استلحق أبا عمرو ابنه، وهو ذَكْوَان، وهو رجل من أهل صَفُّورِية(3)، فخلف أبو عمرو على امرأة أبيه بعده فأولدها أَبَّان، وهو أبو معيط، ويقال استلحق ذَكْوَان أيضاً أَبان»(4).

إلى جانب اهتمام العربي بنسبه نرى أن هناك قيماً وأخلاقاً حرص العربي على التحلي بها في الجاهلية؛ أهمها الكرم والشجاعة وغيرها من الخصال الحميدة، أمّا القيم الجمالية التي اهتم بها فتتعلق بالشِّعر والبَصَر خاصة، ويتضح ذلك في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاَثَة وعامر بن الطُّفيل، وقد تحدثنا عن ذلك في بداية هذا الفصل في مجالات المنافرة.

وفي المنافرات قد يتناسى بعض أفراد القبيلة ما بينهم من مشكلات وخلافات، ويأتي مناصراً لقريبه؛ لأن مناصرته هي مناصرة للقبيلة أمام الآخرين، وهذا ما قد حدث في منافرة جرير بن عبد الله البَجَلِيّ وقُضَاعَة. «وكان جرير بن عبد الله نافر قُضَاعَة، فبلغ

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 112. نزيع: غريب وبعيد. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة «نزع».

(2) جواد علي – المفصل، 4: 357.

(3) صَفُّورِية: بلدة من نواحي الأردن بالقرب من بحيرة طبرية. انظر: ياقوت الحموي – معجم البلدان،3: 414.

(4) محمد بن حبيب– مصدر سابق: 106– 107 .

ذلك أسد بن عبد الله، وكان بينه وبينه -أعني جريراً- تباعد، فأقبل في فوارس من قومه ناصراً لجرير ومعاوناً له ومنجداً، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه، فرآه جرير ورأى أصحابه في السلاح ارتاع، وخافه، فقيل له: هذا أسد جاءك ناصراً لك. فقال جرير: ليت لي بكلّ بلدٍ ابن عمٍ عاقّاً مثل أسد»(1). ونجد المناصرة القبلية المادية والمعنوية واضحة في منافرة حاتم الطائي وابن عمّه سَعْد بن لأْم(2).

وعلى الرغم من أهمية العلاقات الاجتماعية التي تربط أفراد القبيلة بعضهم ببعض؛ فإن القبيلة قد تضطر في المنافرات إلى وضع بعض أبنائها أو بعض أفرادها رَهْناً لضمان أداء النّفورة والوفاء بها، وذلك ما حدث في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفيل الذي قال: «مئة من الإبل إلى مئة من الإبل يعطاها الحكم أيّنا نُفِّر على صاحبه أخرجها، ففعلوا ذلك، ووضعوا بها رَهْناً من أبنائهم على يدي رجل من بني الوحيد، فسُمي الضَّمين إلى السَّاعة، وهو الكفيـل»(3).

وقد تؤدي المنافرات في القبيلة الواحدة إلى التأثير في العلاقات بين أفراد القبيلة ولاسيما الأقارب، وهذا ما كاد أن يحدث في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطفيل، إذ طلب عامر بن الطُّفيل من عمّه أن يُعينه «فقال [عامر بن مالك] يا ابن أخي سُبّني، فقال: لا أسبّك وأنت عمّي، قال: فسبّ الأَحوص، فقال: لا أسبّ والله الأَحوص، وهو عمّي»(4)، لم يقبل عامر أن يسب أعمامه؛ فللقربى حقّ أهمّه التقدير والاحترام.

ونقف عند موقف عُتبة بن ربيعة حين اتّهمت ابنته هند في شرفها، لنقف على طريقة تصرف بعض الجاهليين مع من يُتهم في أعراضهم، حيث قال عُتبة لابنته: «أنبئيني نبأك، فإن كان الرجل صادقاً دسستُ عليه من يقتله فانقطعت القالة عنك، وإن يكن كاذباً

(1) الأصفهاني- الأغاني، 5:22 .

(2) المصدر نفسه، 17: 307 .

(3) المصدر نفسه، 16: 286.

(4) أبو عبيدة- الديباج: 89.

حاكمته إلى بعض كُهان اليمن»[1].

من هنا يتضح أن عُتبة بن ربيعة يتحاكم لدى الكّهان إن كان الحقّ إلى جانبه، ويلجأ إلى القتل إن لم يكن الحقّ إلى جانبه؛ حتى لا يُحكم على ابنته فيُعيّر بذلك. وقد تلجأ بعض النساء في الجاهلية إلى الكواهن؛ ليجدن لهن حلاً مما يعانين منه، كأن تكون شابة أُرغمت على الزواج من شيخ، ويقول الأعشى عن حالة مثل هذه الشَّابة:

قُضَاعِيَّةً تَأْتِي الكَـوَاهِنَ نَاشِصًا   تَـقَـمَّـرهَـا شَـيْـخٌ عِـشَـاءً فَأَصْـبَـحَـتْ[2]

ويجدر الذكر هنا أن هناك إشارات في المنافرات لبعض جوانب الحياة الطبيعية من نبات وحيوان، ولن نتوقف عليها لشيوعها وترددها في الشعر الجاهلي[3].

رابعاً- الأخبار الشبية بالمنافرات:

وصلتنا مجموعة من الأخبار ذُكرت في كتب الأدب، وهي شبيهة بالمنافرة من عدّة جوانب، ونقف عند الخبر في البدء، ثم نحلله لنبين وجوه التشابه بينه وبين المنافرة.

*** الخبر الأول:**

«قال النّعمان بن المنذر ذات يوم، وعنده وجوه العرب ووفود القبائل، ودعا بُبردي مُحَرِّق. فقال: ليلبس هذين البردين أكرم العرب، وأشرفهم حسباً وأعزّهم قبيلة. فأحجم الناس؛ فقام الأُحَيْمِر بن خَلَف بن بَهْدَلَة بن عَوْف بن كَعْب بن سعد بن زيد مناة، فقال: أنا لهما، فأْتَزَر بأحدهما وارتدى الآخر؛ فقال له المنذر: ما حجتك فيما ادّعيت؟ قال: الشّرف من نِزَار كلّها في مُضَر، ثم في تميم ثم في سعد، ثم في كعب، ثم في بَهْدَلَة. قال: هذا أنت في أصلك؛ فكيف أنت في عشيرتك؟ قال: أنا أبو عشرة، وعمّ عشرة، وأخو عشرة، وخال عشرة! قال: فهذا أنت في عشيرتك؛ فكيف أنت في نفسك؟ فقال: شاهدُ

(1) محمد بن حبيب- المنمق: 119.

(2) ديوان الأعشى: 185.

(3) انظر: المصدر نفسه: 103و 107.

العين شاهدي، ثم قام فوضع قدمه في الأرض، وقال: من أزالها فله من الإبل مئة، فلم يقم إليه أحد، ولا تعاطى ذلك»[1].

نلاحظ هنا أن النّعمان بن المنذر استغل فرصة وجود وجهاء العرب ليفضّل أحدهم على الآخر، وليعرف أيّهم أكرم نسباً، وأشرف حسباً، وأعز قبيلة. وهو بهذا يحدد مجالات المنافرة، ويقدم النفورة المادية المتمثلة في بردي محرّق، والمعنوية باستحقاقه لأن يكون أكرم العرب؛ لأن النفورة هديّة من ملك العرب ألا وهو النعمان بن المنذر. ومن خلال الحوار ينصّب النعمان نفسه حَكَماً مطالباً الأُحَيْمِر بن خلف بن بَهْدَلَة بالأدلة والبراهين التي تؤكد أحقيته من خلال حواره معه، فنقل مجالات المنافرة إلى مكانته في العشيرة. وأثبت له مكانته وثقته بنفسه، فوضع قدمه متحدياً أن تزال في مقابل أن ينال من يفعل ذلك مئة من الإبل، وهنا يحفّز الآخرين بأعطية مادية تمثل ثروة في ذلك الوقت، ليحركوا قدمه عن موضعها، فلم يقم إليه أحد منهم إقراراً بمكانته، وعجزهم عن تحدّيه.

ونقف هنا عند ما افتخر به الأُحَيْمِر، فافتخاره بنسبه وشرف قبيلته هو روح المنافرة؛ لذا افتخر بكثرة عشيرته، ولكننا نلاحظ هنا أنه لم يحدد أشرافهم، ولم يذكر صفاتهم، واكتفى بعددهم. ووافق النّعمان بن المنذر الأُحَيْمِر بن بَهْدَلَة، إذ ختم هذا الموقف بوضع قدمه متحدياً أن يحركها أحد من العرب، فلم يحرّكْها أحد إقراراً بأحقيته في أنه أكرم العرب، وأشرفهم حسباً، وأعزّهم قبيلة.

وإذا كان الأُحَيْمِر قد اختار أن يضع قدمه متحدياً تحريكها ليؤكد أن جميع من حضر مجلس النّعمان في ذلك الوقت يقرّ له بالفضل والمكانة، وكرم النسب؛ فإن الناس في الجاهلية أقرّوا لهم وكرموهم، ويورد ابن عبد ربّه دليلاً عمليّاً واقعيّاً مما يحدث في الحج في الجاهلية؛ يقول: «وفيهم كانت الإفاضة في الجاهلية في عطارد بن عوف بن كعب ابن سعد، ثم في آل كَرِب بن صفوان بن عطارد. وكان إذا اجتمع الناس أيام الحجّ بمنى

---

(1) ابن عبد ربّه – العقد الفريد، 3: 296. بُردي مُحَرِّق: مُحَرِّق الأكبر هو امرؤ القيس اللَّخْمِي أو عمرو ابن هند، ويلقب بالمحرق أيضاً يعني أن البردين لأحد أجداده. انظر: ابن رشيق – العمدة، 2: 952.

لم يبرح أحد يجوز حتى يجوز آل صفوان، ومن ورث ذلك عنهم، ثم يمرّ الناس أرسالاً، وفي ذلك يقول أَوْس بن تميم بن مَغْراء السَّعْدِي:

ولا يَـريمُون في الـتَّـعْـريـفِ مَـوْقِـفَـهُـمْ ... حَـتّـى يُـقـالَ أَجِـيـزوا آلَ صَـفْـوانَـا

مـا تَـطْـلُـع الشَّـمْـسُ إلاّ عِـنْـدَ أَوَّلِـنـا ... ولا تُـغَـيِّـبُ إلاّ عِـنْـد أخْـرَانا»(1)

*** الخبر الثاني:**

«قدم على النّعمان بن المنذر وفود ربيعة ومُضر بن نزار، وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة، بِسْطام بن قَيْس(2)، والحَوْفَزان بن شَرِيك البكْرِيّان، وفيمن قدم من وفد مُضر من قَيْس عَيْلان عامر بن مالك، وعامرُ بن الطُّفَيْل، ومن تميم قَيْس بن عاصمٍ، والأَقْرَع بن حَابِس، فلما انتهوا إلى النعمان أكرمهم، وحباهم، وكان يتّخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً: يَطْعَمون فيه معه ويشربون، وكان إذا وُضع الشّراب سُقي النّعمان، فمن بُدئ به على إثره، فهو أفضل الوفد. فلمّا شرب النّعمان، قامت القَيْنَة تنظر إلى النّعمان من الذي يأمرها أن تسقيه وتُفضّله من الوفد، فنظر في وجهها ساعة، ثم أطرق، ثم رفع رأسه، وأنشأ يقول:

سَقّي وُفـُودَك مِمّا كُنْت ساقِيَتي ... وابْدي بِكأْس ابْـنِ ذِي الجَدّيْن بِسْطامِ

أَغَـرُّ يَـنْـمِـيــهِ مِـنْ شَـيْـبَـانَ ذو أَنَـفٍ ... حامي الذِّمارِ، وَعَن أَعْراضِها رامي

قد كان قَيْـس بـن مَسْعُـود ووالِدُه ... تَـبْـدا المـلـوكُ بِـهِـمْ أَيَّـامَ أَيّـامِ

فارْضَوا بِما فَعَل النُّعْمان في مُضَـرٍ ... وفي ربيعة مِـنْ تَعْظيم أقْـوامِ

---

(1) ابن عبد ربّه – مصدر سابق، 3: 296، الإفاضة: هي الإجازة بالناس من عرفة عن نفرتهم من منى. أرسال: أيّ جماعة جماعة. لا يريمون: أي ما يبرحون. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «فيض» و«رسل» و«روم».

(2) هو أبو الصهباء بِسْطام بن قيس بن خالد بن عبدالله بن عمر بن الحارث بن ذهل بن شَيْبَان، كان أشهر الفرسان وسيدهم، ويضرب به المثل في الفروسية، فيقال: «أفرس من بسطام»، قتله عاصم بن خليفة من بني ثعلبة يوم السقيفة. انظر: الجاحظ – البيان والتبيين، 1: 21؛ وابن عبدربه– العقد الفريد، 3: 341.

هُم الجَماجِم والأَذْناب غَيْـرُهُمُ فارْضوا بـذلك أو بُـوءوا بِإرْغام

فقال عامر بن الطّفيل:

كان التَّبَابِع في دَهْـر لَهُم سَلَف وَابْن المُرار وَأَمْـلاك عَلى الشّامِ

حَتّى انْتَهَى المُلْك مِن لَخْم إلى مَلِكٍ بَادِي السِّنَان لِمَن لَم يَـرْمِه رَامِ

أَنْـحَى علينا بَأَظْفَار فَطَوَّقَنَا طَـوْق الحَمَام بِإِتْعـاس وَإِرْغَامِ

إن يمْكِن الله مِن دَهْر تُسـاء بِهِ نَتْرُكْك وَحْدَك تَدْعُو رَهْط بِسْـطامِ

فانْظُرْ إذا الصِّيد لَمْ يَحْمُوك مِن مُضَرٍ هل فِي رَبِيعةَ إن لَـم تَدْعُنا حامِ؟؟

فأجابه بِسطام بن قيس، فقال:

لَعَمْري، لَئِن ضَجَّـت تَمِيم وَعَامِرٌ لَقَدْ كُنْت يَوْماً فِي حُلُوقِهِمُ شَجَى

أَرُونِي كَمَسْعُودٍ وَقَيْسٍ وَخَالِدٍ وَعَمْرٍو وَعَبْدِ اللهِ ذِي البَاعِ والنَّدى

وَكَانُوا عَلَى أَفْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ رَبِيعاً، إذا مَا سَالَ سَائِلُهُمْ جَدَا

فَسِرْتُ عَلَى آثَارِهِمْ غَيْرَ تَارِكٍ وَصِيَّتَهُمْ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى المَدَى»(1)

تعددت وسائل تكريم النّعمان بن المنذر لضيوفه من أشراف العرب ووجهائهم، فأحياناً كان يهدي بردين، وأحياناً أخرى يقيم قبة حمراء تقديراً لهم وإكراماً؛ مثلما فعل مع أحد ندمائه حين استظرفه ونادمه(2). وهنا نجد أن التقدير والتكريم تمثل في اختيار من يُسْقَى بعد النّعمان، مما أوقع القينة في حيرة لا تعرف بمن تبدأ، حتى أجابها النّعمان شعراً مفضّلاً بِسْطام بن قَيْس. ويمكن أن نقول إن المنافرة أو شبه المنافرة هنا مقلوبة؛ تبدأ من المُنَفِّر الحكم، حيث فضّل بِسْطام بن قَيْس، والنفورة هنا تكريم بسطام بن قيس بشربه بعد النّعمان بن المنذر ملك العرب؛ مما أدّى إلى اعتراض عامر بن الطّفيل، لذا حذّر النّعمان بشكل مبطن بأنهم لن ينصروه ولن يساعدوه. ويجيء هذا الاعتراض شعراً للردّ على

(1) ابن رشيق – العمدة، 2: 934 – 936؛ ديوان عامر بن الطفيل: 55.

(2) الأصفهاني– الأغاني، 9: 56. الذّمار: الحرم والأهل وما يجب حمايته .

شَجَى: ما يعترض في حلق الإنسان من عظم أو عودٍ.انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة « ذمر» و«شجا».

شعر النّعمان الذي دعا القينة إلى أن تسقي بسطام بعده، مسوّغاً ذلك بكرم نسب بسطام ابن قيس وقومه، فضلاً عن حمايته للأعراض ودفاعه عن القبيله، وقد ورث عن آبائه المجد والسؤدد، وهو يشبههم بالجماجم؛ كناية عن سمو قدرهم ومكانتهم بين القبائل، بينما يشبّه القبائل الأخرى بالأذناب.

ومكانة النعمان بن المنذر ملك العرب تجعله يفرض رأيه على ضيوفه، تاركاً لهم الرضا به عن طيب خاطر أو بإرغام، وهنا انبرى بسطام بن قيس للردّ على عامر بن الطفيل بأنه مصدر ضيق وقلق بين بني تميم وعامر بسبب قوة بأسه، معدداً مآثر آبائه، فهم كرماء النسب، وأياديهم بيضاء تمتدّ بالخير والعطاء، لذا سار على آثارهم وطريقهم، مما أوصله إلى الغاية التي يتمنّاها كل كريم؛ ألا وهي تقدير النّعمان بن المنذر له، وتفضيله على غيره ممن حضر المجلس.

لعل النّعمان بن المنذر أثار كلاً من بسطام بن قيس وعامر بن الطّفيل؛ كي يدفعهما إلى التنافس على التقدير الذي سيمنحه لأفضل من حضر مجلسه، والحوار الذي دار شعراً بينهما لا بدّ أن يجري أولاً قبل أن يفضّل النّعمان أحدهما على الآخر؛ لكن الترتيب هنا يختلف عن شكل المنافرة المتعارف عليها، حيث تبدأ بحوار المتنافرين، وتنتهي بحكم المُنَفِّر، أما في هذا الخبر فينقض هذا الترتيب فيبدأ بالحُكْم ومن ثم حوار المتنافرين؛ إلاّ أن هذا لن يغير رأي النّعمان الذي فرضه عليهم عن طيب خاطر منهم أو غصباً.

وهنا لا بد أن نذكّر أنه قد عرف أن مجالس النّعمان لابد أن تتضمن نوعاً من التكريم لأحد الوجهاء والأشراف، فما حدث متوقّع لدى المجلس، وليس شيئاً جديداً فاجأهم به. والنّعمان هنا سبب لإثارة شبه المنافرة هذه، وهو حكَم مُنفّر في الوقت ذاته. وقد قام كلا المتنافرين بالتفاخر، وحاول كل منهما أن يؤكد أنه أفضل من منافره، وإن جاء ذلك بعد حكم النّعمان. وهذا يذكّرنا ببعض المنافرات لدى الكُهّان إذ كانوا يعمدون إلى التنفير من دون سماع المتنافرين لعلمهم بالغيب كما يدّعون، في حين أن النّعمان بن المنذر يعتمد على معرفته بأنساب العرب وبيوتها وأخبارها وأيامها، مما يدفعه للتفضيل ليعطي نفورته المعنوية بتكريم أحد الوجهاء وتقديره المتمثل في هذا الخبر بالشرب بعده، ومكان هذه

المنافرة مجلس النّعمان، وزمانها زمن حكم النعمان بن المنذر للحيرة.

مما سبق نلاحظ أن أساس المنافرة قد تحقق؛ وهو الحكم لأفضل المتنافرين نسباً، وفي هذا الخبر سبق التحكيم التنافر، وكان سبباً لاختلاف الطرفين، مما يعني أن التحكيم هنا سبب التنافر وليس نتيجته، كما وجدنا في المنافرات؛ ولهذا يمكن القول إن هذا الخبر أقرب إلى المفاخرة منه إلى المنافرة، ولهذا نعدّه شبيهاً بالمنافرات.

***الخبـر الثالث: وفود العرب على كسرى:**

وفد على كسرى بعض أشراف العرب؛ منهم حُذَيفة بن بَدْر الفَزَاري، والأَشْعَث الكِنْدي، وبِسْطام الشَيْبَاني، وحاجِب بن زُرارَة التميمي، وقَيْس بن عاصم السَّعْدي.

ولعلّ أول سبب يجعلنا نقول إن هذا الخبر شبيه بالمنافرة هو مُثُول هذه الوفود مع النعمان بين يدي كسرى، «ومن ذلك ما حكاه ابن الكَلْبِيّ قال: قال كسرى للنّعمان بن المنذر يوماً: هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟

قال: نعم. قال: فبأي شيء؟

قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال الرابع، فالبيت من قبيلته فيه.

قال: فاطلب ذلك.

فطلبه، فلم يُصبه إلا في آل حُذَيفة بن بَدْر بيت قَيْس بن عَيْلان، وآل حاجِب بن زُرارَة بيت تميم، وآل ذي الجَدَّيْن بيت شَيْبَان، وآل الأشعث بن قَيْس بيت كِنْدَة. قال: فجمع هؤلاء الرّهط ومن تبعهم من عشائرهم، فأقعد لهم الحُكام العدول، فأقبل من كل قوم منهم شاعرهم، وقال لهم: ليتكلم كل رجل منكم بمآثر قومه، وفعالهم، وليقل شاعرهم فيصدق»(1).

(1) الأصفهاني– الأغاني، 19: 184، وانظر: القلقشندي– صبح الأعشى، 1: 432.

يسأل كسرى عظيم فارس في هذا الخبر النعمان بن المنذر عن أفضل قبائل العرب وأشرفها، فيحدد النّعمان ذلك بوجود ثلاثة آباء متوالية رؤساء للقبيلة على أن يكتمل ذلك برئيس رابع للقبيلة يرث هذا الشّرف والمجد. وهذا ما يُعرف ببيوت العرب، وعنها يقول أبو عبيدة: «بيوت العرب ثلاثة: فبيت قَيْس في الجاهلية بنو فَزارَة، ومركزه بنو بَدْر، وبيت ربيعة بنو شَيْبَان، ومركزه ذو الجَدَّيْن، وبيت تميم بنو عبد الله بن دَارِم، ومركزه بنو زُرَارَة»(1).

ولكننا نجد في هذا الخبر أن النعمان بن المنذر يضع الأشعث الكندي، وقيس بن عاصم السّعدي في وفود العرب على كسرى؛ لأنهم من بيوت العرب، لكن علينا أن نقول إن رواية أبي عبيدة هي أكثر شهرة وتردّداً.

وبلغ اهتمام العرب بالنسب أن تتبعوا هذه البيوت، وما يحدث فيها، من ذلك انتقال «بيت قيس من آل عمرو بن الظَّرِب العَدْواني، ثمّ في غَنِيٍّ في آل عمرِو بن يربوع، ثم تحوّل إلى بني بَدْرٍ، وجاء الإسلام وهو فيهم»(2)، إلى جانب كثرة الأخبار التي رويت، والتي تبيّن أكثر القبائل عدداً وفرساناً، وأعلام كل قبيلة من حكامها وشعرائها وفرسانها.

إذاً استجاب النّعمان بن المنذر لطلب كسرى عظيم فارس، فجمع له هؤلاء الرؤساء، ولعلّ أهم ما يلفت النظر في هذا الخبر أمران: أولهما هو وجود الحكام العدول لاختيار أفضل بيوت العرب، وآخرهما طلب كسرى من هؤلاء الرؤساء والشعراء أن يقتصروا في حديثهم على مآثر أقوامهم مع التزامهم الصدق.

في هذا الخبر نلاحظ كثرة استخدام بعض المفردات لدى كل رئيس قبيلة مثل «الحسب، العزّ، المجد، الشّرف، والفخر»، إلى جانب استخدام أفعل التفضيل مثل «أدركهم للثأر، أضربهم للملك الجبار، وأقومهم للحكم، أعزّ الناس، أكثر الناس عدداً» وغير ذلك.

وهذا يدل على أن مجلس الوفود قد أعدّ للتنافر بين هؤلاء الوجهاء، وقد دعا لذلك

(1) ابن رشيق– العمدة، 2: 882.

(2) المصدر نفسه، 2: 884.

شاعر من قوم الأشعث الكِنْدي قائلاً:

إذا قِسْتَ أَبْياتَ الرِّجَالِ بِبَيْتِنا وَجَدْتَ لهُ فَضْلاً عَلى مَنْ يُفاخِرُ

فَمَنْ قالَ كَلاّ أَوْ أَتانا بِخُطّةٍ يُنافِرُنا يومًا فنحن نُخاطِرُ

تعالوا فعدّوا يَعْلَمِ الناسُ أيُّنا لهُ الفضلُ فيما أوْرَثَتْهُ الأَكابِرُ(1)

ترد هنا لفظة «ينافرنا»، وترد لفظة «نخاطر»، والمنافرة هي «مخاطرة» كما ذكرنا في التمهيد، وأساس المنافرة هو المحاكمة في النسب؛ لذا جرى هذا التفاخر بين أشراف قبائل العرب، قال الشاعر مؤكداً هذا المعنى «كي يعلم الناس أيّنا له الفضل فيما أورثته الأكابر» هذا فضلاً عن الخلال الحميدة ومنها الشجاعة، والكرم، والعطاء. وهناك مآثر خاصة ببعض القبائل مثل: وراثة ملك كندة، وهو ما فخر به الأشعث الكندي، وقيس بن عاصم السّعدي الذي يفتخر مفضلاً قبيلته، حيث يقول:

وَقَيْسا إِذَا مُد الأَكُف إِلَى العُلا فَمَنْ ذَا لِيَوْمِ الفَخْرِ يَعْدِلُ عَاصِماً

وَفَاتُوا بيوْم الفَّخْرِ مَسْعاةَ مَنْ سَعَى(2) فَهَيْهَاتَ قَدْ أَعْيا الجَمَيعَ فِعَالُهمْ

يرفع الشاعر مكانة قبيلته، ويستبعد أن يساويهم أحد في الشّرف والفعال، ويفضلهم على غيرهم. ونجد أوجهاً للشبه بين المنافرات وهذا الخبر؛ فكلّ رئيس من هذه الوفود يحاول أن يقدم أدلة وبراهين على استحقاقه لأن يكون أفضل العرب، مبيناً مآثر قبيلته وفضائلها، مبرزاً كرم النسب، ونلاحظ هنا أن الشعراء يشاركون أيضاً رئيس قبيلتهم، بالإضافة إلى حضور وجهاء القبيلة، وهذا ما يحدث في كثير من المنافرات، لكن ما هو دور الحكام العدول الذين ذكروا في بداية الخبر؟

لا نجد للحكام العدول ذكراً واضحاً لدورهم في هذا الخبر؛ ولكن هذا الخبر ينتهي بأحد الأحكام التي قضى بها الحُكام في المنافرات وهو المساواة، وفي ذلك يقول كسرى عظيم فارس «ليس منهم إلاّ سيّد يصلح لموضعه، فأثنى حباءهم»(3)، وتكريم كسرى

(1) الأصفهاني– الأغاني، 19: 187.

(2) المصدر نفسه، 19: 189.

(3) المصدر نفسه، 19: 187. حِباء: عطاء. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «حبا».

لرؤساء القبائل هو نوع من التقدير لهم ولدورهم.

مما سبق نلاحظ أن هذه الأخبار تتشابه فيما بينها في حدوثها في مجلس النعمان، عدا الخبر الأخير الذي اصطحب فيه النعمان وفود العرب إلى كسرى، ولكن لماذا لا نسمي هذه الأخبار منافرات؟

إننا في الأخبار السابقة لا نجد أي مشتقات لمادة نفر؛ عدا الخبر الثالث الذي حثّ فيه شاعر الأشعث الكندي رؤساء القبائل الأخرى على منافرته إن نازعوه في أيهم أكرم نسباً، وأعز نفراً، مما يدل على أن الخبر ليس منافرة، والقدماء ذكروا هذه الأخبار دون الإشارة إلى أنها منافرات، علاوة على أن هذه الأخبار لا تتشابه مع المنافرات في هيكلها العام الذي توقفنا عنده في التمهيد، وإن تشابهت هذه الأخبار مع المنافرات فيما يأتي:

1. تكاد أسباب هذه الأخبار تنحصر في تنافس رؤساء القبائل وأشرافها على نيل تقدير النعمان بن المنذر، ولاسيما لأنه يمنح هبته أو أعطيته لأفضلهم نسباً وأعزهم نفراً، وهو سبب رئيسي من أسباب المنافرات.
2. تتشابه هذه الأخبار مع المنافرات في أنها تقوم على التفاخر بمجد الآباء والأجداد ومآثر القبيلة.
3. النعمان هو الحكم في هذه المنافرات، فيحكم لأفضل رؤساء القبائل، ثم يترك لهم مجالاً للحوار فيما بينهم، وللتنافس على أيهم أفضل، أما المنافرات فإنها تقوم على التنافس بين شخصين محددين؛ فالأخبار هنا تتميز بالانفتاح، أما المنافرة فإنها تخص رجلين، ولا تتيح المشاركة لثالث.
4. إن النفورة في هذه الأخبار تقدم من قبل النعمان بن المنذر، وهو الحكم في الوقت نفسه، أما في المنافرات فالنفورة تقدم من المتنافرين، وتعطى النفورة لكلّ من النافر الغالب والحكم.
5. ثم إن عناصر المنافرة متوافرة في هذه الأخبار؛ لكنّ ترتيبها يختلف عمّا هي عليه في المنافرات، إذ يبدأ النعمان بالتنفير، ثم يجري الحوار بين المتنافرين ليثبت كل منهم أنه

الأفضل، ولعل ما يسوّغ ذلك هو معرفة النعمان ببيوت العرب وأنسابها وأيامها، على عكس المنافرات التي تبدأ بالحوار والتفاخر بين المتنافرين، ومن ثم تنتهي بالتنفير أي بحكم المنفِّر.

6. ثم إننا نلاحظ في الأخبار السابقة أن النعمان بن المنذر يفرض رأيه على المتفاخرين، مستغلاً سلطته من دون اهتمام بردود أفعالهم، ومنهم عامر بن الطفيل كما مر في الخبر الثاني الذي رد على النعمان شعراً بأنه لن يناصره هو وقومه، لأنه فضّل عليهم قيس ابن بسطام، أما في المنافرات ففرض الرّأي ينبع أساساً من اختيار الحكم من قبل المتنافرين، ومن ثم فإنهما يلتزمان بحُكمه مهما كان، وسلطته تنبع من مكانته الدينية إن كان كاهناً، أو من مكانته الاجتماعية إن كان حكيماً، إضافة إلى وضع النفورة بأيدي أشخاص محايدين في بعض المنافرات، أو بوضع رهائن لضمان الوفاء بالنفورة.

*** الخبـــر الرابع:**

ينفرد البيهقي بهذا الخبر إذ لا نجده عند غيره، فقد ذكر أنه «تنافر رجلان من بني أسد إلى هَرِم بن سِنان المُريّ في الشّرّ، وعنده الحطيئة فقال أحدهما: إني بقيت زماناً وأنا أرى أني شرّ الناس وألأمهم حتى أتاني هذا، فزعم أنه شرّ مني، فقال هَرِم: أخبراني عنكما، فقال أحدهما: لم يمرّ بي أحد إلا اغتبته، ولا ائتمنني إلا خنته، ولا سألني إلا منعته. وقال الآخر: أما أنا فأبطر الناس في الرخاء، وأجبنهم في اللقاء، وأقلهم حياء، وأمنعهم خباء. فقال هَرِم : وأبيكما لقد ترددتما في الشرّ، ولكن أخبركما بمن هو شرّ منكما! قالا: ما ولدت ذاك النساء! قال: بلى، هذا الحطيئة هجا أباه وأمّه ونفسه، ومن أعطاه، ومن أحسن إليه»(1).

(1) البيهقي– المحاسن والمساوئ: 200.

يتفق الخبر السابق مع ما يجري في المنافرات في أمور هي:

1. الاختلاف بين المتنافرين.

2. اللجوء إلى الحَكَم، وهو في الخبر هَرِم بن سِنان الذي اشتهر بعدله وحكمته.

3. ذكر لفظة «تنافر».

ولكن الخبر السابق يختلف في أمور جوهرية منها:

1. أساس التنافر في هذا الخبر يختلف عن أخبار المنافرات؛ لأنه يعتمد على التنافس بين المتنافرين في الشرّ، ومن يبلغ أقصى غاية فيه فهو النافر المنتصر، لكن في أخبار المنافرات الأساس هو التفاخر بالآباء والأجداد ومآثرهم، وإذا سلمنا بأنها منافرة فهي من نوع نادر.

2. الحَكَم لم يفصل بين المتنافرين بأحد الأحكام المعروفة في المنافرات، بل ترك أمر منافرتهما للحديث عن الحطيئة.

3. المتنافران غير معروفين، واكتفى البيهقي بكلمة «رجلان»، فلا نستطيع بهذا تتبع أخبارهما لإكمال بقية الخبر، ومعرفة ما جرى بعد حديث الحَكَم عن الحطيئة.

4. الخبر مهتم بالحديث عن الحطيئة، وما قاله في هجاء أبيه وأمه ونفسه.

5. الخبر ورد في كتاب البيهقي، ولم نعثر عليه عند غيره.

لعلّ هذا الخبر قريب من المنافرة بالمعنى اللّغوي وهو المحاكمة، وليس بالمعنى الاصطلاحي وهو المحاكمة في الحسب والنسب، وربما يكون أقرب إلى النوادر والطرائف.

الفصل الثالث:
أثر المنافرات في الأدب الجاهلي

أسهم الشعراء والخطباء والكهّان في المنافرات؛ فالشعراء والخطباء ساندوا المتنافرِين بالكلمة المؤثرة لتبيين مواقفهم تجاه هذه المنافرات، وردود فعلهم على التنفير، في حين أدى الكهّان دور الحكّام في بعض المنافرات، ولاسيما لدى قبيلة قريش كما سبق أن ذكرنا، في حين أدى الخطباء دور الحكّام الحكماء الحريصين على الإصلاح بين المتنافرين.

ويمكن أن نتطرق إلى أثر المنافرات في الشعر أولاً، ثم النثر من خلال دراسة المضمون واللغة والتصوير والإيقاع. ولقد رأينا أن نتناول الشعر أولاً ثم النثر منعاً لتكرار الشواهد، على أن نذكر في نهاية الفصل الخصائص الفنية العامة في أدب المنافرات.

أولاً: الشعر

أ – المُقَطَّعَات

يقصد بالمُقَطَّعات لغة هو «ما تحلّل إليه [الشعر]، وتركّب عنه من أجزائه التي يسمّيها عروضيو العرب الأسباب والأوتاد...، المقطعات الثياب القصار، والأبيات القصار، وكلّ قصير مُقَطَّع ومُتَقَطِّع»(1). فالمقصود بالمُقَطَّعات حسب المدونة اللغوية السابقة هو الشعر الذي قلّت أبياته، وميّز ابن رشيق بين المُقَطَّعات والقصائد أو القطع والطِّوال حسب تعبيره، ونقل أقوالاً ترى أن الأبيات إذا بلغت سبعاً سمّيت قصيدة، وأن هناك من يرى أنها لابد أن تتجاوز عشرة أبيات ولو ببيت(2). وهذا الرأي الأخير سأعتمد عليه في هذه الدراسة؛ لأن المُقَطَّعات جميعها تقريباً لها الخصائص ذاتها، فدرسناها معاً لأسباب فنية.

وعمدنا إلى تقسيم الشعر في المنافرات إلى المُقَطَّعات والقصائد؛ لكثرة ما قيل في المنافرات من مُقَطَّعات، ولما بينها من أوجه تشابه تتمثل في قلة الأبيات، فمعظمها ما بين أربعة أبيات أو خمسة، وأغلبها جاء على بحر الرجز، ولعل ذلك يعود إلى أنها تقال في مكان المنافرات، مما جعل الارتجال يغلب على أبياتها، وأكثر قائلي المُقَطَّعات هم من غير

(1) انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «قطع».

(2) انظر: ابن رشيق – العمدة، 1: 346 وما بعدها.

المشهورين من الشعراء، نستثني منهم لبيد بن ربيعة والحطيئة، وقد تنسب المُقَطَّعات إلى رجال غير معروفين تماماً، فيقال مثلاً رجل من بني مَخْزُوم. أما القصائد فعمدنا إلى تحليلها معاً؛ لما تمتاز به هذه القصائد من خصائص مشتركة منها ثنائية المدح والهجاء، مع وجود بعض الاختلافات فيما بينها، ويتضح ذلك في موقف الشعراء بصورة جلية.

1. المضمون:

إن الناظر في المُقَطَّعات يجد أنها تتشكل من عدّة أفكار بارزة، وهي:

* حثّ المُنَفِّر الحَكَم على التنفير:

ومما جاء في حثّ المنفِّر على التنفير رجز قاله رجل من بني مَخْزُوم داعياً فيه الكاهن سَطِيح الذِّئْبِيّ إلى التعجيل بالحكم (الرجز):

إليكَ حِيناً يا سَطِيحُ نَعْمِد يَقُودُنَا جَمْعاً إِلَيْكَ الفَدْفَد

لَسْنا إلى غَيْرِكَ حقا نَقْصد ما إنْ لنا عَنْكَ هُدِيتَ عُنْدَد

فَعَجِّل الحُكْمَ ولا تَرَدَّد(1)

تكشف لنا هذه الأبيات أن كثيراً من العرب قد لجؤوا إلى الكهّان، فهم يقصدونهم ليحكموا بينهم، كما تبين الأبيات السابقة تحمّل بني مَخْزُوم الصّعاب من أجل الوصول إلى الكاهن سَطِيح للتحكيم عنده من دون غيره من الكهّان، ليطالبوه بالتعجيل في الحكم وعدم التردد.

ويقابل الدعوة في تعجيل الحكم التباطؤ من قبل الحكّام؛ بل الخوف أحياناً منه، ولاسيما في المنافرات التي تكون بين بطون القبيلة الواحدة؛ لأن الحكّام والحكماء منهم خاصة يهابون ذلك؛ لخوفهم من زرع الشر في القبيلة الواحدة. وخير مثال على ذلك ما جرى في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة و عَامِر بن الطُّفَيْل، فقد حوّل حكّام قريش المتنافرين إلى غيرهم من الحكام، رغم أن العرب كانت تتحاكم إلى حكام قريش لكنّهم خافوا على

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 113. الفَدْفَد: الفلاة الخالية والأرض الغليظة ذات الحصى.عُنْدَد: الحيلة والمحيص. انظر:ابن منظور– لسان العرب، مادة «فدد»، و«عند».

صلات القربى بين علقمة بن علاثة وعَامِرِ بن الطُّفَيْل، مما دفع بمروان بن سُرَاقَة بن قتادة ابن عمرو بن الأَحْوَص إلى قول (الرجز):

يـالَ قُـرَيْـشٍ بَـيِّـنـوا الـكَـلامَـا إنّـا رَضِـيـنـا مِـنْـكُـمُ الأَحْـكـامَـا

فَـبـيِّـنـوا إنْ كُـنْـتُـمُ حُـكّـامـا كـان أَبُـونـا لَـهُـمْ إمَـامَـا

وَعَـبْـدُ عَـمْـرو مَـنَـعَ الـفِـئـامَـا في يَوْم فَـخْـرٍ مُـعْـلَـمٍ إعْـلامَـا

وَدَعْلَـج أَقْدَمَه إِقْـدَاما لَـوْلا الـذي أَجْـشَـمَـهُـمْ إجْـشَـامَـا

لاتَّـخَـذَتْـهُـمْ مَـذْحِـجٌ نـعـامـا(1)

*** القسم والتَّنْفير بالشِّعر:**

لجأ أكثر الكهّان إلى القسم بمظاهر الطبيعة والتَّنْفير من خلال الشعر، ومثال ذلك منافرة عبد المُطَّلِب بن هاشم وقومه بالشعر قائلاً (الرجز):

أَمَـا وَربّ الـقُـلَّـصِ الـرّوَاسِـم يَـحْـمِـلْـنَ أَزْوالاً بِـقَـيٍّ طـاسِـم

إنّ سَـنَـاءَ الَمجْـدِ وَالَمكَـارِم في شَـيْـبَـةِ الحَمْـدِ الـنَّـدى ابْـن هـاشِـم

فقال عبد المطلب: اقض بين قومي وقومه، أيهم أفضل، فقال:

إنَّ مَـقَـالِـي فَـاسْـمَـعُـوا شَـهَـادَة أَنَّ بَـنِـي الـنّـضْـرِ كِـرامٌ سَـادَة

مِـنْ مُـضَـرِ الحَمْـراءِ في الـقِـلادَة أَهْـلُ سَـنَـاءٍ وَمُـلوكٌ قـادَة

زِيـارَةُ الـبَـيْـتِ لَـهُـمْ عِـبَـادَة»(2)

فكما نلاحظ فإن الكاهن ينفِّر عبد المطلب بن هاشم على بني ثَقيف، حيث أقسم بربّ الإبل ذات القوائم الطويلة التي تحمل الشجعان، في ليلة شديدة الظّلمة مجتازة بهم القفر

(1) الأصفهاني– الأغاني، 16: 287. الفِئام: الجماعات من الناس، وتعني الهودج أيضاً. دَعْلَج: فرس عبد عمرو بن شُرَيح، واسم فرس عَامِرِ بن الطُّفَيْل أيضاً. أَجْشَمَهم: أكرههم وأجبرهم. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «فأم» و«جشم» و«دعلج».

(2) محمد بن حبيب– المنمق: 102.

من الأراضي، ومن ثمّ نفّر الكاهن شَيْبَة الحمد وهو لقب عبد المطلب بن هاشم؛ لأنه قد حظي بالمجد والمكارم.

إن تنفير الكاهن لعبد المطلب بن هاشم على بني ثَقيف دفع بعبد المطلب إلى طلب التحكيم بين قومه وبني ثقيف، فردّ عليه الكاهن أن حكمه شهادة لبني مُضَر معدّدًا بعدها مآثر قريش ومناقبهم، فهم كرام سادة، وملوك قادة، والقائمون على رعاية البيت الحرام، وسقاية الحجيج، وغيرها من المآثر التي تعلمها القبائل جميعها.

وهناك مثال آخر في المضمون نفسه في منافرة مالك بن عُمَيْلَة وعُمَيْرَة بن هاجَر الخُزاعيّ، وفيها نَفَّر الكاهن عُزَّى سَلَمَة العُـذْرِي عُمَيْرَة بن هاجَر الخُزاعيّ على مالك بن عُمَيْلَة، فابتدأ تَنْفيره بالقسم قائلاً (الرجز):

أَحْلِف بِالمَـرْوَة وَالمَشَاعِر وَمَنْحَر البُدْن لـدى الحَزاوِر

وَكُــلّ مَــن حَج عَلَى عُذافِر مِن بَيْن مَطفور وَبَيْن نَاشِر

يُــوءَمّ بَـيْــت الله ذِي السَّتائِر أن سَناء المَجْد وَالمَفَــاخِر

لَـفِـي الـفَـتَـى عُـمَـيْـرَة بن هَاجِر فَــارْجِــع أَخــا الــدَّارِ بِــجَــدٍّ عَــاثِــر(1)

بدأ الكاهن في الأبيات السابقة بالقسم بالأماكن المقدّسة من المروة والمشاعر، ومَنْحَر البدن وكل من حجّ على عذافر، وكل من أمّ بيت الله، وهذا القسم يضفي شيئاً من القدسية لِتَنْفيره عُمَيْرَة بن هاجر الذي حاز المجد والمفاخر، ثم دعا الكاهن مالك بن عُمَيْلة إلى العودة إلى دياره لحظّه التعس والعاثر.

*** موقف المُتَنافِرَين:**

تتباين ردود أفعال المُتَنافِرَيْن بعد التَّنْفير، وتظهر مواقفهما جلّية في الشعر؛ فالنّافر المنتصر قد يقول شعراً ابتهاجاً بتنفيره، وكما فعل عائذ بن عبدالله بن عمر بن مَخْزُوم على الحَارِث بن أَسَد بن عبد العُزَّى، فقال عائذ (البسيط):

(1) محمد بن حبيب– المنقق: 110– 111.

إنّـي امْـرُؤٌ مِـن ذُرَى فِـهْـر إذا نُـسِـبـوا ... إذْ أَنْـتَ مِـنْ ثَـمْـدٍ يـا حـارِ مَـنْـسـوبُ
تُـنـازِعُ المَجْـدَ قَـوْمًـا لَـسْـتَ مُـدْرِكَـهُـمْ ... مـا خَـوَّذَ الـرَّأْلُ أو مـا حـنَّـتِ الـنِّـيبُ
فَـارْجِـع ذَمِيـمـاً فَـقَـدْ لاقَـيْـتَ دَاهِـيَـةً ... وَ قَـدْ شَـأَوْتُـكَ والمَغْـلـوبُ مَـغْـلُـوبُ(1)

يتباهى عائذ بن عبد الله في الأبيات السابقة فرحاً بأسباب تنفيره التي تتجلى في أصله الكريم، مقللاً من مكانة مُنافِره الذي ينازع عائذاً في المجدِ والشّرف، ولن يبلغَ ذلك أبدًا؛ لذا يأمره عائذٌ بأن يرجع مذموماً مهزوماً.

وممن قال شعراً مبتـهجاً بِتَنْفيره حاتم الطائي، وقد جاء التَّنْفير بإعراض بني لأْمٍ عن مُنافَرَتِه، وتسليمهم النُّفورَة له؛ لأنهم رضخوا لصهرهم النُّعْمان بن المُنْذِر، فتصالحوا مع ابن عمّهم حاتم الطائي الذي قال (الكامل):

أَبْلِـغ بَـنـي لأْم بِأَنَّ خُيـولَـهُـمْ ... عَقْرى وَأَن مِجادَهُـم لَم يُمْجَدِ
ها انَّما مُطِرَت سَماؤكُم دمًا ... وَرَفَعْت رَأْسَك مِثْل رَأْس الأَصْيَدِ
لِيَكون جيرَانِي أُكَالا بَيْنَكُـمْ ... بُخُـلا لِكِنْدِيٍّ، وَسَبْي مُزْنِدِ
وَابْن النُّجود وَإِن غَدا مُتَلاطِماً ... وابن العَذوّر ذِي العِجان الأَزْبَدِ
أَبْلغ بَني ثُعْل بِأَنِّي لَـمْ أَكُـنْ، ... أَبَدًا، لأَفْعَلَهَا، طَوال المُسْنَدِ
لا جِـئْـتُـهُـمْ فَـلاًّ، وأَتْـرُكَ صُـحْـبَـتِـي ... نَـهْـبًـا، وَلَـمْ تَـغْـدُرْ بِقَائِمِهِ يَدِي(2)

يفتخر حاتم الطائي بأنه نحر خيول بني لَأْم، وأن نجادهم لَم يتم، وقد أطعم النّاس،

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 108– 109. ثمد: ماء المطر يبقى مدفوناً تحت الرمل، وأجرته العرب مجرى الهجاء، انظر الزمخشري، أساس البلاغة، مادة «ثمد». خَوَّذَ: أسرع، الرَّأْل: ولد النعام. النِّيب: مفردها النَّاب أي الناقة المسنّة الغليظة. شَأَوْتك: سبقتك. انظر: ابن منظور–لسان العرب مادة «خوذ» و«نيب» و«شأي» و«رأل».

(2) ديوان حاتم الطائي: 76. مُزْنِد: بخيل ولئيم. الأَصْيَد: الذي لا يستطيع الالتفات. العَذَوَّر: السيء الخلق. العِجان: الدبر والاست. المُسْنَد: الدهر.
ثُعَل: أبوحي من طيىء. فَـلاًّ: منهزماً. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «زند» و«صيد» و«عذر» و«عجن» و«سند» و«ثعل» و«فلل».

وسقاهم خمراً منتصراً بذلك على بني لَأْم، ويتضح سبب منافرة حاتم الطائي وبني لَأْم حين رفضوا إجارته للحَكَم بن أبي العَاص بن أُمَيَّة بن عَبْد شَمْس، وحاولوا أن يصنعوا به كما صنعوا بعامر بن جُوَيْن ففضحوه، ويؤكد حاتم الطائي ما يؤمن به من أخلاق وأهمّها أنه لا يخذل من يستجير به، وأنه لا يهرب منهزماً تاركاً أصحابه.

وإذا كان الحارث بن أَسَد قد حزن وندم على منافرة عائذ بن عبد الله؛ فإن مالك بن عُمَيْلة ندم حتى تمنى الموت ؛ لأن المَنْفور المهزوم قد خُذِل أمام رؤساء القبائل ووجهائها، وجلب الخزي له ولقبيلته، فالعربي في الجاهلية كان يتذاكر المنافرات والمفاخرات التي وقعت بين قومه والقبائل الأخرى؛ لأنها مصدر عزة وفخر بينهم. وقد قال مالك بن عُمَيْلة معبراً عما تجيش به نفسه من أحاسيس (الطويل):

شَآنِيَ لَمَّا أَنْ جَرَيْتُ ابْنُ هَاجِرٍ	فَأَشْمَتُّ أَعْدَائِي وَأُخْرِجْتُ مِنْ مَالِي
فَيَالَيْتَنِي مِنْ قَبْلِ حِلّي وَرِحْلَتِي	إِلَى الكاهِنِ الطّاغُوتِ قَطَّعْتُ أَوْصَالِي
بِعَضْبٍ حُسَامٍ ذِي شَقَائِقَ مُرْهَفٍ	وَلَمْ يَكُ سَرَّاءُ عُمَيْرَةُ مِنْ مَالِي
ضَلَلْتُ كَمَا ضَلَّتْ بِلَيْلٍ فَلاَ تَرَى	قُلاَمَةُ ظُفْرٍ فِي مُعَرِّسِ نَزَّالِ(1)

يبين مالك بن عُمَيْلَة في الأبيات السابقة الأسباب التي دعته لتمني الموت لا بعد المُنافرة، وإنما قبل رحيله إلى الكاهن؛ لأنه شمَّت به أعداءه، وخسر ماله الذي سيجني منه عُمَيْرة بن هاجر الثراء، لذا يشعر مالك بالضياع والضلال.

ومن مواقف المُتنافرين أيضاً ما يدور من حوار بالشعر، وهذا ما جرى في منافرة عُيَيْنَة ابن حِصْن وزَبَّان بن سَيَّار الفَزارِي، فقد نفّرت الكاهنة زَبَّانا على عُيَيْنَة، مما دفع بالأخير إلى رفض هذا الحكم قائلاً: «أنا أفضل منك نفسًا وأبًا، ولكنها جارت، فقال زَبَّان (الوافر):

أَتَثْلِبُ حُرَّةً بَقِيَتْ يَدَاهَا

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 111. مُعَرِّس: النزول آخر الليل. قُلامة: ما قُطِع من الظفر. شآني: سبقتني. عَضْب: سيف قاطع. سرّاء: النعمة والرخاء. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «عرس» و«قلم» و«شأي» و«عضب» و«سري».

عُـيَـيْـنَـةُ تَـمْـنَـعُ الـلَّـخْـواءَ تَـفْـري شَـرِبْـتَ المجْدَ مِـنْ غَـطَـفـان حَـتّـى
تُـفـاخِـرُنِـي بِـزَيْـنَـةَ أُمِّ عَـمْـرِو أَلَـمّـا تَـعْـلَـمـي أَنّـي كَـريمٌ
أَغَـرَّ لِـصُـلْـبِ سَـيّـارِ بـن عَـمـرِو »(1)

يرد زَبّان بن سَيَّار على عُيَيْنَة بن حِصْن شعراً، فيرفض انتساب عُيَيْنَة إلى ابن الجَوْن الكِنْدي، فهذا افتراء؛ لأن عُيَيْنَة بن حِصْن لابد أن يفتخر بعمرو بن جُوَيَّة بن لُوْذان، وهو من رؤساء غَطَفان، ويتباهى زَبَّان بأنه كريم النسب، من صلب سَيَّار بن عمرو من بني مازِن. وردّ عيينة على زبّان شعراً، نافياً فيه انتساب زَبَّان إلى جابر من بني مازِن، وناسباً إياه إلى بني دُودان، وهم من بطون قبيلة أَسْد، وفي ذلك يقول عُيَيْنة بن حِصْن (الكامل):

إنّـا لَـنَـعْـلَـمُ مَـا أبُـوكَ بـجـابِـرٍ فَـالْـحَـقْ بِـأَهْـلِـكَ مِـنْ بَـنِـي دُودَانِ
حَالَت بِـكُـم أَمَـةٌ لِـنَـضْـلَـةَ وابْـنِـهِ فَـسَـقَـتْ بِـزَيْـنَـتِـهـا أَبَـا زَبَّـانِ(2)

فنلاحظ مما سبق أن المُتَنافِرَيْن يشكك كلّ منهما في نسب الآخر؛ ومن ثم فإنهما شككا في أساس المنافرة، وهو كرم النسب، والكاهنة قد نفّرت زباناً؛ لأن عُيَيْنة لم يفتخر بأصله من غَطَفان، وإنما افتخر لنسب ليس له.

*** موقف المناصرين للمتنافر:**

قد يحاول بعض المناصرين للمتنافر أن يزيد في عدد المؤيدين له؛ ليزيد من قوة المُتَنافِر حضوراً، فوجود الوجهاء والرؤساء مع منافر ما قد يكون مدعاة للحكم في تنفيره؛ وممن حاول جمع المناصرين للمتنافر عمرو بن الخُثَارِم الذي قال منادياً أحد بني جُشَم بن عامر ابن قُدَاد في منافرة جرير بن عبدالله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطَاة الكَلْبِيّ (الرجز):

لا يُغْلَب اليَـوْم فَتى والاكُما
يا ابْنَي نِـزار انْصُرا أَخاكُما

---

(1) أبوعبيدة – الديباج: 97. اللَّخْواء: الكلام الباطل. تَفْري: تكذب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «لخا» و«فرا».

(2) أبوعبيدة – مصدر سابق: 97.

إن أَبي وَجَدتُــه أباكُما

...

قَد فاز يوم الفخْر مَن دَعَاكُمَا

ولا يَعُــد أَحَد حَصاكُما

وَإِن بَنَــوا لَم يُدْرِكوا بُناكما

مَجْــدا بناه لكما أباكما

ذَاك وَمَــن يَنْصُرْه مِثْلاكُمَا

يَــوْمًا إذا مـــا سُعِّرَت نَارَاكُما(1)

و لم يكتفِ عمرو بن الخُثارِم البَجلِيّ بجمع المناصرين؛ بل حاول أن يُؤثر في الحكم المنَفِّر في هذه المنافرة، وهو الأَقْرَع بن حَابِس مستغلاً القرابة بين بَجِيلة ونزار بالمُتَنافِر، ومما قاله في هذا المضمون (الرجز):

يَا أَقْرَع بن حابِس يــا أَقْــرَعُ

إِنِّي أَخوك فَانْظُرَن ما تَصْنَعُ

إِنَّك إِن يُصْرَع أَخوك تُصْرَعُ

إِنِّي أَنَا الدَّاعِي نِزَارًا فَاسْمَعُوا(2)

يدعو عمرو بن الـخُـثارِم البَجلِيّ الأَقْرَع بن حَابِس إلى تنفير جرير بن عبد الله البَجَليّ بسبب القرابة بين قبيلة بَجِيلَة ونزار، قد سبق أن ذكرنا ذلك، ونجد تفصيلاً لذلك في كتاب فرحَة الأَدِيب(3).

وهناك من كره المنافرات، وما تجرّ إليه من مخاطر ولاسيما إن كان المتنافران من القبيلة نفسها؛ مثل منافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِر بن الطُّفَيْل حيث كره منافرتهما عمهما عامر

(1) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: 110.

(2) المصدر نفسه: 106.

(3) المصدر نفسه: 106و 110 – 112.

ابن مالك أبو بَرَاء، الذي لم يخرج في المنافرة، وقد جاء في شعره تسجيل لهذا الموقف (الوافر):

أَأُومَــــرُ أَنْ أَسُــــبَّ أَبَــا شُــــرَيْــحٍ ... وَلا وَالــلَّـــهِ أَفْــعَــلُ مَــا حَــيِــيتُ

وَلا أُهْـــدِي إِلى هَـــرِمٍ لِــقَـــاحًـــا ... فَــيُـحْــيِــي بَــعْـدَ ذلك أَوْ يُــمِــيتُ

أُكَــلَّــفُ سَــعْــيَ لُــقْــمَــان بــنِ عــادِ ... فَــيَــا لأبِــي شُــرَيْــحٍ مــا لَــقِــيتُ[1]

رفض عامر بن مالك المشاركة في المنافرة بتأييد ابن أخيه عَامِر بن الطُّفَيْل؛ فالمنافرة تقتضي أن يستخدم المنافِر الوسائل كلها لينتصر على منافره، ومن هذه الوسائل إبراز مناقب المنافر ومثالب خصمه، وقد يدفع هذا المتنافر وأنصاره إلى سبّ المتنافر الآخر، وهذا ما رفضه عامر بن مالك؛ حتى لا يسبّ أبا شُرَيْح، وهو الأَحْوص بن جعفر بن كلاب، على خلاف الأعشى الذي هجا عَلْقَمَة بن عُلاثَة هجاء مقذعاً وفاحشاً في بعض الأبيات.

رفض عامر بن مالك المشاركة في النّفورة التي ستعطى إلى هَرِم بن قُطْبَة الذي حكم في هذه المنافرة، والخسارة المادية المتمثلة في النفورة تقابلها خسارة معنوية تتمثل في خزي القبيلة أمام القبائل الأخرى؛ فأي انتصار لعَلْقَمَة أو عامر هو في حقيقته خذلان للقبيلة بتصدع فروعها وبطونها؛ لأنها ستؤدي إلى تنافر القلوب واختلافها، مما قد يثير المناوشات والحروب فيما بينها لأسباب – أحياناً لا تستحق – لكنّ النفوس مستعدّة لذلك بسبب تنافرها واختلافها.

وقف لبيد بن ربيعة مناصراً لعَامِر بن الطُّفَيْل، وفضله على عَلْقَمَة بن عُلاثَة من دون أن يزج بنفسه في شيء يندم عليه مثل سب أعمامه، لذا رفض أن يجاري السَّنْدَرِيّ الذي أنشد أبياتا لقُحافَة بن عَوْف بن الأَحْوَص، ومنها (الرجز):

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16: 288. اللِّقاح: ذوات اللبن من النوق، مفردها لَقُوح ولَقْحَة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «لقح».

أَنْتُم هزَلْتُم عامِرِ بن مَالِكِ في شَتَوات مُضَر الهَوالِكِ
يــا شَـــرَّ أَحْـيـــاءٍ وشَـــرَّ هَــالِــكِ[1]

فالقائل قُحَافَة بن عَوْف يرجع ضعف قوة عامر بن مالك وهو سيد بني عامر إلى بني مالك، ووصفهم بشرِّ الأحياءِ، وشرِّ الهالكين، وأنشد السَّنْدَرِيّ أبياتاً حين سئل من قائل الأبيات السابقة مجيباً بالشعر (الرجز):

أنــا لِـمَــنْ أَنْـكَـرَ صَـوْتِـي السَّـنْـدَرِيّ أنـا الـفَـتـى الجَعْـدُ الـطَّـويـلُ الجَعْـفَـرِيّ
مِــنْ وَلَـدِ الأَحْـوص أخْـوالِـي غَـنِـيّ[2]

فكما نرى إن السَّنْدَرِيّ يردّ على من أنكر صوته بأنه الفتى القوي الطويل، وبأنه جعْفَرِيّ من ولد الأَحْوَص، وأن أخواله من غَنِيّ، ولعله ذكر أخواله وأنه من ولد الأَحْوص في البيت ذاته، حتى يفتخر بأخواله إن انتقد بأن أمَّه أَمَة لشُرَيْح بن الأَحْوَص.

وقد حثّ بنو عامر – قوم لبيد بن ربيعة – لبيداً على قول الشعر، فأجاب لبيد قائلاً (الطويل):

وَلَــمَّــا دعَــانِــي عَــامِـرٌ لأَسُــبَّـهُــمْ	**أبيت وَإن كَـانَ ابْـنُ عَـيْـسَـاءَ ظَـالِـما**
لِـكَـيْـمَـا يَـكُـونَ السَّـنْـدَرِيُّ نَـدِيـدَتِـي	**وَأَجْعَل أَقْوَامًا عُمُومًا عَمَاعِما**
وَأَنْـبُـشَ مِــنْ تَـحْـت الـقُـبــورِ أُبُـوَّةً	**كِرَامًا هُم شَدُّوا عَلَي التَّمَائِمَا**
لَـعِـبْـتُ عَـلَـى أَكْـتَـافِـهِـمْ وَحُـجُـورِهِـمْ	**وَلِيدًا وَسَمَّوْنِي مُفِيدًا وَعَاصِمَا**
بَـلَـى: أَيُّـنَـا مَـا كَـانَ شَـرًّا لِـمَـالِـكٍ	**فَـلا زَالَ فِـي الـدُّنْـيَـا مَلُومًا وَلائِمَا**[3]

في هذه الأبيات يسوّغ لبيد بن ربيعة تركه سبَّ عمه مع أن عامراً قد دعاه إلى ذلك؛ كي لا يجاري السَّنْدَرِيّ بن عَيْساء في سبّه، فيصبحا ندّين متشابهين، وهو لا ينكر فضل أعمامه الذين لعب على أكتافهم، وحجورهم، ولقّبوه بالمفيد والعاصم. وفي البيت

(1) الأصفهاني – الأغاني 16: 288.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها. الجَعْد: القوي. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «جعد».

(3) ديوان لبيد بن ربيعة: 286. التمائم: مفردها تميمة؛ وهي خرزات توضع للأطفال لحمايتهم من العين. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة « تمم».

الأخير ردّ على قُحافَة بن الأَحْوَص مؤكداً أنّ من كان منهم شرّاً لمالك سيظلّ ملوماً ولائماً.

ولقد ناصر لبيد بن ربيعة عَامِر بن الطُّفَيْل بنهجه الهادئ الذي يراعي أواصر القربى، فلم تدفعه المناصرة إلى السبّ والإقذاع في الهجاء؛ لكنّه يؤكد أن عَامِر بن الطُّفَيْل هو الغالب في المنافرة، وأن عَلْقَمَة بن عُلاثَة سيهزم، وفي هذا يقول (الرجز):

إنِّي امْرُؤ مِن مَالِك بن جَعْفَر عَلْقَم قَد نَافَرْت غَيْر مُنَفر

نَافَرْت سَقْبًا مِن سِقَابِ العَرْعَر(1)

يؤكد لبيد بن ربيعة على نسبه، مبيناً لعلقمة نتيجة المنافرة كما يراها لبيد؛ لأن عَلْقَمَة ينافر رجلاً مشهوراً بارزاً، ولقد رد قُحَافة بن الأَحْوَص عمّ عَلْقَمَة بن عُلاثَة على لبيد ابن ربيعة فقال (الرجز):

نَهْنِهْ إِلَيْكَ الشّعْرَ يَا لَبِيدُ وَاصْدُدْ فَقَدْ يَنْفَعُكَ الصُّدُودُ

سَادَ أَبُونَا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا سُؤْدُدُكُمْ مُطَرَّفٌ زَهِيدُ(2)

توضح هذه الأبيات أن قُحافة بن عَوْف رفض حكم لبيد بن ربيعة ورأيه بحتمية انتصار عَامِر بن الطُّفَيْل، وطلب منه أن يكف عن هذا الشعر، وأن يدع هذا الأمر فقد ينفعه تركه، مؤكداً في الوقت ذاته حقّ علقمة؛ لأنه من بني الأحوص الذين سادوا قبل بني مالك، وسؤدد بني مالك هو حديث جديد، ولا يداني سؤدد بني الأحوص القديم الأصيل، ولقد وضّح جانباً من جوانب سؤدد بني الأَحْوَص في الأبيات الآتية (الرجز):

إِنِّي إِذَا مَا نُسِيَ الحَيَاءُ

وَضَاعَ يَوْمَ المَشْهَدِ اللِّوَاءُ

---

(1) ديوان لبيد بن ربيعة: 343. السَّقب: الطويل من كل شيء، ويقال للغصن الطويل الغليظ. مادة «سقب». العَرْعَر: شجر عظيم له ثمر مثل النّبق، انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «عرر».

(2) الأصفهاني – الأغاني، 16: 289. نَهْنِهْ: اكفف. مُطَرَّف: حديث وجديد. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «طرف».

أُنْــمَــى وَقَــدْ حُــقّ لِـيَ الـنَّـمَـاءُ

إلى ذُكُــــورٍ ذِكْــــرُهَــــا سَــنَــــاءُ

إذْ لا تَـــزَالُ جَــلْـــدَةٌ كَـــوْمَــاء

مَــبْــقـورَة لِـسَــقْـبِـهـا دُعَـــاءُ

لَـمْ يَـنْـهِـنَـا عَـنْ نَـحْـرِهَـا الصَّـفَــاءُ

لَــنَــا عَــلَــيْــكُـــمْ سُــورَةٌ وَلاءُ

المَجْـدُ وَالْـسُـــؤْدُدُ وَالـعَـطَـاءُ(1)

يبين قحافة بن عوف جوانب المجد والسؤدد عند بني الأحوص؛ فالأمور إذا اختلطت ونسيت وضاعت مثل ضياع اللواء في الحرب فإن قحافة يجد في أمجاد قومه ما يعينه؛ فهم كرماء ينحرون الناقة السمينة ويبقرون بطنها رغم صياح ولدها، وهذا يدل على شدة كرمهم؛ لأن الناقة كريمة لغزارة حليبها، وبهذا فإن لهم المنزلة العليا الرفيعة، ولهم المجد والسؤدد والعطاء.

ويعمد بعض المناصرين إلى تبيين مزايا منافريهم مثل الحطيئة الذي شهد منافرة عُيَيْنَة بن حِصْن بن حذَيْفَة من بني عَدِي وزَبَّان بن سَيَّار بن عمرو بن جابر من بني مازن، وكلاهما ينتمي إلى قبيلة فَزَارَة، وفي هذه المنافرة قال الحُطَيْئَة (الطويل):

أَبَــى لَــكَ آبَــاءٌ، أَبَــى لَـكَ مَـجْــدُهُـم ... سِوَى المَجْدِ فَانْظُرْ صَاغِرًا مَنْ تُنَافِرُهْ

قُـبُـورٌ أَصَـابَـتْـهَـا السُّـيُـوفُ ثَـلاثَـةٌ ... نُـجُـومٌ هَـوَتْ فِـي كُـلِّ نَـجْـمٍ مَـرَائِـرُهْ

فَــقَــبْــرٌ بِـأَجْـبَـالٍ وَقَـبْـرٌ بِـحَـاجِـرٍ ... وَقَـبْـرُ الـقَـلِـيبِ أَسْـعَـرَ الحَرْبَ سَـاعِـرُهْ

وَشَــرُّ المَنَــايَــا هَــالِـكٌ وَسْــطَ أَهْـلِــهِ ... كَهُلْكِ الفَتَاةِ أَيْقَظ الحَيَّ حَاضِرُهْ(2)

نلاحظ في هذه الأبيات أن الحطيئة يذكر بأساس المنافرة، وهو التفاخر بمجد الآباء،

(1) الأغاني – الأصفهاني، 16: 289. كَوْماء: الناقة السمينة. السَّقْب: ولد الناقة. الصَّفاء: غزارة الحليب سُورَة: الرفعة والمنزلة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «كوم» و«سقب» و«صفو» و«سور».

(2) ديوان الحطيئة: 45. مرائره: المريرة عزة النّفس، انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «مرر».

ويركز الحطيئة اهتمامه على صفة لا نجدها إلا قليلاً في المنافرات، وهذه الصفة هي الموت في ساحات المعارك لا على الفراش، وهذا دليل على الشجاعة، في حين يركّز الاهتمام في أغلب المنافرات على صفة الشجاعة في كيفية القتل والمبارزة، ويصور الحطيئة آباء عيينة بالنجوم التي هوت بسيوف الحرب، ويحدد هذه القبور؛ فقبر بأجبال وهو قبر بدر بن عمرو، قتيل بني أَسْد بن خُزَيمة، وقبر القَلِيب هو قبر حذيفة بن بدر بن عمرو، وهو قتيل بني عَبْس، وقبر بحاجر هو قبر حِصْن بن حُذيفة بن بدر، وهو قتيل عُقِيل بن كعب، وبعد أن يعدد هذه القبور يختم أبياته بحكمة؛ وهي أن شر الموت هو موت الفراش، مثل موت الفتاة التي يعرف موتها بارتفاع صوت الباكين عليها، في حين أن أفضل موت للرجل هو في ساحة الحروب.

ومن المناصرين من يلوم منافره إذا غُلِب، وهذا ما جرى في منافرة مالك بن عُمَيْلة وعميرة بن هاجر الخزاعي الذي نفّر فيها عُزَّى سَلِمَة العُذْرِيّ عُمَيرة الخُزَاعي على مالك ابن عُمَلية، فقال صاحبه أَرْطَاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف (الطويل):

نَـدَمْـتَ نَـئِـيشـاً أَنْ تَـكُـونَ أَطَـعْـتَـنِـي عَـلَـى حِـينٍ لا يُـجْـدِي عَـلَـيْـكَ الـتَـنَـدُّمُ

فَـجَـارَيْـتَ قَـرْمـاً مِـنْ قُـرُومٍ كَـرِيمَـةٍ فَـقَـصَّـرْتَ إِذْ أَعْـيَـا عَـلَـيْـكَ الـتَقَـدُّم»(1)

يلوم أَرْطَاة بن عبد شرحبيل صاحبه مالك بن عميلة؛ لأنه لم يستمع إلى نصحه في ترك التنافر؛ لأنه لن يستطيع مجاراة عميرة الخزاعي بسبب كرم نسبه، مما جعل الكاهن ينفر عميرة الخزاعي عليه، فقصّر مالك في ذلك وخَسِر.

2. اللغة:

نلاحظ عند تأمل المقطعات كثرة الألفاظ المتعلقة بالمنافرة وعناصرها وحقولها الدلالية:

---

(1) محمد بن حبيب– المنمق: 11. نيئشاً: بطيئاً ومتأخراً. قرْم: السّيد المعظّم وجمعها قُروم. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «نأش» و«قرم».

– ألفاظ المنافرة (نافرتَ[1]، مُنَفَّر[2]، تُنافِرُه[3]).

– ألفاظ تتعلق بالحكام وعملهم (حُكْم[4]، حُكّام[5]، الأحْكام[6]، الكاهن[7]، شَأَوْتُك[8]، المغلوب[9]).

– ألفاظ تتعلق بالنسب وهو أساس المنافرة (منسوب[10]، نسبوا[11]، أباكم[12]، عماعم[13]، أبوّة[14]، أهلك[15]، أبوك[16]، أبونا[17]).

– ألفاظ تتعلق بوصف كرم النسب وعراقته (المجد[18]، الكرام[19]، كريم[20]،

---

(1) انظر: ديوان لبيد بن ربيعة: 343.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) انظر: ديوان الحطيئة: 45.

(4) انظر: محمد بن حبيب – المنمق: 113.

(5) انظر: الأصفهاني – الأغاني، 16: 287.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 111.

(8) المصدر نفسه: 108.

(9) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(10) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(11) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(12) انظر: الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: 111.

(13) انظر: ديوان لبيد بن ربيعة: 286.

(14) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(15) انظر: أبوعبيدة – الديباج: 97.

(16) انظر: ديوان لبيد بن ربيعة: 286.

(17) انظر: الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 287.

(18) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 108 و111. وانظر: الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 289. وانظر: ديوان الحطيئة: 45.

(19) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 102.

(20) انظر: أبوعبيدة – مصدر سابق: 97.

المكـارم[1]، المفاخر[2]، سادة[3]، تسود[4]، السـؤدد[5]، سؤددكم[6]، قـادة[7]، أهل سناء[8]، أغر[9]، قروم[10]).

– أسماء المتنافرين ومن يناصرهم، وأسماء الحكام (عيينة[11]، أم عمرو[12]، سيار بن منظور[13]، نضلة[14]، أبوزبان[15]، سَطِيح[16]، هَرِم بن قُطْبَة[17]، هاشم[18]، عميرة ابن هاجر[19]، حار «حارث»[20]، مالك بن جعفر[21]، لبيد[22]، عامر

---

(1) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 102.

(2) المصدر نفسه: 111.

(3) المصدر نفسه: 102.

(4) انظر: الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 289.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 102.

(8) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(9) انظر: أبوعبيدة – مصدر سابق: 97.

(10) انظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 111.

(11) أبوعبيدة – الديباج: 97.

(12) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(13) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(14) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(15) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(16) محمد بن حبيب – المنمق: 113.

(17) الأصفهاني– الأغاني، 16: 288.

(18) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 102.

(19) المصدر نفسه: 111.

(20) المصدر نفسه: 108.

(21) ديوان لبيد بن ربيعة: 286 و343.

(22) الأصفهاني– مصدر سابق، 16: 289.

ابن مالك[1]، الأقرع بن حابس[2]، أبو شريح[3]، عبد عمرو[4]).

- أسماء قبائل المتنافرين،وبعض القبائل الأخرى التي ذُكِرت (بنو النضر[5]، قريش[6]، مضر[7]، نزار[8]، فهر[9]، الجعفري[10]، غنى[11]، الأحوص[12]، غطفان[13]، بنو دودان[14]، مذحج[15]، بنو ثعل[16]، بنو لأم[17]).

مما سبق نلاحظ أن معظم مشتقات كلمة «نفر» وردت في مقطوعة لبيد بن ربيعة في ثلاثة أبيات، ولعل ذلك يعود إلى أن لبيداً كان همه أن يقنع عَلْقَمَة بن عُلاثَة بأن الُمنفِّر سينفر عامراً عليه، لعل ذلك يدفعه إلى ترك التنافر مع عَامِر بن الطُّفَيْل أو على الأقل أن

---

(1) المصدر نفسه، 16: 290.

(2) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: 106.

(3) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 288.

(4) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 102.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(6) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 287.

(7) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 102.

(8) الأسود الغندجاني– مصدر سابق: 106 و110.

(9) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 108.

(10) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 290.

(11) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(12) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(13) أبوعبيدة – مصدر سابق: 97.

(14) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(15) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 287.

(16) ديوان حاتم الطائي: 76.

(17) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يهزم نفسياً أمام عامر بن الطفيل عند الحكم الُمنفِّر. تركز الاهتمام في المقطعات على إيراد ألفاظ النسب والمنافرة وعناصرها ولاسيما لفظة «المجد»(1) التي ترد بكثرة واضحة، وتكثر أيضاً أسماء القبائل وأسماء المتنافرين؛ ولعل ذلك يعود إلى أن المقطعات تميل إلى تسجيل أحداث المنافرة والمشاركين فيها، وما يجري فيها من تنفير، وهي بذلك توثق أخبار المنافرات وما جرى فيها، ومن ثم تؤكد هذه الألفاظ وحقولها الدلالية أن أساس المنافرة هو التحكيم بين المتنافرين ومعياره هو كرم النسب مع الخصال الحميدة الأخرى.

إن ألفاظ المقطعات مألوفة إلى حد ما، سهلة الفهم عدا القليل منها مثل (الفَدْفَد والعُنْدَد)(2)، التي ذكرها أحد بني مَخْزُوم في منافرة بني مَخْزُوم وبني أمية، ويمكن تسويغ ذلك بأن هذه المقطوعة كان المخاطب فيها الكاهن، لذلك جاءت لتحاكي لغته وتتوافق مع ذوقه؛ فالكهان يميلون في العصر الجاهلي إلى استعمال الألفاظ الغامضة عادة، وهو ما يدل على أن أصحاب هذه المقطوعات كانوا يراعون ذوق المتلقي.

وقد يرد التضاد بين بعض الألفاظ مثل (قصّرت والتقدم)(3)، وهي تشير إلى حال المتنافرين، فأحدهما يتقدم على الآخر فيغلبه، أما كلمتا (يحيي ويميت)(4) فتشيران إلى حكم المنفر وأثره؛ لأنه سيرفع من شأن قبيلة النافر، فيحيي ذكرها أو ينزل من قدر القبيلة ويخذلها بهزيمة منافرها، فيصبح مَنْفوراً، أما كلمتا «حلي ورحلتي»(5) فتشيران إلى حال مالك بن عميلة الذي تمنى الموت بدلاً من قراره بالذهاب إلى الكاهن، الذي نفر عميرة بن هاجر الخزاعي عليه.

---

(1) انظر: محمد بن حبيب – المنمق: 108 و111. وانظر: الأصفهاني – الأغاني، 16: 289. وانظر: ديوان الحطيئة: 45.

(2) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 113.

(3) المصدر نفسه: 111.

(4) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 288.

(5) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 111.

أما الأساليب فنجد أن أكثرها يميل إلى الإخبار؛ لأن الشعراء في المنافرات حرصوا على تسجيل أحداث المنافرات وما يجري فيها، وتوضيح مواقفهم، إلا أن أكثر ما جاء منها هو من أسلوب النفي مثل (لسنا إلى غيرك نقصد[1]، لا أهدي[2]، لم يك سراء عميرة[3]، فلا ترى[4]، لم أكن[5]، لم تغدر[6]) وهناك أسلوب آخر هو التوكيد، مثل (إنا رضينا[7]، إنّ سناء[8]، إن مقالي[9]، إني أخوك[10]، إنا لنعلم[11]، إني امرؤ[12]، إن سنا المجد لفي شيبة الحمد[13])، وربما لجأ قائلو هذه الأشعار إلى هذين الأسلوبين فأكثروا منهما؛ لتأكيد صفات المجد وكرم النسب في المنافر الذي يؤيدونه، ونفي هذه الصفات السيئة عنهم، ولإقناع من يشهد المنافرة بأحقية من يناصرونه ولاسيما المنَفِّر، وتؤكد أساليب النفي والتوكيد على البنية التي تحكم شعر المنافرات كافة، وسوف نفصلها في الصفحات القادمة، حيث تتضح في قصائد المنافرات بصورة جلية.

3. التصوير:

أغلب المقطعات في المنافرات جاء وليد اللحظة؛ لذا ركز الشعراء اهتمامهم على

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 113.

(2) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 288.

(3) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 111.

(4) محمد بن حبيب – المنمق: 111.

(5) ديوان حاتم الطائي: 67.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) الأصفهاني – الأغاني: 16: 287.

(8) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 110.

(9) المصدر نفسه: 102.

(10) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: 106.

(11) أبوعبيدة – الديباج: 97.

(12) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 108.

(13) المصدر نفسه: 102.

عرض الأفكار والآراء، مما يعني أن الأبيات لا تميل إلى التصنّع، والصور الفنية فيها قليلة، ومعظمها يدور حول أساس المنافرة؛ وهو التفاخر بالحسب والنسب، ومجد الآباء ومآثرهم، لذا نجد صوراً كثيرة حول مجد المنافرين وقومهما، ومن أمثلة ذلك قول زبَّان ابن سيار لعُيَيْنَة بن حِصْن (شربت المجد من غطفان[1]) والشاعر هنا شبه المجد بالماء، وغطفان هي أصل نسب عيينة مثلما الماء هو أصل الحياة؛ لذا كان لابد لعيينة أن يفتخر بأصله. وفي منافرة خالد بن أَرْطَاة الكَلْبِيّ وجرير بن عبد الله البَجَلِيّ، قال عمرو أبو الخثارم مناصراً للبجلي، ومصوراً مآثر قومه في قوله (مجداً بناه لكما أباكما[2]) فيشبه المجد بالبناء؛ لأن المجد يكون في الآباء والأجداد، ويتأسس لبنة لبنة بما يصنعه الآباء من مفاخر ومآثر.

ونجد تشبيهاً للمنافِر لدى لبيد بن ربيعة في منافرة عامر وعلقمة في قوله واصفاً عامراً:

عَلْقَمَ قَدْ نَافَرْتَ غَيْرَ مُنفر نافرت سَقْبًا مِنْ سِقَابِ العَرْعَر[3]

فشبّه لبيد بن ربيعة عَامِر بن الطُّفَيْل بسقب من سقاب العرعر، واختار تشبيهه بالغصن الطويل الغليظ؛ ليدلل على أن منافره قوي الشخصية والعزيمة، وأنه بارز مشهور أيضاً.

وإذا كان لبيد بن ربيعة قد شبه المتنافر بسقب العرعر؛ فإن الحطيئة شبه آباء منافره عيينة الذين قتلوا في المعارك بعدما عدد مواضع قبورهم قائلاً:

قُبُورٌ أَصَابَتْهَا السُّيُوفُ ثَلاثَةٌ نُجُومٌ هَوَتْ فِي كُلِّ نَجْمٍ مَرَائِرُهْ[4]

فالحطيئة قد شبه آباء عُيَيْنَة بن حِصْن الذين هلكوا بالنجوم؛ ليدلل على علو مكانتهم وسموهم على غيرهم، وأنهم مصدر هداية للآخرين، ولاسيما قبيلتهم، ولعل ما يلفت الانتباه هنا أنه وصفهم عند موتهم في ساحة القتال بالنجوم التي هوت، وكلمة «هوت» تدل على السقوط إلى الأسفل؛ لكنهم مع موتهم ظلوا محتفظين بعلوهم، لأنه استخدم

(1) أبوعبيدة – الديباج: 97.

(2) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: 110.

(3) ديوان لبيد بن ربيعة: 343.

(4) ديوان الحطيئة: 45.

لفظ «مرائر» التي تدل على عزة النفس المتأصلة، فصاروا بذلك قدوة تحتذى للأحفاد.

ومن التشبيهات قول مالك بن عُمَيْلة بعد أن نَفَّر الكاهن عميرة بن هاجر عليه، فتمنى مالك الموت:

ضَلَلْتُ كَمَا ضَلَّتْ بِلَيْلٍ فَلاَ تُرَي ... قُلاَمَةُ ظُفْرٍ فِي مُعَرِّسِ نَزَّالِ(1)

شبه مالك هنا ضلاله بضلال قلامة الظفر في الليل المظلم، وأوغل في الوصف بقوله: (مُعَرِّسِ نَزَّال) ليبين صعوبة رؤية قلامة الظفر، فالضلال الذي شعر به ابتدأ بقبوله المنافرة، وانتهى بخروجه منها منفوراً نادماً، ضائعا يتمنى الموت.

وقد وردت بعض الكنايات؛ منها قول مروان بن سراقة في منافرة عَامِرِ بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة (لاتَّخَذَتْهُمْ مَذْحِجٌ نَعَاماً)(2)، وهو تعبير يدل على الهزيمة التي شارفت أن تحلّ ببني مالك لولا تدخل بني الأحوص وإنقاذهم لأصبح بنو مالك عبيداً لقبيلة مَذْحِج.

كما وردت إشارة تاريخية في شعر عامر بن مالك في قوله:

وَلا أُهْدِي إِلى هَرِمٍ لِقَاحاً ... فَيُحْيِي بَعْد ذلك أَوْ يُمِيتُ

أُكَلَّفُ سَعْيَ لُقْمَان بنْ عادٍ ... فَيَا لأبِي شُرَيْحٍ ما لَقِيتُ(3)

يشير عامر بن مالك في البيتين السابقين إلى لقمان بن عاد بن ثمود الذي زعموا أنه عاش أربعة آلاف عام، وهو عمر النسور السبعة، وقد وردت هذه الإشارة لدى أكثر من شاعر جاهلي(4). واستخدم عامر بن مالك هذه الإشارة التاريخية للدلالة على أنه لو طال عمره مثل لقمان بن عاد فإنه لن يغير رأيه، ويشارك في هذه المنافرة بالمساهمة المادية المتمثلة في النفورة والمعنوية المتمثلة في حضور المنافرة.

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 111.

(2) الأصفهاني– الأغاني، 16: 287.

(3) المصدر نفسه، 16: 288.

(4) انظر: وهب بن منبه – كتاب التيجان: 369. وانظر: الثعالبي – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، 1: 476، وانظر: الميداني– مجمع الأمثال، 2: 128.

4. الموسيقى:

عند تأمل المقطعات في شعر المنافرات نجد أن أكثرها جاء على بحر الرجز، فنسبة بحر الرجز فيها تمثل قرابة 60٪، وهذه النسبة تذكرنا بقول أبي عبيدة: «كان الشاعر يقول من الرجز البيتين أو الثلاثة أو نحو ذلك، إذا حارب أو شاتم أو فاخر»(1)؛ فالرجز بحسب ما ذهب إليه أبو عبيدة ينشأ بسبب المحاربة والمشاتمة والمفاخرة المتضمنة المنافرة التي هي مفاخرة في النسب.

ونظن أن لجوء الشعراء إلى بحر الرجز في المنافرات أدى إلى ضياع كثير من شعر المنافرات؛ لأن الرواة أهملوا جمع الرجز الذي خلا من ألفاظ غريبة ومن ثم أهمل كثير من رجز المنافرات؛ لأن ألفاظه مألوفة سهلة، وليست غريبة، علاوة على أن العلماء واللغويين في مرحلة جمع اللغة وتقعيد القواعد جمعوا الشعر من الرواة الذين أعرض بعضهم عن رواية الرجز؛ لأنهم لا يعدونه شعراً(2).

ونتساءل لِمَ أكثر الشعراء من استعمال بحر الرجز؟ لعل ذلك يعود إلى أمرين؛ أولهما يتعلق بطبيعة بحر الرجز، وثانيهما يتعلق بالمنافرات وظروف قائليها، أما ما يتعلق ببحر الرجز فإنه من البحور السهلة التي يستطيع المرء أن ينظم عليها شعراً؛ لكثرة الزحافات فيه، علاوة على أنه بحر خفيف ورشيق، سلس متدفق عند إنشاده، وأن تصريع شطريه جعله أقرب إلى نفوس الناس(3).

وهذه المميزات لبحر الرجز سمحت للكثيرين أن يقولوا الشعر، وقد أكثروا من استعماله، حتى لقب هذا البحر بمطية الشعراء وحمارهم، وهذا ما دعا اللغويين القدماء إلى التساؤل إن كان الرجز يعد شعراً أم لا، ولن نتطرق إلى هذا، فهناك كتب متخصصة قد عالجت هذا الأمر بالتفصيل.

---

(1) ابن رشيق القيرواني – العمدة، 1: 196. وانظر: السيوطي – المزهر في علوم اللغة، 2: 484.

(2) انظر: جمال نجم العبيدي – الرجز: نشأته، أشهر شعرائه: 135.

(3) المرجع نفسه: 55 –57.

وأما ما يتعلق بالمنافرات وظروف قائلها فيتمثل في ارتجال الشعر في المنافرات؛ لأن معظمه يقال بعد التنفير مباشرة كما لاحظنا ذلك من خلال المضمون، ومن يحضر المنافرة لا يعلم مسبقاً نتيجتها فيضطر إلى ارتجال الشعر بعد التنفير، ولعل بحر الرجز أسهل على من يرتجل الشعر من البحور الشعرية الأخرى، وسهولة هذا النظم حثت الكثيرين على الارتجاز مما أدى إلى ظهور أسماء غير معروفة.

ولعل ما يلفت النظر أن مشاركة لبيد بن ربيعة في منافرة عَامِر بن الطُّفَيْل وعلقمة بن علاثة جاء أكثرها على بحر الرجز، ولا يعني ارتجاز شاعر مشهور مثل لبيد بن ربيعة أن لديه موقفاً تجاه المنافرة، أو أنه يرى أن أغراض الشعر مثل المدح أو الفخر أولى بالاهتمام من المنافرة، و«أن شهرة لبيد بن ربيعة بالشعر ومكانته فيه فقد فضل العزوف عن المشاركة في مناصرة ابن عمه عامر بشيء ذي أهمية من القصيد»[1].

ولا ننكر أن لبيداً راعى صلة القربى؛ لكن هذه المراعاة منعته من هجاء عَلْقَمَة بن عُلاثَة، و لم تمنعه من نصرة عامر، بالرجز وبأبيات من البحر الطويل[2]، ولعل لبيداً فضل الرجز؛ لأنه من أكثر البحور استخداماً في المنافرات كما بيّن أبوعبيدة في القول السابق[3]، ونسبة ما قاله لبيد في الرجز هو 11٪ من شعره[4]، وهي نسبة ليست بقليلة، ولا نتوقع أن يقول الأعشى مثلاً رجزاً؛ لأن نسبة الرجز في شعره لا تتجاوز 2٪[5]، هذا فضلاً عن أسباب أخرى لدى الأعشى سنتطرق إليها في موضعها.

أما نسبة البحور الأخرى غير الرجز في شعر المنافرات فأكثرها جاء على البحر الطويل، ثم الوافر والكامل ثم البسيط.

---

(1) حمد الزايدي – منافرة علقمة وعامر: 63.

(2) انظر: ديوان لبيد بن ربيعة: 286.

(3) ابن رشيق القيرواني – العمدة، 1: 196. وانظر: السيوطي – المزهر في علوم اللغة، 2: 484.

(4) انظر: يحيى الجبوري – لبيد بن ربيعة: 488.

(5) انظر: عباس بيومي عجلان – عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى: 302.

أما القوافي في الرجز فقد التزم فيها الشعراء التصريع في الشطرين في المقطوعة كاملة سواء أكانت بيتين أو ثلاثة أو أربعة... الخ، وقد سقنا أمثلة متنوعة في ذلك.

ب – القصائد

وصلتنا قصائد جاهلية قيلت في المنافرات، أشهرها ما جاء في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِر بن الطُّفَيْل، وشارك في هذه المنافرة كلّ من:

1. الأعشى ميمون بن قيس، من قبيلة بكر بن وائل، وناصر في هذه المنافرة عَامِر بن الطُّفَيْل، وله قصيدتان: الرائيّة والصادية.
2. الحطيئة جرول بن أوس، وناصر في هذه المنافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وله قصيدتان: اللاميّة والميميّة وهي سبعة أبيات، ووضعت ضمن القصائد لا المقطعات حسب عدد الأبيات؛ لأنها من الناحية الفنية تكمل مفهوم الحطيئة ورؤيته للمنافرات.
3. لبيد بن ربيعة: وهو من بني عامر، أي من قبيلة المتنافرين علقمة وعامر، وقال ثلاثة عشر بيتاً من الرجز، خاطب فيها هَرِماً مطالباً إياه بتنفير عامرٍ على علقمة.

ولقد اشتهرت منافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِر بن الطُّفَيْل أكثر من غيرها من المنافرات لعدة أسباب؛ نجملها فيما يأتي:

* اشتراك شعراء كبار من شعار الجاهلية فيها، وهم الأعشى ولبيد والحطيئة. ولعل رفض الحكام للفصل بين المتنافرين جعلها تمتد لأكثر من عام، وقد أتاحت هذه المدة الطويلة فرصة لهؤلاء الشعراء أن يبدعوا فيها قصائدهم.
* المتنافران هما سيدان كريمان مشهوران من قبيلة بني عامر.
* كثرة ذكر المنافرة في كتب الأدب وتراجم الصحابة عند الترجمة لعَلْقَمَة بن عُلاثَة؛ ولكن تبقى أهم مصادر هذه المنافرة ما ذكره الأصفهاني وأبوعبيدة.

شارك في المنافرات الأخرى:

1. النابغة الذبياني، وقال قصيدة في منافرة محمد بن أُحيحة والزِّبْرقان بن بدر، وردَّ فيها على الزِّبْرقان بن بدر وبعض بني تميم الذين توعدوه شرّاً بسبب تنفيره محمد بن أحيحة على الزبرقان بن بدر.
2. نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى، وقال قصيدة في منافرة عبد المطلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة، وردَّ فيها على حرب الذي شكك في حكمه، ومدح فيها عبد المطلب بن هاشم.

1. بناء القصيدة:

التزم الأعشى والحطيئة ببناء القصيدة الجاهلية في المنافرة، وهناك بعض الاختلافات بينهما من حيث تقديم بعض أغراض القصيدة الجاهلية أو تأخيرها. أما النابغة الذبياني ونُفَيْل بن عَبْد العُزَّى ولبيد بن ربيعة فإن كلاً منهما لم يسر على نهج القصيدة الجاهلية من حيث تعدد الأغراض؛ واكتفى كل منهم بتناول موضوع المنافرة مباشرة، وركزا في ذلك على تبيان موقفهم منها خاصة.

نقف على بناء القصيدة في شعر المنافرات لدى الأعشى والحطيئة، ففي الرائية يبدأ الأعشى حديثه عن الأطلال، على خلاف أغلب شعره الذي يركز في مقدمته على المرأة والخمر، فالأعشى له نهج في بناء قصيدته، فهو «لم يقف على الأطلال والرسوم إلا نادراً، و لم يذرف الدموع على ظعينة رحلت، أو على حبيب آثر الصدود والهجران إلا في القليل القليل، إنه شاعر أحب وتغزل، ولكن على طريقته الخاصة، واحتلت المرأة وذكرها مقدمة جُلّ قصائده»(1)، إذن الأعشى التزم في الرائية في الحديث عن الأطلال والمحبوبة وأخر حديثه عن الناقة، فوضعها في نهاية القصيدة مخالفاً البناء العام المتواضع عليه للقصيدة الجاهلية، وفيه يأتي الحديث عن الناقة بعد ذكر أطلال المحبوبة. ولعل التزام الأعشى في الرائية بالبناء التقليدي للقصيدة لم يمنعه من تغيير ترتيب الأغراض الفنية داخل

(1) مفيد قميحة – الأعشى شاعر اللذة والحياة: 112– 113.

القصيدة. ونتساءل هنا: لماذا ذكر الأعشى الأطلال في الرائية؟

يرى مفيد قميحة أنه «ربما كان لاهتمام الأعشى بذكر الأطلال في قصيدة أزمع أن يوظف معانيها للهجاء مدلول خاص؛ لعله رغبة الشاعر في أن يعطي هذه القصيدة طابعاً رسمياً – إن صحّ التعبير – يتفق مع تقاليد القوم، وما كانوا يتواضعون عليه في مجال نظم الشعر، وذلك كله لكي يضمن لهذه القصيدة بعداً دعائياً يجعل الناس يقبلون عليها، ويلتذون بسماعها»(1). ولعل ما يرجّح هذا الرأي هو تناقل الرواة لهذه القصيدة حتى في العصر الإسلامي أمام الرسول ﷺ ولقد نهى عن روايتها؛ لأن عَلْقَمَة بن عُلاثَة قد دافع عن الرسول ﷺ أمام كسرى عظيم فارس(2).

يمكن أن نرد وصف الأعشى ناقته في نهاية القصيدة إلى أمرين؛ أولهما أن موضوع المنافرة قد شغل الأعشى فاضطر إلى التخلص من حديثه عن الأطلال والمحبوبة بسرعة، مما دعاه إلى أن يجمع بين الحب والخنا في بيت واحد، حين قال:

دَعْهَا فَقَدْ أَعْذَرْتَ فِي حُبِّهَا   وَاذْكُرْ خَنَا عَلْقَمَةَ الفَاجِرِ(3)

إنه يجمع بين الحب والخنا – وهو الفجور والفحش – في بيت واحد؛ فكيف يستقيم هذا مع ذكره لمحبوبته التي وصفها بالخلق الطاهر؟ ربما شغل الأعشى بموضوع المنافرة لأهميته فأخر وصف الناقة، ولم يذكرها إلا عند حديثه عن أمجاد قومه وما لديهم من الدروع والخيول، فصوّر جرأته وقدرته. ويمكن أن نفسر حديثه عن الناقة بأنه افتخار بذاته وجرأته وكثرة أسفاره، فيكون غرضه الفخر لا وصف الناقة، وهناك تفسير أسطوري يتجلى في أن الناقة التي اعتقد الجاهليون أنها وسيلة لنقل الميت إلى المحشر ومن ثم الخلود ستنقل – بهذا التفسير – عَامِر بن الطُّفَيْل إلى الخلود، بما اتصف به من أمجاد، وليكون له بذلك طول العمر والخلود(4).

---

(1) حمد الزايدي – منافرة عامر وعلقمة: 39.

(2) انظر: ابن حجر العسقلاني – الإصابة في تمييز الصحابة، 4: 455.

(3) ديوان الأعشى: 177.

(4) انظر: جواد علي – المفصل، 6: 130. وانظر: أنور أبو سويلم – دراسات في الشعر الجاهلي: 42.

أما صادية الأعشى فقد سار فيها على نهجه؛ فبدأ القصيدة في الحديث عن محبوبته عُفَيْرَة في أربعة أبيات، فوصفها ووصف حالها بعد زواجها بشيخ عجوز، وأفرد بقية القصيدة لهجاء عَلْقَمَة بن عُلاثَة.

وإن كان الأعشى قد اتبع بناء مميزاً في الرائية؛ فإن الحطيئة في قصيدته اللامية التزم ببناء القصيدة الجاهلية، فبدأ بالحديث في أربعة أبيات عن محبوبته، فوصفها بحسن الخلق والتناسق، ووصف ناقته بالشدة والسرعة في بيتين، وأفرد بقية القصيدة لمدح عَلْقَمَة بن عُلاثَة مشيراً إلى المنافرة.

2. المضمون:

*** رؤية المنافرة**

تضمن شعر الأعشى والحطيئة رؤية للمنافرة، والمقصود بالرؤية هو التصور والتخيل الذهني لدى الشاعرين لمفهوم المنافرة، وقد عبر عن ذلك من خلال إثبات بعض الصفات للمتنافرين أو نفيها، ومن خلال الصور الفنية والأساليب الأدبية.

ونلاحظ من خلال شعر الحطيئة أن رؤية المنافرة لديه هي أشبه بسباق نحو المجد؛ لذا فإن عَامِر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة وغيرهما من الكرماء في سباق نحو قمة المجد، لكن عَلْقَمَة بن عُلاثَة يتفوق عليهم، ولا يعني ذلك أن عَامِر بن الطُّفَيْل امرؤ غير فاضل ولا كريم كما يذهب الحطيئة في شعره، ومن الأبيات الدالة على هذا المعنى قول الحطيئة (الطويل):

إِذَا قَايَسُوهُ المَجْدَ أَرْبَى عَلَيْهُمُ ... بِمُسْتَفْرِغٍ مَاءَ الذِّنَابِ سَجِيلِ

وَإِنْ يَرْتَقُوا فِي خُطَّةٍ يَرْقَ فَوْقَهَا ... بِثَبْتٍ عَلَى الضَّاحِي المَزِلِّ رَجِيلِ

...

إِذا النَّاسُ مَدُّوا لِلفِعَالِ أَكُفَّهُمْ ... بَذَخْتَ بِعَادِيِّ السَّرَاةِ طَوِيلِ

فَـإِنْ عُـدَّ مَـجْـدٌ فَـاضِـلٌ عَـدَّ مِـثْـلَـه   وَإِنْ أَثَّـلُـوا لاقَـاهُـــمُ بِـأَثِـيـــلِ[1]

نلاحظ أن الحطيئة استخدم ألفاظاً تدل على الكثرة، ليبين تفوق علقمة على الآخرين، ولاسيما منافره عَامِر بن الطُّفَيْل، ومن هذه الكلمات لفظة (سَجِيل) وأفعل التفضيل (أربى)، و تعبير (يرقى فوقها). ولا يعني هذا أن الحطيئة لم يبين رأيه في هذا السباق؛ فهو يرى أن المنافرة محسومة لصالح عَلْقَمَة بن عُلاثَة، وخير لعَامِر بن الطُّفَيْل أن يصد عن المنافرة؛ لأن عَلْقَمَة بن عُلاثَة أفضل منه، ومن الأبيات الدالة على ذلك قوله:

فَصُـدُّوا صُـدُودَ الـوَانِـي أَبْقَـى لِعِرْضِـكُـمْ   بَـنِـي مَـالِـكٍ إِذْ سُــدَّ كُـلُّ سَـبِـيــلِ

...

وَرِثْـتَ تُـرَاث الأَحْوَصَيْن فَلَم يَضِعْ   إِلَى ابْنَـي طُفَيْـل مَالِكٍ وَعَقِيـلِ[2]

فالحطيئة يرى أن رئاسة القبيلة إن سارت في أيدي أبناء طفيل فستضيع، ومما يؤكد رؤية المنافرة لدى الشاعر المتمثلة في سباق يتفوق فيه علقمة، ولا ينفي المكارم والشرف عن عَامِر بن الطُّفَيْل في الوقت ذاته، قول الحطيئة (البسيط):

يَـا عَـامِ قَـدْ كُـنْـتَ ذَا بَـاعٍ وَمَـكْـرُمَــةٍ   لَو أَن مَسْعَاة مَن جَارَيْتَه أَمَمُ[3]

وقد عمد الحطيئة في قصيدته إلى مدح عَلْقَمَة بن عُلاثَة مبيناً كل الصفات التي تؤهله للتنفير، ويختم القصيدتين بمعنى واحد، هو أن التنفير واضح للجميع (الطويل):

فَـمَـا يَـنْـظُـرُ الحُكَّـامُ بِـالـفَـصْـلِ بَـعْـدَمَـا   بَــدَا وَاضِــحٌ ذُو غُــرَّةٍ وَحُــجُــول[4]

وهذا الوضوح لا يشك فيه الحكم (البسيط):

---

(1) ديوان الحطيئة: 8–9. الذِّناب: الدلو العظيم مفردها ذنوب. سَجِيل: عظيم. مُزِلّ: أي ما يزلّ فيه. رَجِيل: الرجل القوي على المشي. أَثِيل: مجد كثير. انظر: ابن منظور – لسان العرب: مادة «ذنب» و«سجل» و«زلل» و«رجل» و«أثل».

(2) المصدر نفسه: 9 الوَانِي: الضعيف المهزوم. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «ونى».

(3) المصدر نفسه: 16 أَمَم: الشيء اليسير. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة «أمم».

(4) المصدر نفسه: 9 حُجول: بياض في قوائم الفرس. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة «حجل».

وَمَــا أَسَــاء   فِرَارا   مِـنْ مُـجَـلَّـحَـةٍ   لا كَـاهِـنٌ يَـمْـتَـرِي فِـيـهَـا وَلا حَـكَـمُ(1)

ويمكن أن نقول إن هذا تنفير مبطّن وغير مباشر من الحطيئة لعَلْقَمَة بن عُلاثَة.

وإن كانت رؤية المنافرة عند الحطيئة تتمثل في سباق يتفوق فيه علقمة على عامر؛ فإن رؤية المنافرة لدى الأعشى على خلاف ذلك، فهو لا يرى أن علقمة وعامراً متساويان، فهو يضع عامراً في قمة المجد والكرم والفضل، ويضع علقمة في أدنى المراتب، ويوظّف هذه الرؤية في أغلب أبيات شعره في هذه المنافرة، ومما قاله:

يَـا عَـجَـبَ الـدَّهْـــــرِ مَـتَـى سُـوِّيَـا   كَـمْ ضَـاحِـكٍ مِـنْ ذَا وَكَـمْ سَـاخِـرِ(2)

ففكرة المساواة بين علقمة وعامر تبعث في نفس الأعشى الضحك والسخرية. وهناك بيت آخر للأعشى يشير بصورة واضحة إلى انتفاء المساواة بينهما؛ يقول:

عَـــلْــقَـــمَ لا لَـــسْـــتَ إلى عَـــامِـــر   الـــنَّــا قِــضِ الأَوْتَـــارَ وَالـــوَاتِـــرِ(3)

ولا يكتفي الأعشى برفض المساواة بينهما؛ بل يرى أن علقمة قد هدم مجد بني الأحوص فصار ناقصاً، وفي ذلك يقول (الطويل):

كِـلا أَبَـوَيْـكُـمْ كَـانَ فَـــرْعَـاً دِعَـامَــةً   وَلَـكِـنَّـهُـمْ زَادُوا وأصْبَحَتَ نَاقِصا(4)

ويضع الأعشى علقمة في أدنى المراتب، وفي ذلك يقول:

رَمَـى بِـكَ فِـي أُخْـرَاهُـمُ تَـرْكُـكَ الـعُـلَـى   وَفَـضَّـلَ أَقْـوَامـاً عَـلَـيْـكَ مَـراقِـصَـا(5)

ونستطيع أن نقول بإجمال إن الأعشى قد نفى الفضائل عن عَلْقَمَة بن عُلاثَة، فوصفه

---

(1) ديوان الحطيئة: 16. مُجَلَّحة: داهية مكتشفة. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة «جلح».

(2) ديوان الأعشى: 177.

(3) المصدر نفسه: 177.

(4) المصدر نفسه: 185.

(5) المصدر نفسه: 187. مَراقِص: مفردها مِرْقِص أي كثير الخبب والحركة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «رقص». ويرى محقق ديوان الأعشى أن مراقص ربما كانت تحريفاً عن مَراهِص؛ والمَرْهَصَة المنزلة والرتبة، انظر ديوان الأعشى: 187.

بالبخل والجبن والخديعة والكذب، و لم يكتف بذلك، وإنما نال من أم علقمة أيضاً(1)، ولقد ادعى الأعشى أنهم حكَّموه في المنافرة فحكم لعَامِر بن الطُّفَيْل، كما مرّ بنا في الفصل الأول من الدراسة.

*** المدح والهجاء**

لجأ الأعشى والحطيئة في قصائدهما إلى مدح منافرهما، وهجاء خصم منافرهما، والمدح والهجاء هما البنية الثنائية التي تقوم عليها قصيدة المنافرات عندهما؛ لكنّ الشاعرين اختلفا في كيفية نصرتهما للمتنافرين من خلال الشعر.

فا لأعشى مدح عَامِر بن الطُّفَيْل في الرائية، وهجا عَلْقَمَة بن عُلاثَة فيها هجاء مقذعاً، وفي الصادية ركز اهتمامه على هجاء علقمة، وحوّله من هجاء شخصي إلى قبلي، ثم افتخر بقومه بكر بن وائل وبأمجادهم، وغرض الفخر في هذه القصيدة طغى على مدح عَامِر بن الطُّفَيْل الذي جاء في أبيات معدودة، ولقد ركز اهتمامه على الفخر بقومه حتى أنه لم يدع أي صفة من مكارم الأخلاق إلا ووصف قومه بها، ونقف عند بعض ما هجا به الأعشى عَلْقَمَة بن عُلاثَة، يقول في ذلك:

وَلَسْتَ فِي السِّلْم بِذِي نَائِلٍ وَلَسْتَ فِي الهَيْجَاءِ بِالجَاسِرِ(2)

فالأعشى في البيت السابق قد نفى الكرم عن علقمة في السلم، والجرأة في الحرب، و لم يكتفِ بذلك، فقد وصف قومه بأكل الجيف في قوله:

هُمُ الطُّرُفُ النَّاكُو العَدُوِّ وَأَنْتُمُ بِقُصوَى ثَلاثٍ تَأْكُلُونَ الوَقَائِصَا(3)

ويصف الأعشى علقمة أيضاً بأحقر الأشياء ليقلل من شأنه، ومما قاله في ذلك:

---

(1) ديوان الأعشى: 181.

(2) المصدر نفسه: 179. الجاسِر: الجرئ المقدام. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «جسر».

(3) المصدر نفسه: 185 الوَقائِص: المكسورة الأعناق من الدواب. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة «وقص».

أَتُوعِدُنِي أَنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ   وَبَحْرُكَ سَاجٍ لا يُوَارِي الدَّعَامِصَا
فَلَوْ كُنْتُمُ نَخْلاً لَكُنْتُمْ جُرامَةً   وَلَوْ كُنْتُمُ نَبْلاً لَكُنْتُمْ مَعَاقِصَا(1)

هكذا هو الأعشى في هذه المنافرة لا يصف علقمة إلا بأرذل الأوصاف وأحقرها؛ فهو يصفه بالبحر الساكن الراكد الذي لا تنمو فيه أحقر الديدان، وأن قوم علقمة لو كانوا نخلاً لكانوا حثالة التمر، ولو كانوا سهاماً لكانوا أردأ أنواعها.

يصل الأعشى إلى قمة هجائه لعلقمة، فهو لا يسلبه صفات الكرم والشجاعة فحسب؛ ولكنه يسلبه مشاعر الشفقة والإنسانية في قوله:

تَبِيتُونَ في المَشْتى مِلاءً بِطُونُكُمْ   وَجَارا تُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصا
يُرَاقِبْنَ مِنْ جُوعٍ خِلالَ مَخَافَةٍ   نُجُومَ السَّمَاءِ الطَّالِعَاتِ الشَّوَاخِصَا(2)

ففي البيتين السابقين أبدع الأعشى وأقذع؛ أبدع لأنه رسم مشهداً نال فيه من عَلْقَمَة ابن عُلاثَة، وأقذع لأنه سلبه الشفقة والإنسانية. كما يرسم الأعشى صورتين متقابلتين؛ الأولى لبني الأحوص، وقد باتوا شبعى وبطونهم مملوءة غير مبالين بجاراتهم، والأخيرة للجارات الضعيفات الجائعات اللواتي يراقبن في الليل البارد، كي يلتقطن ما رمي من طعام، يصارعن الجوع والبرد والخوف من انكشاف فقرهن وجوعهن.

لقد اختار الأعشى الجارات لقربهن من بيوت بني الأحوص، ولهن حقوق عليهم، بسبب الجوار كما هي العادة العربية، ولأن النساء ضعيفات.

ولعل بيت الأعشى الذي ذكرناه سابقاً والذي يقول فيه:

تَبِيتُون فِي المَشْتَى مِلاءً بُطونُكُم   وجاراتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا(3)

---

(1) ديوان الأعشى: 187. الدَّعامِص: الديدان السوداء. جُرامَة: حثالة التمر. المَعاقِص: السهام المعوجّة أو المكسورة.. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة «دعمص» و«جرم» و«عقص».

(2) المصدر نفسه: 185. غرثى وخمائص: أي جائعات وضامرات البطن.. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة «خمص» و«غرث».

(3) المصدر نفسه: 185.

قد اشتهر بأنه من أهجى الأبيات، وقيل إن علقمة عندما سمعه بكى(1)، وهجاء الأعشى لعلقمة بن علاثة يقوم على مقارنته بعَامِر بن الطُّفَيْل، وسيتضح ذلك أكثر في الحديث عن التصوير الفني، كما أن هجاء الأعشى لعلقمة كان ممزوجاً بالسخرية، فهو يسخر من علقمة ومن تهديده له بالقتل، وفي ذلك يقول:

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ ... سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ(2)

ويقول أيضاً:

يُقْسِمُ بِاللهِ لَئِنْ جَاءَهُ ... عَنِّي أَذَىً مِنْ سَامِعٍ خَابِرِ

لَيَجْعَلَنِّي سُبَّةً بَعْدَهَا ... جُدِّعْتَ يَا عَلْقَمُ مِنْ نَاذِرِ(3)

يسخر الأعشى من تهديد علقمة له بالقتل، ومن افتخار الأخير بنفسه، ويدعو عليه بالجدع.

لقد استغل الأعشى هجاءه لبني الأحوص كي يفخر بقومه، فقارن بين قومه وقوم عَلْقَمَة بن عُلاثَة، فوصف قومه بمكارم الأخلاق وافتخر بهم، وبهذا نجد أن هجاءه لعلقمة وقومه تضمن في الوقت نفسه فخراً بقومه هو، وركّز اهتمامه على الافتخار بالكرم، وبدفع الجوع عن الجار ولاسيما في الشتاء، وهو وقت العوز والحاجة، وكرمهم يكون بإعطائهم لحم الناقة الضخمة السمينة، ومما قاله في ذلك:

المُطْعِمُو اللَّحْمِ إِذَا مَا شَتَوْا ... وَالجَاعِلُو القُوت عَلَى اليَاسِرِ

مِنْ كُلِّ كَوْمَاءَ سَحُوفٍ إِذَا ... جَفَّتْ مِنَ اللَّحْمِ مُدَى الجَازِرِ

وَالشَّافِعُونَ الجُوعَ عَنْ جَارِهِمْ ... حَتَّى يُرَى كَالغُصنِ النَّاضِرِ(4)

---

(1) انظر: العسكري – ديوان المعاني، 1: 174.

(2) ديوان الأعشى: 179.

(3) المصدر السابق: 181. جُدِعْتَ: أي دعا عليه بقطع الأنف أو الأذن أو اليد. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «جدع».

(4) ديوان الأعشى: 181. سَحُوف: الناقة التي بها شحم كثير. انظر: ابن منظور– لسان العرب، مادة «سحف».

تأتي هذه الصورة في مقابل وصف الأعشى لموقف قوم عَلْقَمَة بن عُلاثَة من الجارات(1)، وقد تطرقنا إلى ذلك من قبل.

وإن كان الأعشى قد نال من علقمة وهجاه هجاء مقذعاً، فإن الحطيئة ابتعد عن ذلك، ففي قصيدته اللامية مدح عَلْقَمَة بن عُلاثَة من دون أن يهجو عَامِر بن الطُّفَيْل بشكل واضح ومباشر مثلما فعل الأعشى. لكنّه بين أن قوم علقمة وهم بنو الأحوص أفضل من بني مالك، وهم قوم عامر، والحطيئة يبتعد عن ذكر عامر في قصيدته اللامية، ويكتفي بذكر اسمي أخويه، حيث قال مادحاً علقمة ومعرِّضاً ببني مالك:

وَرِثْتَ تُرَاثَ الأَحْوَصَيْنِ فَلَمْ يَضِعْ … إِلَى ابْنَيْ طُفَيْلٍ مَالِكٍ وَعَقِيلِ(2)

ولقد ذكر الحطيئة اسم عامر في مطلع قصيدته الميمية، ووصفه بالمجد والكرم، وأنه سيتفوق لو كان منافره غير عَلْقَمَة بن عُلاثَة، يقول في ذلك:

يَا عَامِ قَدْ كُنْتَ ذَا بَاعٍ وَمَكْرُمَةٍ … لَوْ أَنْ مَسْعَاةَ مَنْ جَارَيْتَهُ أَمَمُ(3)

فالحطيئة لم يهجُ عامراً كما فعل الأعشى مع علقمة، وهذا يدعو إلى التساؤل والتعجب؛ لأن الحطيئة قد اشتهر بالهجاء حتى أنه حين لم يجد أحداً يهجوه هجا نفسه، وعَامِر بن الطُّفَيْل فيه صفات يمكن أن يعتمد عليها الحطيئة في الهجاء، فهو أعور وعقيم، ويعتدي على الحرمات، لكن الحطيئة تجنب أن يهجوه بشكل واضح، ولعلّ ذلك يرجع إلى أن الحطيئة يخشى عَامِر بن الطُّفَيْل وسطوته، ويقدر أنه قد يضطر يوماً إلى مدح عامر مثلما حدث للأعشى حين وقع بين يدي علقمة فمدحه بأبيات.

لقد عرّض الحطيئة بعامر بطريقة غير مباشرة في قوله:

وما جُعِلَ الصُّعْرُ اللِّئَامُ خُدُودُهَا … كَآدَمَ قَلباً مِنْ بَنَاتِ جَدِيلِ(4)

---

(1) ديوان الأعشى: 185.

(2) ديوان الحطيئة: 9.

(3) المصدر نفسه: 16.

(4) ديوان الحطيئة: 9. الصُّعُر: ميل في الوجه أو أحد الشقّين أو داء يصيب البعير. آدام: الإبل ذات اللون الأبيض المشرب بالسواد، وهو كناية على الأصالة

جَدِيل: فحل كان للنعمان بن المنذر. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «صعر» و«أدم» و«جدل».

فالحطيئة يصور عَامِرِ بن الطُّفَيْل بالإبل الدنيئة الخسيسة المصابة بالصُّعْر، وبهذا يصفه بالتكبر والخيلاء، وهو مما أخذ على عَامِرِ بن الطُّفَيْل(1).

وإذا كنا قد عرضنا الهجاء والمدح في شعر كل من الأعشى والحطيئة؛ فإننا نجد في قصيدتي نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى والنابغة الذبياني الثنائية نفسها المتمثلة في المدح والهجاء، ولكن يغلب على قصيدتي نُفَيْل والنابغة المدح؛ لأنهما قالا القصيدة بعد أن شُكِكَ في حكمهما مما دعاهما إلى إبراز صفات من نفّروا.

ونقف على قصيدة نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى، وهو الحكم المُنَفِّر في منافرة عبد المطلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة، وقال قصيدته بعد أن شكك حَرْب بن أُمَيَّة في حكمه، وهدَّده، فقصيدته بذلك جاءت لتسوّغ أسباب تنفيره لعبد المطلب، إذ مدحه ووصف قومه بعروق الثَّرى وأهل المجد، ووصفه بالنور الذي يستضاء به، يقول:

وَهُمْ عروق الثَّرَى مِنْهُمْ أَرُومَتُنَا ... مَا جَادَى اليَوْمَ فِي تَرْبَائِهِمْ ضَرَعُ(2)

ولقد قارن نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى بين حَرْب بن أُمَيَّة وعبد المطلب بن هاشم، فقال:

يَا حَرْبُ مَا بَلَغَتْ مَسْعَاتُكُمْ هَبَعا ... تَسْقِي الحَجِيج وَماذَا يَحْمِلُ الهَبَعُ

أَبُوكُمَا وَاحِدٌ وَالفَرْعُ بَيْنَكُمَا ... مِنْهُ الخِشَاشُ وَمَنْه النَّاضِرُ اليَنَعُ(3)

إن نُفَيْلاً يرى حَرْب بن أُمَيَّة مقصراً عن بلوغ ما وصل إليه عبد المطلب بن هاشم، ومقصراً عن بلوغ مسعى الحمار الذي يسقي الحجيج، وما يحمله الحمار قليل، ومع أن أصلهما واحد إلا أن عبد المطلب بن هاشم تحلى بالمكارم، ودافع عن عرضه وشرفه، ويوجه نفيل حديثه إلى حَرْب بن أُمَيَّة قائلاً:

---

(1) انظر: الأصفهاني – الأغاني، 16: 286.

(2) محمد بن حبيب – المنمق: 96. الشطر الثاني غير صحيح الوزن: ولعله «ما جادني اليوم في تربائهم ضرع». عِرْق الثرى اسم إسماعيل عليه السلام، والثَّرى: الخير. الضَّرَع: الإنسان الضعيف والناحل. والتَّرْباء: وادي قرب مكّة. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة «ثرى» و«ضرع» و«ترب».

(3) محمد بن حبيب – المنمق: 97. الهبع: هبع يهبع وهو مشي الحمار البليد فهو هبع. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «هبع».

فَاعْرِفْ لِقومٍ هُمُ الأَرْبَابُ فَوْقَكُمُ   لا يُدْرِكَنَّكَ شَرٌّ مَالَهُ دَفَعُ
هُمُ الرُّبَى مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَرُومَتِهَا   وَالمَطْعِمُونَ إِذَا مَا مَسَّهَا القِشَعُ(1)

لقد وصف نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى بني هاشم بالأرباب وبأنهم هم ذروة قريش؛ لأنهم يطعمون، ويقومون بأعباء مثل سقاية الحجيج، إذن فثنائية المدح والهجاء واضحة في قصيدة نُفَيْل لكن المدح يغلب على القصيدة، لأن نُفَيْلاً قصد أن يوضح لحَرْب بن أُمَيَّة وغيره أسباب تنفيره لعبد المطلب.

أما النابغة الذُّبياني وهو الحكم المُنَفِّر في منافرة محمد بن أُحيحة بن الجُلاح والزِّبْرقان ابن بدر؛ فقد قال قصيدته النونية ليردّ على قوم من بني تميم توعدوه، لأنه نفر محمد بن أُحيحة على الزِّبْرقان بن بدر. ولا نجد اختلافاً كبيراً بين قصيدتي النابغة الذبياني ونُفَيْل ابن عَبْد العُزَّى، وقد ركّز الاهتمام فيهما على مدح النافر، فكلاهما حكم مُنَفِّر يسوغ للآخرين أسباب تنفيره بقصيدة تروى، ولكننا نجد أن المقارنة بين المتنافرين تتضح أكثر في قصيدة نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى.

لقد اهتم النابغة الذبياني في قصيدته بمآثر قوم محمد بن أُحيحة، وهو – أي محمد – من الأوس، من أولاد ثعلبة بن عمرو بن عامر، وعمرو بن عامر ملك من ملوك غسّان(2)؛ لذا أشاد النابغة بأصله الذي ينتمي إلى غسّان، فمحمد بن أُحيحة إذن من سلالة الملوك، وفي ذلك يقول النابغة:

يَرِدُونَ جَفْنَةَ سَيِّدًا مِنْ يَعْرُبٍ   عَمْرو بنُ عَامِرٍ سَيِّدُ الأَزْمَانِ

...

وَكَذَلِكَ الجُلاحُ فِي أَيَامِهِ   يَهَبُ الجِيَادَ وَخَالِصَ العِقْيَانِ

...

(1) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 98. القِشَع: السحاب الذاهب، وقيل رياح الشمال. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة «قشع».

(2) انظر: ابن دريد – الاشتقاق: 435. وانظر: ابن رشيق – العمدة، 2: 948.

وَمُـحَـمَّـدٌ أَعْـطَـى وَأَطْـعَـمَ مُـسْـغِـبـاً	بِـفِـنَـاءِ مَـكَّـةَ قَـالَـهُ المَلَـوَانِ(1)

يمتدح النابغة قوم محمد بن أحيحة؛ لأن أصلهم من سلالة الملوك، ويصفهم بالجود والكرم، وهم يهبون الجياد والذهب، ويقيمون الموائد العظيمة، ويقارن بين أصل محمد ابن أُحيحة والزِّبْرقان بن بدر، قائلاً:

شَـتَّـانَ مَـنْـسُـوبٌ إِلَـى جَـوْزِ الـفَـلا	وَمُـحَـمَّـدٌ يـنْـمِـي إِلى الـتِّـيـجَـانِ(2)

إن النابغة الذبياني في البيت السابق ينسب المتنافرين إلى أصلهما، فالزِّبْرقان ينسبه إلى الصحراء، فهو بدوي، بينما ينسب محمد بن أحيحة إلى ملوك غسان، وفي هذا ذمّ غير مباشر للزِّبْرقان، ومدح لمحمد بن أُحيحة.

نستطيع أن نقول إن بنية القصيدة في شعر المنافرات تقوم على المدح والهجاء، وأحد الغرضين قد يطغى على الآخر في قصيدة دون أخرى؛ لأسباب منها: علاقة الشعراء بالمتنافرين، ودورهم في المنافرة، فالأعشى والحطيئة اهتمّا بمدح من يناصرانه من المتنافرين، وهجاء المتنافر الآخر، وانفرد الأعشى في شعره في منافرة علقمة وعامر بالفخر بقومه؛ لأنه حوّل هجاءه لعلقمة إلى هجاء لقوم علقمة وهم بنو الأحوص، و لم يكتفِ بمدح بني مالك قوم عَامِرِ بن الطُّفَيْل، ولكنّه افتخر بقومه أيضاً ربما ليرد على تهديد علقمة له، في حين اهتم حكّام المنافرات بتسويغ حكمهما في المنافرة مما اقتضى مدح النافر المنتصر.

3. اللغة

ترد في قصائد المنافرات ألفاظ تدل على المنافرة ودور الحكّام فيها، ومن هذه الألفاظ:

(1) ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 137. جَفْنَة: هم بنو عمرو مُزَيْقياء بن عامر من ملوك الشام. انظر: ابن دريد – الاشتقاق: 435. العِقْيان: الذهب. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «عقا».

(2) ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: 137.

- (حكمتُ[1]، حُكْمي[2]، حكّمتَني[3]، حكّمْتُموني[4]، حكمه[5]، الحكم[6]، الحكومة[7]، حكم[8]، الحكام[9]، كاهن[10]، قضى[11]، قضائي[12]).

(الخصمان[13]، النافر[14]، المنفور[15]، مُقْسِط[16]، الخاسر[17]). (الحق[18]، العدل[19]، الفصل[20]، الرشوة [21]).

كما ترد في القصائد ألفاظ تدل على كرم النسب:

---

(1) ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 137.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) ديوان الأعشى: 185.

(4) المصدر نفسه: 177.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المصدر نفسه: 185.

(8) المصدر نفسه: 179.

(9) ديوان الحطيئة: 9.

(10) المصدر نفسه: 16.

(11) ديوان الأعشى: 177 و179.

(12) المصدر نفسه: 179.

(13) ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: 137.

(14) ديوان الأعشى: 177.

(15) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(16) ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: 137.

(17) ديوان الأعشى: 179.

(18) ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: 137.

(19) ديوان لبيد بن ربيعة: 343.

(20) ديوان الحطيئة: 9.

(21) ديوان الأعشى: 177.

– (سدتَ[1]، ساد[2]،سادة[3]، سادوك[4]، كابر[5]، السؤدد[6]، الأرباب[7]).

– (العزة[8]، فخر[9]، الفاخر[10]، الكاثر[11]،العلا[12]).

– (عــرض[13]، أبـويـكـم[14]، أبـوكـمـا[15]، آبـائـهـم[16]، أهـلـهـم أهـلـي[17]، نسل...نسلي[18]).

---

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(6) المصدر نفسه: 179.

(7) محمد بن حبيب – المنمق: 98.

(8) ديوان الأعشى: 179.

(9) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(10) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(11) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(12) المصدر نفسه: 178.

(13) ديوان الحطيئة: 9.

(14) ديوان الأعشى: 185.

(15) محمد بن حبيب – المنمق: 97.

(16) ديوان لبيد بن ربيعة: 343.

(17) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(18) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

– (مجد[1]، ماجد[2]، كـريم[3]، فاضل[4]، مكرمة[5]، الباع[6]، أرمة[7]، تراث[8]، أثيل[9]، فضل[10]، مكارم[11]).

ونجد ذكراً لأسماء المتنافرين ومناصريهم وأسماء القبائل، ومنهم:

– (عَلْقَمَة بن عُلاثَة[12]، عَامِر بن الطُّفَيْل[13]، مـالك بـن الطفيل[14]، عـمرو بن عامر[15]، عقيل بن الطفيل[16]، حرب[17]، شيبة الحمد[18]؛ وهو لقب عبد المطلب بن هاشم، محمد بن الجلاح[19]، الجلاح[20]، عبد عمرو[21] «من بني

---

(1) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 96.

(2) ديوان الحطيئة: 8 و9 و16.

(3) المصدر نفسه: 9.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه: 16.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 96. وانظر: ديوان الحطيئة: 16.

(8) ديوان الحطيئة: 9.

(9) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(10) ديوان الحطيئة: 8.

(11) ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 137.

(12) ديوان الأعشى: 177 و179 و181 و185.

(13) المصدر نفسه: 177. وانظر: ديوان الحطيئة: 16.

(14) ديوان الحطيئة: 9و16.

(15) المصدر نفسه: 9. وانظر: ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: 137.

(16) ديوان الحطيئة: 9.

(17) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 97.

(18) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(19) ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: 137.

(20) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(21) ديوان الأعشى: 185.

الأحوص»، جعفر بن كلاب[1]).

- (بنو الأحوص[2]، بكر بن وائل[3]، بنو مالك[4]، مَعَدّ[5]، قريش[6]، قحطان[7]، غسان[8]، كلاب[9]).

كما جاءت في المنافرات ألفاظ تدل على العلوّ مثل:

- (يرتقوا[10]، يرقى[11]، فوقها[12]، فوقكم[13]، أعلى[14]، الرُّبى[15]، نِيْق[16]، العلا[17]، شمّ[18]، شوامخ[19]).

ونجد ألفاظاً تدل على الكثرة، مثل:

---

(1) ديوان الأعشى: 179 و185.

(2) ديوان لبيد بن ربيعة: 343. وانظر: ديوان الأعشى: 177 و185.

(3) ديوان الأعشى: 185.

(4) المصدر نفسه: 179.

(5) محمد بن حبيب – المنمق: 96.

(6) المصدر نفسه: 98.

(7) ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية:137.

(8) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(9) ديوان الحطيئة: 16.

(10) المصدر نفسه:9.

(11) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(12) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(13) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 98.

(14) المصدر نفسه:96.

(15) المصدر نفسه: 98.

(16) المصدر نفسه: 96.

(17) ديوان الأعشى: 187.

(18) ابن الجون الأشعري – مصدر سابق: 137.

(19) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

– (أربى[1]، أكثر[2]، زاخر[3]، زادوا[4]، زدتَ[5]).

ونجد ألفاظاً تدل على التضاد، مثل:

– (بادٍ «بادي»– حاضر[6]، وارد – صادر[7]، المنفور – النافر[8]، السِّلم – الهيجاء[9]، جاش – ساجٍ[10]).

ويرد في قصائد المنافرات اسم الفاعل كثيراً، مثل:

– (نازل[11]، ماجد[12]، الواهب[13]، الناقض[14]، اللابس[15]، كابر[16]،

---

(1) ديوان الحطيئة: 8.

(2) ديوان الأعشى: 179.

(3) المصدر نفسه: 177.

(4) المصدر نفسه: 185.

(5) المصدر نفسه: 187.

(6) ديوان الأعشى: 181.

(7) المصدر نفسه: 179.

(8) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(9) المصدر نفسه: 183.

(10) المصدر نفسه: 187.

(11) ديوان الحطيئة: 8.

(12) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(13) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(14) ديوان الأعشى: 177.

(15) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(16) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

السامع[1]، ضاحك[2]، الوارد[3]، نائل[4]، غافل[5]، الواني[6]، عالم[7]، سامع[8]، سادر[9]، باد[10]، سابح[11]، صارم[12]، باسلة[13]، المطعمون[14]، الجاعلون[15]، الشافعون[16]، التاجر[17]، السامر[18]، الناظر[19]، وغيرها من الكلمات التي وردت في رائية الأعشى في القافية خاصة[20]).

مما سبق نلاحظ أن معجم قصائد المنافرات يدور حول الافتخار بالنسب، وأن أسماء المتنافرين وقبائلهم ترد كثيراً، وأن الشعراء يعمدون إلى اختيار الألفاظ الدالّة على التضاد

---

(1) ديوان الأعشى: 177 و181.

(2) المصدر نفسه: 177.

(3) المصدر نفسه: 179.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه: 181.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(8) المصدر نفسه، الصفحة نفسها و177.

(9) المصدر نفسه: 188.

(10) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(11) المصدر نفسه: 183.

(12) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(13) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(14) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(15) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(16) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(17) المصدر نفسه: 175.

(18) المصدر نفسه: 177.

(19) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(20) المصدر نفسه: 175 – 183.

والكثرة والعلو؛ لأن الشاعر يحاول أن يثبت أن من يناصره أفضل من خصمه، ويستعمل اسم الفاعل لذلك، وينفي الصفات الحميدة عن خصم منافره.

وعند تأمل الأساليب في قصائد المنافرات نجدها متنوعة، وأكثرها دوراناً أسلوب النفي والشرط، ويكثر أسلوب النفي لأن الشاعر مهتم في المنافرات بإثبات الصفات الكريمة والمآثر لمناصره من المتنافرين، وينفي عنه كل المساوئ والمثالب، ويعمد إلى عكس ذلك مع خصم منافره.

عند قراءة رائية الأعشى نجد أن أسلوب النفي يطغى على بقية الأساليب في هجائه لعَلْقَمَة بن عُلاثَة؛ ليسلبه كل الفضائل والمآثر، ونقف عند بعض الأبيات التي كثر فيها أسلوب النفي عند الأعشى في هجائه لعلقمة، وهي:

ولست بالأَكْثِرِ مِنْهُمْ حَصَىً ... وَإِنَّمَا العِزَّةُ لِلْكَاثِرِ

وَلَسْتَ في الأَثْرَيَنِ مِنْ مالِكٍ ... وَلا أَبي بَكْرٍ ذَوِي النَّاصِرِ

وَلَسْتَ في السِّلْمِ بِذِي نَائِلٍ ... وَلَسْتَ في الهَيْجَاءِ بِالجَاسِرِ(1)

ولا يقصر الأعشى أسلوب النفي على الهجاء، وإنما يمدح نفسه بادعاء تحكيمه باستخدام النفي؛ لكنّه يكثر من أسلوب النفي في الهجاء ولاسيما مع الفعل الناقص «ليس»، ومن ثمّ فقد سلب الأعشى علقمة الفضائل النفسية وهو أجود الهجاء، ومن هذه الفضائل التي سلبه إياها الكرم والشجاعة والقوة والثراء وغيرها من الصفات، ونجد أن الحطيئة يستخدم أسلوب النفي أيضاً في التعريض بأبناء طفيل، يقول:

وَرِثْت تُرَاث الأَحْوَصَيْن فَلَم يَضِعْ ... إِلَى ابْنَي طُفَيْل مَالِك وَعَقِيلِ(2)

أما الأسلوب الأخير الذي ورد بكثرة في قصائد المنافرات فهو أسلوب الشرط، ولقد كثر لأن الشعراء رغبوا في إظهار من يناصرون من المتنافرين، وخصومهم في الأحوال جميعها؛ ليثبتوا أن من يناصرونه يتقدم على خصمه، ومما جاء من أسلوب الشرط في شعر

(1) ديوان الأعشى: 179.

(2) ديوان الحطيئة: 9.

الحطيئة، قوله:

إِذَا قَايَسُوه المَجْد أَرْبَى عَلَيْهُمُ بِمُسْتَفْرِغ مَاء الذِّنَاب سَجِيلِ
وَإِن يَرْتَقُوا فِي خُطَّة يَرْق فَوْقَهَا بِثَبْت عَلَى الضَّاحِي المَزِل رَجِيلِ[1]

ويقول:

فَإِن عُد مَجْدٌ فَاضِلٌ عَدَّ مِثْلَهُ وَإِن أَثَّلُوا لاقَاهُم بِأَثِيلِ[2]

مما سبق يتضح أن الحطيئة يصف عَلْقَمَة بن عُلاثَة بالتفوق على من يحاول مجاراته في الفضائل والمجد؛ ولذا يستخدم أسلوب الشرط ليصور علقمة ومن يجاريه في الفضل في حالات ومجالات مختلفة للمجد.

نجد أسلوب الشرط عند الأعشى أيضاً في قوله:

إِنِّي رَأَيْت الحَرْب إِن شَمَّرَتْ دَارَت بِك الحَرْب مَع الدَّائِرِ[3]

وظف الأعشى في البيت السابق أسلوب الشرط ليبين رأيه فيما سيحدث لو وقعت حرب، حيث لن يكون عَلْقَمَة بن عُلاثَة إلا مغلوباً خاسراً، ويؤكد هذا المعنى في قصيدته الصادية في قوله:

فَإِن يَلْق قَوْمِي قَوْمَه تَر بَيْنَهُمْ قِتَالا وَأَكْسَار القَنَا وَمَدَاعِصَا[4]

فالأعشى يرى في البيت السابق أن قومه لو التقوا بقوم علقمة فلن تكون نتيجة الحرب إلا هزيمة قوم علقمة، كما وظف الأعشى الأساليب الإنشائية للسخرية من علقمة، والنظر إليه نظرة دونية؛ لذا أكثر من استخدام أسلوب الأمر والنهي عند حديثه إلى علقمة، فهو أشبه بطفل صغير أو عبد يحتاج إلى توبيخ ولوم:

---

(1) ديوان الحطيئة: 8.

(2) المصدر نفسه: 9.

(3) ديوان الأعشى: 181.

(4) المصدر نفسه: 187.

– أسلوب الأمر: (انْظرْ[1]، اسمعْ[2]، فاقْنَ[3]).

– أسلوب نهي: (لا تسفهْ[4]، لا تجعلْن[5]).

ومما يؤكد أن الأعشى ينظر إلى علقمة نظرة دونية قوله:

فَهَل كُنْتُم إلا عَبِيدًا وَإِنَّمَا تُعَدُّون خُوصًا في الصَّدِيق لَوَامِصَا[6]

مما سبق نلاحظ أن أكثر الاستشهاد يأتي من شعر الأعشى؛ لأن عدد أبيات شعره في منافرة علقمة وعامر خمسة وثمانون بيتاً، في حين أن عدد أبيات قصيدتي الحطيئة واحد وثلاثون بيتاً، فالظواهر الفنية للمنافرات بذلك تتضح أكثر في شعر الأعشى من شعر الحطيئة.

4. التصوير:

لقد كثرت الصور الفنية في شعر المنافرات؛ ولجأ إليها الشعراء لتقريب الفكرة إلى أذهان الناس، ولاسيما أنها تناولت في تصويرها بعض مظاهر الحياة اليومية، مثل التشبيه التالي في شعر الحطيئة:

وَجُرْثُومَة لا يَقْرُب السَّيْل أَصْلَهَا فَقَد صَد عَنْهَا المَاءُ كَل مَسِيل[7]

فالحطيئة يشبه مجد علقمة بالجرثومة، وهو أصل الشجرة، ولعله اختار الجرثومة ليشير إلى كرم نسب علقمة وقومه، وقد جعل السيل لا يستمر في جريانه إن تحدر إلى أصلها،

(1) ديوان الأعشى: 181.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه: 179.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(6) ديوان الأعشى: 187. الخُوص تعني النقص، ومن يأخذ ما يعطيه للآخرين. اللَّوامِص المغتابون. انظر ابن منظور – لسان العرب، مادة «خوص» و«لمص».

(7) ديوان الحطيئة: 9.

فهو يحتبس؛ لأن جذور هذه الشجرة ضاربة في الأرض بحيث يصعب على السيل اقتلاعها، فإن غامر السيل وحاول فإنه يتوقف عن الجريان وينحبس، فلا يعود سيلاً بعد ذلك.

وقد شبه المتنافر في بعض شعر المنافرات بالنور والمصباح، كما جاء في قول نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى مادحاً عبد المطلب بن هاشم:

وَشَيْبَــة الحَمْد نُور يُسْتضَاء بِهِ إِذَا تَـخَـطَّـا إِلى المَشْـبُـوبَـة الفَـزَعُ

وَرَاحَــتْ الشَّــوْلُ جَــذْباً في مَراتِعِهَا حَوْلَ الفَنِيق رَسِيلاً مَا لَـهُ تَبَـعُ(1)

فنُفَيْل بن عَبْد العُزَّى يشبه عبد المطلب بن هاشم بالنور، وهذا التشبيه له دلالة مادية تتمثل في جمال عبد المطلب ووسامته، ومعنوية تتمثل في دور عبد المطلب بين قومه، ولو اكتفى نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى بتشبيه عبد المطلب بالنور لكانت الصورة مألوفة؛ لكنّه وصفه بالنور الذي يحتاج إليه الناس، إذا كانت النار الموقدة تتحرك كثيراً بفعل الريح، ودور عبد المطلب في قبيلته يتأكد من خلال البيت الثاني، فهو مثل الفحل المكرّم الذي لا يركب ولا يؤذى، وهذا يدل على الدور البارز الذي اضطلع به عبد المطلب بن هاشم بين قومه.

وفي شعر المنافرات نجد صوراً فنية تبنى على أساس المقارنة بين المتنافرين، وهي تعتمد على بنية قصيدة المنافرة، إذ يمدح الشاعر من يناصره، ويهجو خصم من يناصر. فالشاعر يعمد إلى وصف من يناصره مادحاً إيّاه، ويصف خصم منافره ذامّاً له، من خلال التصوير الفني ونجد هذه الصور لدى الشعراء، لكنّها تكثر عند الأعشى؛ لطول قصيدتيه في المنافرات علاوة على أنه ركز اهتمامه على مدح عَامِر بن الطُّفَيْل وهجاء عَلْقَمَة بن عُلاثَة، في حين ركز بقية الشعراء وهم الحطيئة ونُفَيْل بن عَبْد العُزَّى والنابغة الذبياني اهتمامهم على مدح المنافِر الذي يناصرونه مع التعريض بخصم من يناصرونه.

ومن الصور الفنية التي تقوم على المقارنة بين المتنافرين قول الأعشى مصوراً حال

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 97. الفَنِيق: الفحل المكرم الذي لا يؤذي ولا يركب لكرامته، جمعه الفُنُق وأَفْناق. الرَّسِيل: الفحل العربي يرسل في الشول ليضربها. انظر ابن منظور – مصدر سابق، مادة «فنق» و«رسل».

عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِر بن الطُّفَيْل:

مَـا يُـجْـعَـلُ الجُـدُّ الـظَّـنَـونُ الـذِّي **جُـنِّـبَ صَـوْبَ الـلَّـجِـبِ الـزَّاخِـرِ**

مِـثْـلَ الـفُـرَاتِـيِّ إِذَا مَـا طَـمَـا **يَـقْـذِفُ بِـالـبُـوصِـيِّ وَالمَـاهِـرِ**(1)

وتقوم الصورة في البيتين السابقين على أساس المقارنة، فبعد البيتين اللذين وضّح فيهما الأعشى أن سيادة عَلْقَمَة بن عُلاثَة محصورة في بني الأحوص في حين أن سيادة عَامِر بن الطُّفَيْل قد امتدت على بني عامر كلهم ومنهم بنو الأحوص؛ لذا صوّر الأعشى سيادة علقمة المحصورة في بني الأحوص بالبئر التي لا يعرف إن كان فيها ماء قليل أم لا، وقد جنّب أيضاً الماء الزاخر للدلالة على أن خير علقمة محدود وسيادته محصورة، بينما صوّر عَامِر بن الطُّفَيْل بالفرات الزاخر الذي يجيش فيقذف بالطمي والسبّاح الماهر، فهو مصدر الخير للناس، وسيادته شاملة للجميع.

ومن الصور الفنية الأخرى التي تقوم على المقارنة قول الأعشى:

أَتُـوعِـدُنِـي أَنْ جَاش بَحْر ابْن عَمِّكِمْ **وَبَحْرُك سَاج لا يُوارِي الدَّعَامِصَا**(2)

يصوّر الأعشى عامراً بالبحر الذي يضطرب، وهذا التصوير يحمل عدة دلالات منها الخير والعطاء والقوة، ويدل أيضاً على الحركة والحيوية، وبهذا فإن عامراً مصدر خير وكرم وحياة لقبيلته وقومه، على خلاف علقمة الذي يصوره الأعشى بالبحر الراكد الساكن والميت الذي لا تنمو فيه أحقر الديدان، وبهذا فخير علقمة محدود ولا دور له بين قومه، فهو خامل الذكر.

وممن وظّف الصور الفنية القائمة على المقارنة الحطيئة، وذلك في قوله:

بَنِي مَالِك إِذ سُـد كُـلُّ سَـبِـيـلِ **فَـصُـدُّوا صُدُود الوَانِي أَبْقَى لِعِرْضِكُمْ**

كَآدَم قَلْبا مِن بَنَات جَدِيـلِ(3) **وَمَـا جُـعِـل الصُّعْر اللِّئَام خُدُودُهَا**

(1) ديوان الأعشى: 177. الجُد الظَّنُون: البئر القليل الماء. البُوصِيّ: الملاح. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «بوص» و«ظن».

(2) ديوان الأعشى: 178.

(3) ديوان الحطيئة: 9.

هنا يشبه الحطيئة عَامِر بن الطُّفَيْل بالإبل الدنيئة الخسيسة المصابة بالصعر، وهو داء يصيب البعير فيلوي عنقه، وهذه إشارة إلى ما اتصف به عامر من التكبر والخيلاء، وفي المقابل يصور علقمة بالإبل الأصيلة البيضاء، وهي من بنات جديل. وهو فحل للنعمان بن المنذر وهي بهذا من الإبل الأصيلة الكريمة السلالة مع ملاحظة أن الحطيئة لم يذكر الأسماء صراحة في تصويره مثل الأعشى؛ لكنّنا نستطيع تلمس ذلك من خلال سياق القصيدة، فالبيت السابق لهذا البيت يؤكد ما نذهب إليه، حيث يطلب فيه الحطيئة من بني مالك أن يتوقفوا عن هذه المنافرة التي سيخسرونها حتماً، وليحافظوا على أعراضهم وأنسابهم.

وممن عمد إلى المقارنة بين المتنافرين من خلال الصورة الفنية نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى، فقارن بين حَرْب بن أُمَيَّة وعبد المطلب بن هاشم حين احتكما إليه فقال:

أَبُوكُمَا وَاحِد وَالفَرْع بَيْنَكُمَا مِنْهُ الخِشَاشُ وَمَنْه النَّاضِر اليَنِعُ[1]

شبّه نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى المتنافريْن بشجرة واحدة؛ لأنهما من أصل واحد، وفي هذه الشجرة فرعان، الخِشَاش وهو العود الذي يوضع في أنف الناقة، والفرع الناضر الينع، ولعلّه شبّه حَرْب بن أُمَيَّة بالخِشَاش؛ ليقلل من قدر حَرْب بن أُمَيَّة ويصغّره بينما يصف عبد المطلب بن هاشم بالفرع الناضر الينع، فهو يسرّ الناظر إليه، وينتفع منه، مشيراً بذلك إلى دور عبد المطلب الكبير في قبيلته.

ولابد أن نشير إلى أن هذه الصور الفنية مستقاة من بيئات عدّة، بعضها يمثل البيئة الصحراوية، ونجد ذلك في شعر الحطيئة ونُفَيْل بن عَبْد العُزَّى، بينما نجد عدة بيئات مختلفة في شعر الأعشى؛ لأنه سافر وتنقل كثيراً مما جعله يختزن المناظر التي يبصرها، فيوظفها في شعره، ومن هذه البيئات:

1– البيئة الزراعية: تتجلى البيئة الزراعية في الصورة من خلال تشبيهه علقمة بحثالة التمر، حيث يقول:

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 97.

فَلَو كُنتُم نَخْلا لَكُنْتُم جُرامَـةً   وَلَو كُنتُم نَبْلا لَكُنْتُم مَعَاقِصَا(1)

2- البيئة البحرية: وتتجلى معالم الصورة البحرية كثيراً في شعر الأعشى، حيث شبه عامراً بالبحر المضطرب الذي يجيش بالخير، قال:

أَتُوعِدُنِي أَن جَاش بَحْر ابْن عَمِّكُمْ   وَبَحْرُك سَاج لا يُوَارِي الدَّعَامِصَا(2)

ويقول الأعشى مستغلاً معالم البيئة المائية في صورته التمثيلية:

مِـثْـلَ الـفُـرَاتِـي إِذَا مَا طَمَا   يَقْذِف بِالْبُوصِي وَالمَـاهِرِ(3)

3- البيئة الصحراوية: تظهر معالم البيئة الصحراوية في وصف الأعشى لمحبوبته مستخدماً لفظ المهرة لتشبيه محبوبته بها، يقول:

عَهْدِي بِهَا فِي الحَي قَد سُرْبِلَتْ   هَيْفَاء مِثْل المُهْـرَة الضَّامِرِ(4)

وتدلّ بعض الصور على اتصاله بالحضارات الأخرى مثل قوله:

كَدُمْيَـة صُوِّر مِحْرابُـها   بِمُذْهَب فِي مَرْمَر مَـائِرِ(5)

ثانياً: النثر

النثر الجاهلي الذي وصل إلينا قليل بالمقارنة مع ما وصلنا من الشعر؛ فلم يصلنا إلا عشر المنثور على الرغم من كثرته(6)، ومن أقسام هذا النثر الخطب والوصايا وسجع الكهّان، وبعض المنافرات والمفاخرات والأمثال.

أما ما وصل إلينا من نثر المنافرات فيتمثل في سجع الكهّان وخطبتين وحوار المتنافرين

(1) ديوان الأعشى: 187. وانظر في الصفحة نفسها البيت رقم 24.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه: 177.

(4) المصدر نفسه: 175.

(5) المصدر نفسه: 177.

(6) انظر: الجاحظ – البيان والتبيين، 1: 287.

وبعض الأمثال، ولابد من الإشارة إلى أن أخبار المنافرات لم تصل إلينا كاملة، فلا نجد أحياناً أخبار المتنافرين وأسباب المنافرة وظروفها، وخير مثال على ذلك منافرة سُبَيْع بن الحَرْث ومَيْثَم بن مُثَوِّب، ومنافرة قريش وخزاعة.

وسنقف عند أقسام النثر الجاهلي في المنافرات؛ لنعطي لمحة عامة عنها وعن أثرها في المنافرات ومضمونها، ثم نقف عند السمات الفنية للنثر.

أ- المضمون:

كثر سجع الكهّان في المنافرات، ولاسيما في منافرة قبيلة قريش، فقد احتكموا إلى الكهّان، ونجد السجع مرتبطاً بالكهان؛ لكثرة استخدامه في كلامهم، وورد أكثر سجعهم في المنافرات في القسم والأحكام، وعن ذلك قال الجاحظ: «كانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع»(1)، وهو من مطاعن الشعوبية على العرب(2).

وقد أقسم الكهّان بالله سبحانه وتعالى، وبالبيت الحرام، وبمظاهر الطبيعة، وبالأصنام، وعمدوا إلى تنفير أحد المتنافرين على الآخر دون مراعاة الأحداث التي قد تترتب على هذا الحكم، ودون النظر في صلات القربى التي تربط المتنافرين.

إن المنافرات والمفاخرات من أغراض الخطابة في العصر الجاهلي، علاوة على الوفادة والسفارات والمصاهرة والحث على الصلح وترك القتال، والتحريض على الحرب والنصح والإرشاد، وفي التهنئة والتعزية(3). وهناك خطباء مشهورون في الجاهلية منهم من بني تميم ضَمْرة بن ضَمْرة وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم، ومن خطباء إياد قس ابن ساعدة، ومن خطباء قريش هاشم بن عبد المطلب وأمية بن حرب ونُفَيْل بن عَبْد العُزَّى وعُتْبة بن ربيعة، ومن خطباء القبائل الأخرى عامر بن الظَّرِب العَدْواني وربيعة بن حُذار الأسدي(4).

---

(1) الجاحظ – البيان والتبيين، 1: 290.

(2) المصدر نفسه، 3: 6.

(3) انظر: جواد علي – المفصل، 8: 775. وانظر: شوقي ضيف – العصر الجاهلي: 214.

(4) انظر: الجاحظ – البيان والتبيين، 1: 306 وما بعدها.

مما سبق نجد أن بعضاً من هؤلاء الخطباء هم من حكّام المنافرات أيضاً؛ لكننا لا نظفر بأخبار عن خطب لهؤلاء الحكام في المنافرات، ولا نستغرب إن جاء سجع في تنفير هؤلاء الحكام، فهم خطباء والسجع يستخدم كثيراً في الخطابة.

لدينا خطبتان قيلتا في المنافرات، الخطبة الأولى لَمَرْثَد الخَيْر بن يَنْكَف بن مَعْدِيكَرِب، قالها للإصلاح بين سُبَيْع بن الحَرْث ومَيْثم بن مُثوِّب بن ذي رُعَيْن، فقد تنازعا رئاسة القبيلة، وتنافرا إلى مَرْثَد الخَيْر، فبيّن لهما عواقب التشاحن، وما تؤدي إليه من حروب وهلاك. ودعاهما إلى عدم قطع صلة الرحم، فهما من أب واحد وإن اختلفت الأم، فعليهما أن يتعظا بمن سبقهما، ممن لم يستمعوا إلى النصح، فجرّ ذلك عليهم هلاكا.

في خطبة مَرْثَد الخَيْر لا نستمع إلى صوت الخطيب فحسب، فالمتنافران ردا على خطبة الخطيب، وأولهما سُبَيْع بن الحرث، وهو يرى أن عداوة ذوي الأرحام لا ينفع معها الدواء؛ لأنها نابعة من الحسد الكامن في النفوس. وافتخر بعونه لأبناء أبيه ومنهم مَيْثم بن مُثوِّب، فهو يدافع عنهم، ويساعدهم عند العوز والمجاعة، ويعرض بأخيه فلا يراه عريقاً في نسبه رغم ادعائه ذلك. فلا يجد مَيْثَم بن مُثَوِّب إلا أن يرد على أخيه رداً يدل على رجاحة عقله، فهو يرى أن سُبَيْعاً أحق بالملامة لأنه ينال منه في المجالس، ويدحض مزاعم سُبَيْع، فهو وقومه يردون جميل أخيهم بمثله، ويفتخر بأصله، مبيناً أسباب الفخر وهي: كثرة العدد والمال، وهذه لا تنقصهم، فلم يتكبر أخوه عليهم ويفتخر! ثم يختم كلامه بالأحكام التي يقضى بها في مثل هذه الحال، وهي: الحرب أو السلم أو المسامحة.

إن مَرْثَد الخَيْر يختم خطبته بعد أن استمع إلى المتنافرين داعياً إياهم إلى المسامحة، ونبذ الأحقاد؛ لأنها السبيل الأمثل والأرشد، ويستشهد على ذلك بأبيات من الشعر منها:

وَلا تَجْنِيا حَرْباً تَجُرُّ عليكما	عَواقُبها يَوْماً من الشَّرِّ أَشأما
فإن جُناة الحَرْبِ للحَيْنِ عُرْضةٌ	تُفَوِّقُهم منها الذُّعَاف المُقَشَّما
حَذَارِ فلا تَسْتَنبِثُوها فإنها	تُغادِرُ ذا الأنف الأَشَمّ مُكَشَّما(1)

(1) القالي– الأمالي، 1: 93.

لقد انتهت هذه المنافرة بالإصلاح بين المتنافرين.

وأما الخطبة الثانية في المنافرات فهي خطبة هاشم بن عبد مناف للإصلاح بين قبيلة قريش وقبيلة خزاعة، وبدأ خطبته بتوضيح نسب قريش، فهم من آل إبراهيم وذرية إسماعيل عليهما السلام، وبذلك ذكر المستمعين له بمكانة قريش، وبحقوق المتحالفين، ونصحهم باكتساب المعروف والمجد، وبالتحلي بمكارم الأخلاق.

إننا عندما نتأمل الخطبتين نجد أن خطبة مَرْثَد الخَيْر تميزت بتسلسل الأفكار، وبترتيب منطقي، حيث بدأ خطبته، بتوضيح عواقب الإصرار على المضي في طريق الشر، وضرب للمتنافرين مثلاً ممن سبقهما، وما صاروا إليه من حال، داعياً إياهما إلى التسامح والتصالح قبل استفحال الأمر بينهما. ولا يخلو كلام المتنافرين من تسلسل الأفكار وتنظيمها، واستخلاص النتائج منها في نهاية القول، ونجد ذلك واضحاً في رد ميثم بن المثوب الذي ختم كلامه بقوله: «مَقَاطع الأمور ثلاثة: حَرْبٌ مُبِيرةٌ، أو سِلْم قَرِيرةٌ، أو مُدَاجاة غَفِيرة»(1).

تبدو خطبة هاشم بن عبد مناف للوهلة الأولى مشتتة الأفكار، وأن قائلها قد ارتجلها من دون تفكير؛ لكننا نجد أن هذه الخطبة تتميز بترتيب أفكارها في الفقرة الأولى التي وضح فيها مكانة قريش أو دورهم، وفي بقية الخطبة يحرص على سرد مكارم الأخلاق، وأثرها في تعبيرات موجزة منها «الحلم شرف، والصبر ظَفَر، والمعروف كنز...، والجهل سفه، والأيام دُوَل، والدهر غِيَر، والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله»(2)، فالحلم يكسب الإنسان الشرف ومحبة الآخرين له، والصبر على الشدائد يؤدي إلى الظفر والنصر. هذه هي المكارم التي يدعو إليها هاشم بن عبد مناف لسببين؛ أولهما أن من طبع الأيام التغير والتبدل، وثانيهما أن الإنسان ينسب إلى فعله وعمله، وبهذا يمهد لما سيأتي في نهاية الخطبة حيث ينصحهم باكتساب المجد والمعروف. وبهذا تتشابه الخطبتان في

---

(1) القالي– الأمالي، 1: 93. مبيرة: مهلكة. ومُداجاة: مصالحة ومسامحة. انظر: القالي – الأمالي، 1: 94.

(2) الماوردي – أعلام النبوة: 160.

مضمونهما المتمثل في أن اللجاج يفضي إلى البغي والهلاك؛ لذا فإن الحكيم والحليم هو من اتعظ بمن سبقه، وأن الخير في المسامحة والمصالحة.

لقد شاعت بعض الأمثال التي قيلت في المنافرات، وخير نموذج على ذلك المثل الذي جاء على لسان هَرِمْ بن قُطْبَة حين ساوى بين عَامِرِ بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة، فقال: «أنتما كركبتي البعير»(1)، لكننا نجد التعبير بـ «هما كَرُكبتي البعير»(2) في كتب الأمثال. وقد يكون هذا التشبيه شائعاً ومتداولاً في الجاهلية؛ لأننا نجده عند أكثر من رجل ولاسيما في تحكيم المنافرات(3)، ولعله اكتسب شهرة حين قيل في منافرة علقمة وعامر، وهناك مثل آخر غير مشهور هو «هما كَعِكْمي العِير»(4)، ويضرب للرجلين المتساويين في الشرف والمكانة.

ويضرب المثل في عـدل هَرِم بن قُطْبَة فيقال: «أحكم من هَرِم بن قُطْبَة»(5)، وهناك مثل جاء على لسان عَامِرِ بن الطُّفَيْل، ولا نجده إلاّ في خبر الأصفهاني حيث يقول: «عنز وتيس، وتيس وعنز، فذهب مثلاً»(6). وبذلك لا تكون منافرة علقمة وعامر أكثر حظّاً في نقل أخبارها، ونقل أشعارها؛ بل وفي كثرة الأمثال فيها أيضاً.

ومن الأمثال التي قيلت في المنافرات: «الخيل مَيامين»(7)، وقيل المثل على لسان جَرِير ابن عبدالله البَجَلِيّ حين ركب الخيل من وَحْشِيِّهِ، «فقالوا: لم تُحْسِن تركب الفرس، فقال

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16: 292.

(2) الميداني – مجمع الأمثال، 3: 477.

(3) جاء التعبير عند سفيان بن حرب، انظر: الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 287. وعند قوم ربيعة بن حدار الأسدي، انظر: أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، 5: 30.

(4) ابن منظور – لسان العرب، مادة «عكم»، والعِكْمان هما عِدْلان يشدّان على جانبي الهودج بثوب.

(5) الميداني – مصدر سابق، 1: 395.

(6)الأغاني – مصدر سابق، 16: 286.« يريد مثلي ومثلك كالعير والتيس أو كالتيس والعنز؛ إذ التيس أقوى على النِّتاج من العنز»، المصـدر نفسه، حاشية رقم 3، ص286.

(7) الميداني – مصدر سابق ، 1: 437.

جرير: إن الخيل ميامين، وإنا نركبها من وجوهها»(1)، أي أن جريراً يركب الفرس من شقِّه الأيمن؛ لأن الخيل مباركة. وقد يأتي المثل على لسان الحكم المنفِّر ليرد على اعتراض المنفور الخاسر، ومنه المثل: «ما جُعِل العبد كَرَبِّه»(2)، وقد جاء على لسان ربيعة بن حُذار.

يمكن الحديث عن ثنائية المدح والهجاء في النثر؛ لأن المتنافر في حواره مع المتنافر الآخر يعمد إلى مدح نفسه، وهجاء المتنافر الآخر، وما وصلنا من حوار عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِرِ ابن الطُّفَيْل يثبت ذلك، وقد يدور حوار بين المتنافرين، يحاول فيه كلّ منهما أن يثبت أنه أفضل من الآخر، من دون أن يهجوه، مثل حوار القَعْقَاع بن مَعْبَد بن زرارة وخالد بن مالك النهشلي، وقد يأتي حديث المتنافرين رداً على خطبة الحَكَم كما في منافرة سُبَيَع بن الحَرْث ومَيْثم بن المُثوِّب عند مَرْثَد الخَيْر.

ولتأكيد ما سبق نقف عند فقرات من حوار عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِرِ بن الطُّفَيْل، وذلك ما نقله الأصفهاني: «فقال له علقمة: والله أني أعزّ منك؛ إني لبَر وإنك لفاجر، وإني لوفي وإنك لغادر... فقال علقمة: والله إنك لكليل البصر، نَكِد النظر، وثّاب على جاراتك بالسحر»(3). إن عَلْقَمَة بن عُلاثَة مدح نفسه بالبر والوفاء، وهجا عامراً واصفاً إياه بالفجور والغدر، وهتك حرمات الجار، وضعف البصر.

ولا يعني هجاء المتنافر لخصمه الآخر أن يسلبه صفاته جميعها، فهو يثبت له هذه الصفات، وينفي المتنافر ما يقال عنه، ومما قاله علقمة بن عامر في هذا السياق: «أنت رجل تقاتل، والناس يزعمون أني جبان، ولأن تلقى العدوّ وأنا أمامك أعز لك من أن تلقاهم وأنا خلفك. وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل، ولست كذلك»(4). وقد يثبت المتنافر لنفسه صفات سلبية غير مستحبة؛ لكنّها صفات جسدية لا يملك أن يغيرها، و لا أن ينكرها مثل قول عامر محاوراً علقمة: «بصري ناقص وبصرك صحيح... فقال

(1) أبوعبيدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، 1: 311.

(2) الميداني – مجمع الأمثال، 3: 258.

(3) الأصفهاني – الأغاني، 16: 286.

(4) المصدر نفسه، 16: 285.

علقمة: أنت رجل جسيم، وأنا رجل قَضِيف، وأنت جميل وأنا قبيح»[1].

ونجد في خطبة مَرْثَد الخَيْر أن ثنائية المدح والهجاء أيضاً تتجلى في رد سُبَيْع بن الحرث ومَيْثَم بن مُثَوِّب على مَرْثَد الخَيْر؛ لكنّنا لا نجد ذلك بتفصيل نظراً لكثرة الأفكار وإيجاز العبارات، ونقف عند رد سُبَيْع بن الحارث حين قال: «قد عَلِم بَنُو أبينا هؤلاء أنّا لهم رِدْءٌ إذا رَهِبوا، وغَيْثٌ إذا أجْدَبوا، وَعَضُدٌ إذا حاربوا، ومَفْزَعٌ إذا نُكِبوا، وإنا وإياهم كما قال الأوّل:

إذا مَا عَلَوا قالوا أبُونا وأمُّنا ... وليس لهم عالِين أُمٌّ ولا أب»[2]

يفتخر سُبَيْع بن الحرث على ابن أبيه بأنه يحميهم ويدافع عنهم، ويعطيهم في زمن المجاعة، وينكر عليهم أساس المنافرة وهو كرم الأصل وعراقة النسب، فيجعلهم غير أصيلين من ناحية الأب والأم، ويرد مَيْثَم بن مُثَوِّب على أخيه قائلاً: «ولا يَتَفَيَّأ لهم علينا ظلٌّ نعمة، إلا وقد قوبلوا بشَرْواها، ونحن بَنُو فَحْلٍ مُقْرِمٍ، لم تَقْعُد بنا الأمَّهات ولا بهم، و لم تَنْزِعْنا أعراقُ السُّوءِ ولا إياهم، فعلام مطُّ الُخدود وخَزَر العُيون، والجَخِيفُ والتَّصَعُّر والبَأْو والتكبر؟ أَلِكَثْرة عدد أم لفَضْل جَلَد، أم لطول مُعْتَقَد؟ وإنَّا وإياهم لكما قال الأوَّل:

لاه ابن عَمِّك لا أَفْضَلْت في حَسَبٍ ... عَني ولا أنت دَيَّاني فَتَخْزُوني»[3]

إن مَيْثَم بن مُثَوِّب يرد على ابن أبيه بأنهم يقابلون فضل أخيه وقومه بمثله، وهم كرماء النسب بسبب أبيهم، و لم يغض من هذا النسب انتماؤهم لأمهاتهم، ويستغرب من تكبر أخيه وقومه الذين ينظرون إليهم شَزْراً، وهم ليسوا أكثر من مَيْثَم بن مُثَوِّب وقومه من حيث العدد والمال، ولا أشدّ منهم تحملاً وجلداً، ويختم قوله ببيت مبيناً فيه أن أخاه وقومه لا يفضلون عليهم في الحسب، ويهجو ميثم أخاه وقومه فيصفهم بالتكبر وينفي

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16: 285.

(2) القالي – الأمالي، 1: 92.

(3) المصدر نفسه، 1: 92 – 93 ، الجَخِيف والبَأو: التكبر. لاه: أي لله ابن عمّك. الدَّيَّان: القهار. انظر: المصدر نفسه، 1: 94.

عنهم كثرة العدد والمال وشدة الاحتمال، ويفتخر بنسبه.

ب. اللغة:

يتشكل النثر في المنافرات من حقول دلالية متنوعة، وألفاظ مخصوصة تميزه عن غيره، ويمكن أن نجمل هذه الألفاظ فيما يأتي:

- ألفاظ تتعلق بالمنافرة: (تنافر[1]، نافرت[2]، فنفّر[3]، أنافرك[4]، تفضّل[5]، نتحاكم[6]، حاكمته[7]، لأنافرنّه[8]).
- وألفاظ تتعلق بالنسب مثل (الحسب[9]، آباء[10]، النسب[11]، أب[12]، أم[13]، أعمامي[14]، ابن عمك[15]، مُقْرِم[16]، عشيرة[17]).

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 95.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) الجاحظ – البيان والتبيين، 1: 290.

(4) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 105. وانظر: الأصفهاني – الأغاني، 16: 284 و285. ذكرت لفظة أنافرك خمس مرات.

(5) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 291.

(6) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 105.

(7) المصدر نفسه: 119.

(8) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 285.

(9) الأصفهاني – الأغاني، 16: 284. وانظر: الماوردي – أعلام النبوة: 160.

(10) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 285.

(11) المصدر نفسه، 16: 284.

(12) القالي – الأمالي، 1: 92.

(13) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(14) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 285 و286، ذكرت ست مرات.

(15) الأمالي – مصدر سابق، 1: 92.

(16) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(17) محمد بن حبيب – المنمق: 95. وانظر: الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 285. وانظر: الماوردي – مصدر سابق: 160.

– ألفاظ تتعلق بالمجد مثل(المجد (1)، شرف(2)، سؤدد(3)، رفعة(4)، السناء(5)، المآثر(6)، المفاخر(7)، الكرم(8)، المكارم(9)).

– أسماء المتنافرين وقومهم (سُبَيْع بن الَحرْث(10)، مَيْثَم بن مُثَوِّب(11)، سُويد بن زرارة(12)، منظور(13)، سيار(14)، بدر(15)،جابر(16)، ربيعة(17)، أبوعمرو(18)، مَعْبد(19)، زُرَارة(20)، شَيْبان(21)، محمد بن أُحيحة(22)، الزِّبْرقان

(1) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 108.

(2) المصدر نفسه: 108 و118. وانظر: أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، 5: 301.

(3) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 118.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه: 107.

(6) أبو العلاء صاعد البغدادي – مصدر سابق، 5: 299.

(7) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 107.

(8) المصدر نفسه: 107.

(9) المصدر نفسه: 114.

(10) القالي – مصدر سابق، 1: 92.

(11) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(12) أبو العلاء صاعد البغدادي – مصدر سابق، 5: 301.

(13) أبوعبيدة – الديباج: 97.

(14) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(15) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(16) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(17) أبو العلاء صاعد البغدادي – مصدر سابق، 5: 300.

(18) أبو عبيدة – مصدر سابق: 97.

(19) أبو العلاء صاعد البغدادي – مصدر سابق، 5: 301.

(20) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(21) المصدر نفسه، 5: 299.

(22) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: 136 – 137.

ابن بدر[1]، عُيَيْنة بن حِصْن[2]، زبَّان بن سيار[3])، ويرد اسم عَامِر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة كثيراً.

- أسماء القبائل مثل (بنو قُصيّ[4]، بنو مالك[5]، بنو الأحـوص[6]، بنو جعفر[7]، كِنَانِة[8]، قريش[9]، مُضَر[10]، بنو فَزَارَة[11]، بنولؤي[12]، بنو مَخْزُوم[13]، بنو النَّضْر[14]، بنو تميم[15]).

- أسماء أخرى: (آل إبراهيـــم[16]، إسماعيل[17]، آدم[18]، حوّاء[19]، أسامة[20]).

---

(1) ابن الجون الأشعري– الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 136 و137.

(2) أبوعبيدة – الديباج: 97.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) الماوردي – أعلام النبوة: 159 وذكرت الكلمة أكثر من مرة في ص 160.

(5) الأصفهاني – الأغاني، 16: 285.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) المصدر نفسه، 16: 292.

(8) الماوردي – مصدر سابق: 159.

(9) محمد بن حبيب – المنمق: 101و 112. ذكرت الكلمة أكثر من مرة.

(10) أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، 5: 300.

(11) الميداني – مجمع الأمثال، 3: 196.

(12) محمد بن حبيب– مصدر سابق: 112.

(13) المصدر نفسه: 112 و116.

(14) الماوردي – مصدر سابق: 159.

(15) ابن الجون الأشعري– مصدر سابق: 136. وانظر: أبو العلاء صاعد البغدادي – مصدر سابق، 5: 300.

(16) الماوردي – مصدر سابق: 159.

(17) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(18) أبو العلاء صاعد البغدادي – مصدر سابق، 5: 299.

(19) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(20) محمد بن حبيب– مصدر سابق: 116.

– وأسماء أماكن مثل (مكة[1]، الحرم[2]، تِهامة[3]، نجد[4]، اليمامة[5]، اليمن[6]).

– أسماء الأصنام: (اللات[7]، العُزى[8]، إساف[9]، نائلة[10]، شَمْس[11]، يَعُوق[12]، ذو الخَلَصة[13]، نَسْر[14]، وَدّ[15]،مَناة[16]).

– وترد بعض الألفاظ الغريبة مثل (رَمَع[17]، مَعْق[18]، الفَلَنْدح[19]، الُمذَلَّق[20]، مُدَمْلَق[21]، الفَدْفد[22]، عُنْدَد[23]).

---

(1) الماوردي – مصدر سابق: 160.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) محمد بن حبيب– مصدر سابق: 106 و108 و115.

(4) المصدر نفسه: 106.

(5) المصدر نفسه: 108.

(6) المصدر نفسه: 119.

(7) أبوعبيبدة – شرح نقائض جرير والفرزدق، 1: 301.

(8) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(9) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(10) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(11) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(12) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(13) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(14) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(15) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(16) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(17) محمد بن حبيب – المنمق: 110.

(18) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(19) المصدر نفسه: 106.

(20) المصدر نفسه: 110.

(21) المصدر نفسه: 107.

(22) المصدر نفسه: 113.

(23) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

– صيغة أفعل التفضيل، وهي ترد بكثرة من مثل (أطعم[1]، أطول[2]، أكثر[3]، أثبت[4]،أهون[5]،أسرح[6]، أحد[7]، أحسن[8]، أجعد[9]، أكرم[10]، أنفذ[11]، أمضى[12]، أشد[13]، أجزل[14]، أقل[15]، أوسم[16]، أنشر[17]).

– التضاد، وهو كثير الدوران في نثر المنافرات أكثر من شعر المنافرات، مثل: (داء، دواء[18] – ليل، نهار[19] – أمام، خلف[20] – جميل، قبيح[21] – جسيم،

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16: 284 و286.

(2) المصدر نفسه، 16: 284. وانظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 95.

(3) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 292. وانظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 95.

(4) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 284. وانظر: محمد بن حبيب – مصدر سابق: 112. ذكر أكثر من مرة.

(5) الماوردي – أعلام النبوة: 160.

(6) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 285.

(7) المصدر نفسه، 16: 284.

(8) المصدر نفسه، 16: 284.

(9) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(10) المصدر نفسه، الصفحة نفسها. وانظر أيضاً في الأغاني: 5: 23.

(11) المصدر نفسه، 16: 292.

(12) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(13) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 101.

(14) المصدر نفسه: 95.

(15) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(16) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(17) الأصفهاني – الأغاني، 16: 285.

(18) القالي – الأمالي، 1: 92.

(19) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 285.

(20) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(21) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

قضيف[1]– وفي، غـادر[2] – النور، الظلمة[3] – الضياء، الظلم[4] – الخير، الشر[5] – ورد، صدر[6]).

– اسم الفاعل مثل: (فاجر[7]، غادر[8]، كامن[9]، باطن[10]، رامي[11]، واطدة[12]، الطاغية[13])

مما سبق نلاحظ أن المتنافرين والحكّام كانوا يكثرون من استخدام الألفاظ المتعلقة بالمنافرة، وتدور بكثرة على ألسنتهم أسماء الآباء والأجداد والقبائل، بينما تكثر الألفاظ المتعلقة بالأمكنة وأسماء الأصنام لدى الكهّان، كما نلاحظ أن المتنافرين وبعض الحكّام يكثرون من استخدام أفعل التفضيل لإبراز ما يتميز به أحد المتنافرين عن الآخر، ولعل كثرة استخدام اسم الفاعل يعود إلى أن المتنافرين يثبتان الصفات الكريمة لهما وينفيانها عن المتنافر الآخر، أما كثرة استخدام التضاد في النثر فيمكن أن نردّها إلى أن المتنافر يصف به المتنافر الآخر بصفات غير مستحبة مثل الفجور والقبح، ومن بعد ذلك يثبت لنفسه عكسها، ونجد التضاد يكثر في منافرة علقمة وعامر.

---

(1) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(2) المصدر نفسه، 16: 286.

(3) محمد بن حبيب– المنمق: 106.

(4) المصدر نفسه: 99.

(5) المصدر نفسه: 114.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(7) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 286.

(8) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(9) القالي– مصدر سابق، 1: 92.

(10) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(11) الماوردي – أعلام النبوة: 160.

(12) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 116.

(13) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: 109.

تتنوع الأساليب في النثر، وأكثرها استعمالاً هو التوكيد والأمر ولاسيما لدى المتنافرين؛ فالتوكيد يأتي عند حديث المتنافر عن نفسه وعن المتنافر الخصم، والأمر يرد عند حديثهم إلى الكاهن للفصل بينهم. وأما أسلوب القسم والنداء فأكثر استعمالاً لدى الحكّام، وطبيعي أن يستخدم الحكام النداء في خطابهم؛ لأنهم بحاجة إلى لفت انتباه المتنافرين ومن ثم الإقرار بالحكم، الذي يتبعه استخدام القسم لإضفاء نوع من القداسة على الحكم ولإقناع المتنافرين بالتنفير، وسنسوق الأمثلة على هذه الأساليب لمزيد من التأكيد والتوضيح:

– أسلوب التوكيد: (إني أنحر[1]، لأنا خير منك[2]، لأنا أحب إلى نسائك[3]، لأنا أكرم[4]، لأنا أركب في الحُماة[5]، إنك لفاجر[6]، إنك لغادر[7]...الخ).

– أسلوب الأمر: (اقضِ لأرفعنا[8]، اقضِ لصاحب الخيرات[9]، اقضِ بين قومي وقومه[10]، فاحكمْ[11]، احكمْ[12]، احكمْ بيننا[13]، فارجعْ[14]، انهضي[15]

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16: 284.

(2) المصدر نفسه، 16: 285.

(3) المصدر نفسه، 16: 284.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، 16: 285.

(6) المصدر نفسه، 16: 286.

(7) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(8) محمد بن حبيب – المنمق: 101.

(9) المصدر نفسه: 102.

(10) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(11)المصدر نفسه،116.

(12) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 116.

(13) المصدر نفسه: 108.

(14) المصدر نفسه: 114.

(15) المصدر نفسه: 120.

...الخ).

- أسلوب القسم: (لا واللهِ[1]، واللهِ إنك لكليل البصر[2]، والقمرِ الباهر والكوكبِ الزاهر[3]، وربِّ العاديات[4]... الخ).
- أسلوب الشرط: (إنا خبأنا فأنبئنا[5]، فإن أصاب نتحاكم إليه[6]، إن نفَّرتك أخرجتك[7]...الخ).

أما استخدام السجع في نثر المنافرات فهو أحد سماته الشكلية الأساسية؛ فالسجع في المنافرات يقصد به إضفاء جوّ من السكينة والتأمل والتأهّب لتلقي فكرة مقدسة، أو وصية أو حكم، تقتضي الإيجاز والتكثيف في آن، كما يهدف السجع أيضاً إلى التأثير بالتركيز على نهايات الأفكار، بمعنى آخر فإن وظيفة السجع في نثر المنافرات تفرض على المتكلم وضع أفكاره في سلسلة من القوالب المتناظرة، والأطر المحددة، فلا يفيض المعنى خارجها، وبهذا يمتلك السجع إمكانية للتأثير في متلقي المنافرة لتضعهم تحت طائلة منظومة من المعاني، تمتاز بالوضوح والمباشرة حيناً، والغموض والإيحاء حيناً آخر(8).

وعمد الكهّان إلى الغموض في سجعهم للإجابة عن سؤال المتنافرين لما خبؤوا له. فالرد بالسجع يمكّن الكاهن من الاقتراب مما خبأ المتنافران، وقد يلجأان إلى سؤاله مرة أخرى طالبين منه توضيحاً أكثر؛ فيعمد من جديد إلى السجع لأنه لا يملك إجابات مباشرة عما يسألان، فالسجع إذن محاولة للتمويه على المتنافرين، ومحاولة لإضفاء جوّ من

---

(1) المصدر نفسه: 119.

(2) الأصفهاني – مصدر سابق، 16: 286.

(3) محمد بن حبيب – مصدر سابق: 106.

(4) المصدر نفسه: 116.

(5) محمد بن حبيب – المنمق: 101 و105 و107.

(6) المصدر نفسه: 105 و113.

(7) المصدر نفسه: 115.

(8) انظر: عبدالله إبراهيم – التلقي والسياقات الثقافية: 118 – 119.

الغموض على النثر، ولاسيما أن الكاهن كما يدعي متصل بأسباب السماء والغيب؛ فالكهّان «كانوا ينون سجعهم في كثير من جوانبه على الرمز، فإن كهانتهم كانت تقتضي أن يختاروا ألفاظاً موهمة توعز بما يريدون من دون أن تفصح – في كثير من أحوالها – عن دلالة بيّنة»(1).

والسجع سمة أساسية في نثر الحكّام في المنافرات، كما أن استخدام السجع من أرفع المراتب؛ لأن «معنى السجع أخفّ من سائر المغيبات من المرئيات والمسموعات، وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والإدراك، والبعد فيه عن العجز بعض الشيء»(2). وقد تميّز سجع الكهّان في المنافرات عن غيرهم ممن يسجعون، ولعل السبب الأخير أدى إلى التمييز بين سجع الكهّان وسجع الخطباء؛ فالكهان اهتموا بالألفاظ المبهمة والغامضة، أما الخطباء فقد تحرروا من بعض قيود السجع؛ إذ إن «لسجع الكهان طريقة خاصة به ميزته عن سجع غيرهم، فهو قصير الفقرات، يلتزم التقفية، وتساوي الفواصل في كل فقرتين أو أكثر، ويعمد إلى الألفاظ المبهمة المعمّاة، وإلى تكوين الجمل الغامضة... أما السجع المنسوب للخطباء ففقره أطول وكلمه أوضح، طويل النفس متحرر نوعاً ما من قيود سجع الكهّان، بين الفقر تطابق في الطول... وقد يكون مرسلاً، خالصاً من تساوي الجمل، والتزام القافية، فهو بين سجع وازدواج وترسل، وقد يكون مزدوجاً، فهو سجع خفيف ومقبول»(3).

ولتوضيح ما أشرنا إليه نقف عند نموذج للكاهن عُزَّى سَلَمَة العُذْرِيّ عندما نفّر بني العُشَراء وهم من بني مازن على منافرهم، فقال:«والأرْض والسَّمَاءِ، والعُقَابِ الصَّقْعاء، واقعة بِبَقْعاء، لقد نَفّر المَجْد بني العُشَراء، للمجد والسَّناء»(4)، فالسجع هنا يؤكد ما ذهبنا إليه، فالكاهن يعتمد في تشكيل سجعه على الجمل القصيرة، ليجيء الحكم في النهاية مستنداً على غموض ملغز، مؤكداً الحكم بالقسم بالأرض والسماء...الخ. كما نجد مثل

(1) شوقي ضيف – الفن ومذاهبه في النثر العربي: 41.
(2) الألوسي – بلوغ الأرب، 1: 274.
(3) جواد علي – المفصل، 8: 745.
(4) الجاحظ – البيان والتبيين، 1: 290. الصَّقْعَاء: التي في وسط رأسها بياض. البقْعَاء: الأرض ذات الحصى الصغيرة. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «صقع» و«بقع».

هذه الخصائص أيضاً في منافرة هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد الشمس، فقد قال الكاهن لهما: «أحْلف بالنورِ والظلمةِ، وما بتِهَامَـة من بَهْمَة، وما بنجد من أَكَمَة، لقد خبّأتُم لي أطباق جُمْجُمَة، مع الفَلَنْدَح أبي هَمْهَمَـة، قالوا: أصبت فاحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيّهما أشْرف فقال: والقمر البَاهِرِ، والكَوْكِب الزَّاهِرِ، والغَمَام المَاطِرِ، وما بالجو من طائِر، وما اهتدى بعلم مُسَافِرِ، مُنْجِدٍ أو غائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المَفاخِرِ، أول منها وآخر»(1). والكاهن يعتمد على القسم في تسويغ حكمه من دون أن يسوّغ الحكم بأسباب منطقية، ولكي يكون حكمه مقبولاً في نفوس المتنافرين يلجأ إلى الغموض ليلبس على المتنافرين فيظنّا أنه متصل بأسباب السماء، طبيعي والحال هذه أن يتأكد الحكم ويؤخذ به.

وإن كان سجع الكهان يعتمد في تشكيله على الفقرات القصيرة التي تنزع إلى الغموض؛ فإن سجع الحكّام من الحكماء في المنافرة يكون أكثر حيوية وتنوعاً، فقد يعتمد على السجع والجمل القصيرة مثل سجع نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى في منافرة عبد المطلب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة، حيث قال مخاطباً حرباً: «يا أبا عمرو، أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأوسم وسامة، وأعظم منك هامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صَفْداً، وأطول منك مِذْوَداً، وإني لأقول هذا وإن فيك لخصالاً: إنك لبعيدُ الغضب، رفيع الصِّيت في العرب، جَلْد المَرِيرة، تحبك العَشيرة، لكنك نافَرْتَ مُنَفَّرا»(2). فالسجع لدى نُفَيْل بن عَبْد العُزَّى يبتعد عن الغموض المرتبط أصلاً بالكهان، ولكنّه يظل محتفظاً في تشكيله بالسجع وبالجمل القصيرة؛ ولا يعني هذا ألبتة أن نثر الخطباء متشابه ونثر الكهان في المنافرات؛ إذ الأمر خلاف ذلك، فقد يعتمد الخطيب على فقرات طويلة خالية من السجع، نجد ذلك في منافرة عَامِرِ بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة عند هَرِم بن قُطْبَة الذي حكم بينهما فقال: «يا بني جعفر، قد تحاكمتا عندي، وأنتما كركبتي البعير الأَدْرَم:

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 106. البَهْمَة: أولاد البقروالمعز والضأن. الفَلَنْدَح: الغليظ الثقيل والضخم. جُمْجُمَة: قدح من الخشب. المُنْجِد: الخارج إلى النجد وهو ما ارتفع من الأرض. والغَائِر: الذاهب إلى الغَوْر وهو ما انحدر من الأرض. انظر: ابن منظور – مصدر سابق، مادة «بهم» و«جمم» و«غار».

(2) محمد بن حبيب – المنمق: 95.

تقعان إلى الأرض معاً، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه، كلاكما سيد كريم»[1]، فنثر هَرِم بن قُطْبَة كما يتضح يخلو من السجع، ويميل إلى الاسترسال في القول، علاوة على أن هَرِمًا يقدم مسوّغات منطقية لحكمه بالمساواة بين المتنافرين، فهو يرى بأنهما يتساويان في الشرف والكرم، ولا يكتفي بذلك وإنما لكي يدلل على حكمه يذهب إلى الاستفادة من التشبيه، فيصفهما بركبتي البعير، هذا الوصف الذي يستله من بيئة المتنافرين؛ ليكون منطقياً في حكمه، وقد يكون الحكم الخطيب في المنافرات مستخدماً بعض السجع الخفيف في بداية قوله من دون أن يلزم نفسه بذلك في كل قوله، ويتجلى ذلك في منافرة القَعْقَاع بن مَعْبَد بن زرارة وخالد بن مالك النهشلي عند ربيعة ابن حذار الأسدي الذي يقول: «إن السماح واللهى والباع، والشرف الأسنع للقعقاع، إلا أني نفرت من كان أبوه معبداً، وعمّه حاجباً، وجدّه زرارة»[2]. فالنثر في قول الحكم وإن احتفظ بالسجع في بدايته فإنه تخلى عنه، ليعود مسترسلاً من جديد.

أما الخطبة في المنافرات فإنها تكاد تخلو غالباً من السجع، مثلما نجد في خطبة عبد المطلب بن هاشم في منافرة قريش وخزاعة: «أيها الناس: نحن آل إبراهيم، وذُرية إسماعيل، وبنو النَّضْر بن كِنَانَة، وبنو قُصيّ بن كِلاب، وأرباب مكة وسكان الحرم، لنا ذروة الحسب والنسب، ومعدن المجد، ولكل في كلّ حلف يجب عليه نصرته، وإجابة دعوته، إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة، وقطع رحم. يا بني قصي: أنتم كغصني شجرة، أيهما كسر أوحش صاحبه، والسيف لا يُصان إلا في غِمْده، ورامي العَشيرة يصيبه سهمه، ومن أمحكه اللَّجَاج أخرجه إلى البغي. أيها الناس: الحلم شرف، والصبر ظَفَر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام دُوَل، والدهر غِيَر، والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله، فاصطنعوا المعروف تكسبوا المجد، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء، وأكرموا الجليس، يعمر ناديكم، وحابوا الخَلِيط يرغب في جواركم، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم. وعليكم بمكارم الأخلاق، فإنها رفعة لكم، وإياكم والأخلاق الدنية، فإنها تضع الشرف، وتهدم المجد، وأن نَهْنَهَة الجاهل أهون من حَزِيرته، ورأس

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16: 292.

(2) أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، 5: 301.

العشيرة يحمل أثقالها، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به»[1].

فيلاحظ في هذه الخطبة أنها مسترسلة، تكاد تخلو تماماً من السجع، باستثناء بعض الكلمات التي يسجع فيها من دون أن تثقل على المستمع أو القارئ؛ لأنها جاءت عفو الخاطر، نجد ذلك مثلاً في قوله: «ولكلّ في كلّ حلف يجب عليه نصرته، وإجابة دعوته»[2]، كما يلاحظ أيضاً أن الجمل تقصر كلما قدم الخطيب حكمة وعبرة مثل قوله: «الحلم شرف، والصبر ظفر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام دُوَل، والدهر غِيَر»[3].

وإن كان عبد المطلب بن هاشم في خطبته السابقة لا يلتزم بالسجع إلا ما يأتي عفو الخاطر؛ فإن مَرْثَد الخَيْر يتبع طريقة تشعر من خلالها بأنه على وعي كبير بدور السجع في الخطبة في المنافرات، هذا الاستخدام الذي يأتي ليؤكد الأفكار لدى جماعة المستمعين، وليؤكد أيضاً على انتهائها، يقول مَرْثَد الخَيْر: «إن التَّخَبُّط وامْتِطاء الهَجَاج، واسْتِحْقَاب اللَّجَاج، سَيَقِفُكُما على شَفا هُـوَّة في تَوَرُّدِها بَوار الأصِيلَة، وانقطاع الوسِيلة، فَتَلافيا أمركما، قَبْل انْتِكاث العَهْد، وانْحِلال العَقْد، وتَشَتُّت الأُلفة، وتَبَاين السُّهْمة، وأنتما في فُسْحة رافِهة، وقدم واطِدة، والمَوَدَّة مُثْرِية، والبُقْيّا مُعْرِضة، فقد عَرَفتم أنباءَ من كان قَبْلكم من العَربِ، ممن عَصَى النَّصيح، وخالف الرَّشيد، وأصْغَى إلى التقاطع، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم، وكيف كان صَيُّور أمورهم، فتلافوا القَرْحة، قبل تفاقم الثَّـأْي، واسْتِفحال الداء، وإعْواز الدَّواء، فإنه إذا سُفِكت الدماء، استحكمت الشحناء، وإذا اسْتَحكمت الشحناء، تقبضت عُرَى الإبقاء، وشَمِل البلاء»[4].

فمَرْثَد الخَيْر في خطبته السابقة يراوح بين الاسترسال والسجع، لكنّ السجع يغلب

(1) الماوردي – أعلام النبوة: 159– 160. غِيَر: أي الأحوال المتغيرة. الخَلِيط: هو المشارك في حقوق الملك مثل الشُّرْب والطريق. نَهْنَهَة: الزجر. الحَزِيرَة: الاختيار. انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «غير» و«خلط» و«نهنه» و«حزر».

(2) الماوردي – مصدر سابق: 160.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) القالي – الأمالي، 1: 92.

على الخطبة، ويزداد ليؤكد الأفكار إذ إنه يأتي في نهاية كل فكرة جديدة بعبارة موجزة تحمل ذات الدلالة، نجد ذلك في قوله السابق مثلاً: «سَيَقِفُكُما على شَفا هُوَّة في تَوَرُّدِها بَوار الأصِيلَة، وانقطاع الوسِيلة، فَتَلافيا أمركما، قَبْل انْتِكاث العَهْد، وانْحِلال العَقْد»(1)، ويبتعد عن السجع في بعض المواضع، مثل قوله: « فقد عَرَفتم أنباءَ من كان قَبْلكم من العَربِ، ممن عَصَى النَّصيح، وخالف الرَّشيد، وأصْغَى إلى التقاطع، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم، وكيف كان صَيُّور أمورهم، فتلافوا القَرْحة، قبل تفاقم الثَّأي، واسْتِفحال الداء، وإِعْواز الدَّواء»(2).

ولا يقتصر السجع على نثر الكهان وخطب الحكماء في المنافرات؛ ولكنه قد يأتي في حوار المتنافرين مع بعضها بعضاً، ولكنّه لا يكون السمة الغالبة على هذا الحوار فهو يرد في بعض المواضع من الحوار، فالمتنافران عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعَامِر بن الطُّفَيْل يستخدمان السجع وحسن التقسيم في حوارهما، مثل قول علقمة عن نفسه محاوراً عامراً: «إني أحدّ منك بصراً، وأعزّ نفراً، وأسْرح منك ذِكْراً... فقال عامر: إني أنشر منك أمّة، وأطول منك قمّة، وأحسن منك لمّة، وأجعد منك جمّة، وأبعد منك همّة»(3). فالسجع في حوارهما كما نرى يمتد في أكثر من جملة، ويلزم المتنافر الحرف نفسه في سجعه كاملاً، مع ميلهما لاستخدام أفعل التفضيل واستخدام حسن التقسيم، ومما جاء على الشاكلة ذاتها قول خالد بن مالك النهشلي محاوراً القَعْقَاع بن مَعْبَد: « أينا أوهب للغالية، وأنحر للثاوية، وأصد للعادية، وأقتل للطاغية»(4)، فخالد النهشلي ألزم نفسه باستخدام الصيغة الأسلوبية المكونة من أفعل التفضيل مع اسم الفاعل في جمل قصيرة، وامتد السجع في أربع جمل من دون أن يتغير وينتقل إلى حرف آخر.

(1) القالي ، الأمالي، 1: 92.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) الأصفهاني – الأغاني، 16: 284.

(4) الأسود الغندجاني – فرحة الأديب: 109.

ج. التصوير:

إن الصور الفنية في نثر المنافرات قليلة، فلا نكاد نظفر إلا ببعض الصور؛ ولعلّ ذلك يعود إلى أن الكهّان والخطباء اعتمدوا في نثرهم على السجع مما جعلهم يعبرون عن الفكرة في عبارة موجزة، إضافة إلى أن دور الحكّام في المنافرات يحتم عليهم الابتعاد عن الصورة، لأنهم في صدد تقديم حكم، فهم يميلون بذلك إلى ذكر الحقائق بصورة مباشرة، وإن جاءت هذه الصور فإنها قليلة وبسيطة.

ومن الصور التي تلفت الانتباه تلك التي وردت في منافرة أَسِيد بن أبي العيص والوليد ابن المغيرة التي تقوم على المقارنة بين المتنافرين من خلال الصورة، قال الكاهن سَطِيح الذِّئْبِيّ: «أما أنت يا وليد! فمثلك مثل جبل مُـوّزر، فيه الماء والشجر، وفيه للناس مُعْتَصر، ومَنَعة الـحي والوَزر، للخير سبَّاق وللشر حَذِر. وأما أنت يا أَسِيد! فمثلك مثل جبل وَعر، فيه للمقتبسين جمر، ولا وِرْد ولا صَدْر، الخير عندك نَزْر، والشَّرّ عندك أمر؛ فلج الوليد وظَفِر، وخاب أَسِيد وخَسِر»(1).

فتشبيه سَطِيح الذِّئْبِيّ قائم على المقارنة بين المتنافرين، إذ شبههما بالجبلين، وهو تشبيه يدل على علو المكانة، لكنه يفصل في وصف الجبلين؛ فجبل الوليد فيه الخير للناس لما فيه من شجر وماء، وهو منعة وحماية لمن يلجأ إليه، ويوضح دلالة تشبيهه بجملتين أنهى بهما حديثه إلى الوليد بن المغيرة، فوصفه بأنه سباق إلى الخير، حذر من ارتكاب الشر، وبالمقابل يصف أَسِيد بن العيص بالجبل الوعر قليل الخير، ويؤكد دلالة تشبيهه بجملتين أنهى بهما حديثه إلى أَسِيد، فقال: «الخير عندك نَزْر، والشر عندك أمر»(2).

ومن التشبيهات قول عبد المطلب بن هاشم لقبيلتي قريس وخزاعة: «أنتما كغصني شجرة، أيهما كسر أوْحش صاحبه»(3)، وهو يدلل على العلاقات المتداخلة التي تربط

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 114. المُعْتَصَر: المَلْجَأ. الوَزر: الملجأ والمَعْقِل، انظر: ابن منظور – لسان العرب، مادة «عصر» و«وزر».

(2) محمد بن حبيب – المنمق: 114.

(3) الماوردي – أعلام النبوة: 160.

كلاً منهما بالآخر، فيؤكد أهمية استمرار هذه العلاقة في الحِلْف الذي يجمعهما. وهو تشبيه مستمد من البيئة القريبة من قلوب القبيلتين.

كما يرد المثل القائم على التشبيه في المنافرات، مثل قول هَرِم بن قُطْبَة لعلقمة وعامر: «أنتما كركبتي البعير الأَدْرَم، تَقَعَان إِلى الأَرْض مَعًا»(1)، ودور التشبيه في هذه المنافرة أنه يقدم الحكم للمتنافرين، ويثبت لهما بصورة دالة على أنهما متساويان.

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 16: 292.

الخاتمة

المنافرة وسيلة للفصل بين المتنافرين في العصر الجاهلي، وهي تهدف إلى منع الشر بالتحكيم بين المتنافرين، ولابد في المنافرة من تحكيم، وإلا كانت مفاخرة في الحسب والنسب؛ إذ إن انتقال المفاخرة إلى منافرة لا يكون إلا بوجود التحكيم. وقد اضطلع الحكّام من حكَماء وكهان بالفصل بين المتنافرين لتنفير أحدهما على الآخر، أو المساواة بينهما عند التحكيم، أو الإصلاح بينهما؛ ليقنعهما بعد حضورهما لمجلس التحكيم بعدم الاستمرار في المنافرة وطلب التحكيم.

وقد أثمرت هذه الدراسة بعض النتائج؛ وهي أن:

1. المنافرة في اللغة المحاكمة والنفور والتباعد، أما في الاصطلاح فهي المحاكمة في المفاخرة بالنسب والحسب، وقد استعملت لفظة المنافرة بالمعنى الاصطلاحي حتى منتصف القرن الرابع الهجري، واستعملت بعد هذه الفترة للدلالة على النفور والتباعد بين شخصين أو أكثر، وقد يفضي بهما إلى الهجاء.
2. المنافرة ظاهرة اجتماعية، أساسها العصبية القبلية، ومما شجّع على ذلك اهتمام العرب الشديد بالأنساب، وتذاكرهم الدائم لمناقب القبائل ومآثرها ومفاخرها، إذ إن العامل الاجتماعي قد أثر في تشجيع المنافرة ووقوعها وتعدد أسبابها، علاوة على العامل الاقتصادي. وقد لجأ المتنافران وقومهما إلى بعض العادات مثل ذهاب المتنافر مع قومه للتنافر، حاملين معهم القباب والإبل لينحروا ويطعموا فترة إقامتهم.
3. لعب المكان دوراً مهماً في الحث على التنافر، وليس أدل على ذلك من تسمية عكاظ بهذا الاسم؛ لكثرة ما حدث فيها من مفاخرات ومنافرات بين وجهاء القبائل وأشرافها من جهة، ووجود الحكام فيها من جهة أخرى؛ ولعل هذا قد دفع المتنافرِين في بعض المنافرات إلى اختيار سوق عكاظ للتحكيم فيها، علاوة على أن المجالس التي تضم وجهاء العرب وأشرافهم كانت تحثهم على التفاخر، وقد تخرج بهم المفاخرة إلى المنافرة، مثلما حدث في مجالس النّعمان بن المنذر.

4. أكثر القبائل لجأت إلى حكّام قبيلة قريش؛ بسبب مكانتها الدينية والأدبية والتجارية والسياسية، بينما لجأت قبيلة قريش إلى الكهّان؛ نظراً لمكانتها الدينية، ولأنها لا ترى أحداً في رجاحة عقلها، وأكثر ما لجأت في منافراتها إلى الكاهن الخُزاعيّ.

5. أثرت المنافرات في الأدب الجاهلي؛ لأن الشعراء والخطباء قد شاركوا فيها، وتعدّ المنافرات غرضاً من أغراض الخطابة في العصر الجاهلي، لكنّ من المؤسف أننا لم نظفر إلا بخطبتين لضياع كثير منها، كما شارك الكهّان في المنافرات، فجاء قسمهم وتنفيرهم سجعاً.

6. اشتهرت منافرة عَلْقَمة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل أكثر من غيرها من المنافرات؛ ولعل ذلك يعود إلى أن بعض شعراء الجاهلية الكبار مثل الأعشى والحطيئة ولبيد بن ربيعة قد شاركوا فيها؛ ولأن المتنافرين سيدان مشهوران، لذا نقلت كتب الأدب والتراجم أخبار هذه المنافرة. وقد شارك الأعشى والحطيئة بقصائد طويلة في حين شارك الآخرون بأبيات قليلة من الرجز.

7. ثنائية المدح والهجاء تظهر وتبرز بقوة في المنافرات في الشعر والنثر؛ فالشاعر أو الخطيب يمدح من يناصره من المتنافرين ناسباً إليه كل الصفات الحميدة، ويهجو خصم من يناصره، فيصفه بأقبح الصفات وأرذلها، وثنائية المدح والهجاء تبرز بقوة لدى شاعر مثل الأعشى، وتظهر بصورة غير مباشرة عند الحطيئة، وعند نُفَيْل بن عبد العُزّى والنابغة الذبياني.

8. أكثر الحقول الدلالية المستعملة في المنافرات تتعلق بألفاظ المنافرة والمجد والنسب، وأسماء المتنافِرين وقبائلهم، وأسماء الأماكن، وأفعل التفضيل، والألفاظ الدالة على الكثرة والزيادة؛ وذلك لأن الشعراء والخطباء والكهّان يصف كلّ منهم من يناصره بأفضل الصفات، فينسبونه إلى المجد والعزّة، وأهم هذه الصفات ما يتعلق بكرم النسب، فينسبونها إلى من يناصرون من المتنافرين. أما الأساليب فكثر منها أسلوب النفي والتوكيد في الشعر وفي حوار المتنافرين، فالمتنافر ومن يناصره يستخدم أسلوب التوكيد لإثبات الصفات الكريمة لنفسه، وينفي الصفات السيئة عنه، في

حين يكثر أسلوب القسم عند الكهّان لإضفاء القدسية على حكمهم وتأكيد صدق كلامهم، وقد يستشهد المتنافران أو من يناصرهم بأبيات من الشعر؛ لتبيان موقفهم من المنافرات، وقد تجري على ألسنة بعضهم أقوال تصبح فيما بعد أمثالاً شهيرة.

9. بحر الرجز هو أكثر البحور استخداماً، ولاسيما في المقطّعات؛ لكثرة الزحافات فيه التي تعين الكثيرين على الارتجال والارتجاز، وأكثر ما قيل في المقطّعات جاء بعد التحكيم لا قبله، مما يعني أن قائل الرجز قد ارتجز، ولعل قلة الأبيات مع تركيز الاهتمام على ألفاظ المنافرة وأحوال المتنافرين جعل بعض المقطعات أقرب إلى تسجيل أحداث المنافرة أكثر من اعتمادها على العناصر الفنية.

10. أثرت المنافرات في الأدب شعراً ونثراً؛ ولكنّنا لا نستطيع أن نجعل المنافرات صورة بدائية للهجاء؛ لأن المنافرات تضمّنت المدح وليس الهجاء فقط، وقد تستحيل بعض القصائد في المنافرات إلى مدح للمتنافر مع التعريض بخصم المتنافر مثلما وجدنا عند الحطيئة، وقد تستحيل أحياناً إلى هجاء مقذع عند الأعشى. ولا نستطيع أن نجعل المنافرات من فن النقائض؛ لأن هذا الفن كان معروفاً في الجاهلية بجانب المنافرات، علاوة على أن الشعراء لم يهتموا كثيراً بالرد على بعضهم، و لم يصنعوا شعراً على البحر نفسه أو القافية ذاتها، إضافة إلى أن المنافرة تقوم على التحكيم اعتماداً على كرم النسب مما جعل للمنافرات لغتها الخاصة وأساليبها المميزة.


الملاحق

أولاً: أخبار المنافرات وحكامها وما جاء فيها من شعر

1- منــافرات قريـش

أ - منافرة عَبْدِ المُطَّلِب بن هاشم وحَرْب بن أُمَيَّة(1):

قال أبو المنذر: كان رجل من اليهود من أهل نَجْران يقال له أُذَيْنَة في جوار عبد المطلب ابن هاشم، وكان يتسوق في أسواق تهامة بماله، وأن حرب بن أمية غاظه ذلك فألب عليه فتياناً من قريش وقال لهم: هذا العِلْج الذي يقطع الأرض إليكم ويخوض بلادكم بماله من غير جوار ولا أمان والله لو قتلتموه ما خفتم أحداً يطلب بدمه، قال: فشد هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي عليه وصخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فقتلاه، وكان معهما ابن مطرود بن كعب الخزاعي، قال: فجعل عبد المطلب لا يعرف له قاتلاً حتى كان بعدُ فعلم من أين أتى، فأتى حرب بن أمية فأنّبه لصنيعه وطلب بدم جاره، فأبى حرب ذلك عليه وانتهى بهما التماحك واللَّجاج إلى المنافرة، فجعلوا بينهما النجاشي ملك الحبشة، فأبى أن ينفذ بينهما فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رِزاح بن عَدِي بن كعب فأتياه فقال حرب بن أمية: يا أبا عمرو! أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة وأوسم [منك] وسامة وأعظم منك هامة وأقل منك لامة. وأكثر منك ولداً وأجزل منك صَفْداً، وأطول منك مِذْوداً، وإني لأقول هذا وإن فيك لخصالاً: إنك لبعيد الغضب رفيع الصِّيت في العرب، جلد المَرِيرَة، تحبك العشيرة، ولكنك نافرتَ مُنفَّراً. قال: فنفر عبد المطلب على حرب، فغضب حرب من ذلك وأغلظ لنفيل وقال: من انتكاس الدهر أن جعلناك حكما، فأنشأ نفيل يقول: (البسيط)

لِيَهْنَ قَوْمًا لَهُمْ في النَّاسِ سَابِقَةٌ ... حَمْل المئِين وَسَبْق مَا لهُم وَرَعُ
أَعْطَاهُم الله نُوراً يُسْتَضاءُ بِهِ ... إِذَا الكَوَاكِب أَخْطَا نَوْءَهَا النُّجَعُ
وَهُمْ عُرُوق الثَّرَى مِنْهُم أُرُومَتُنَا ... مَا جَادَى اليَومَ فِي تَرْبَائِهِمْ ضَرَعُ
مَا إِن ينال البِلى أَرْكَان مَنْزِلِهِمْ ... وَلا يَحِل بِأَعْلَى نِيقِهِم صدَعُ

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 94 – 98.

أَوْلادُ شَيْبَةَ أَهْلُ المَجْدِ قَدْ عَلِمَت	عُلْيَا مَعَد إذَا مَا هُزهِزَ الوَرَعُ
وَهَبَّت الرِّيح بِالصُّرَّاد فَانْطَلَقتْ	تُزْجِي جَهَامًا سرِيعًا سَيْرهُ مَلَعُ
وَشَيْبَةُ الحَمْدِ نُور يُستضَاء بِهِ	إذَا تخطا إلى المَشْبُوبَة الفزَعُ
وَرَاحَتْ الشَّوْلُ جَدْباً في مَراتِعِهَا	حَوْل الفَنِيق رَسِيلاً مَا لَهُ تَبَعُ
يَا حَرْبُ مَا بَلَغَتْ مَسْعَاتُكُم هَبَعا	تَسْقِي الحَجِيجَ وَماذَا يَحْمِل الهَبَعُ
أَبُوكُمَا وَاحِد وَالفَرْعُ بَيْنَكُمَا	مِنْه الخِشَاش ومَنْه النَّاضِر اليَنِعُ
فَاعرِف لِقَوْم هُم الأَرْبَاب فَوْقَكُمُ	لا يُدرِكَنَّك شَرٌّ مَا لَهُ دَفعُ
هُم الرُّبَى مِنْ قُرَيْشٍ فِي أَرُومَتِهَا	وَالمَطْعِمُون إذَا مَا مَسَّها القِشَعُ

وقال في ذلك الأرقم بن نضلة بن هاشم يذكر منافرة هاشم وأمية: (الطويل)

وَقَبْلُكَ مَا أَرْدَى أُمَيَّةَ هَاشِم	فَأَوْرَدَهُ عَمْرٌو إلى شَرِّ مَوْرِدِ
فَيَا حَرْب قدْ جَارَيْت غَيْر مُقَصِّرٍ	شَآكَ إلى الغَايَاتِ طَلاَّع أَنْجُدِ

قال: فأراد حرب بن أمية إخراج بني [عدي] بن كعب من مكة فاجتمعت لذلك بنو عبد شمس بن عبد مناف وبنو نوفل بن عبد مناف، وغضب لعبد المطلب بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زهرة، وغضبت بنو سهم لبني عدي لأنهم من الأحلاف فمنعوهم، فلما رأى ذلك حرب بن أمية كفّ عنهم.

ب – منافرة عبد المطلب وثَقِيف(1):

قال الكلبي: كان لعبد المطلب بن هاشم مال بالطائف يقال له ذو الهَرْم فادعته ثقيف وجاؤوا فاحتفروا، فخاصمهم فيه عبد المطلب إلى الكاهن بالشام يقال له عُزّى سَلِمة العُذري، وخرج مع عبد المطلب نفر من قومه وكان معه ولده الحارث ولا ولد له يومئذ غيره وخرج الثقفي الذي يخاصم عبد المطلب واسمه جُنْدب بن الحارث في نفر من ثقيف فساروا جميعاً، فلما كانوا في بعض الطريق نفد ماء عبد المطلب وأصحابه، فطلب عبد المطلب إلى الثقفيين أن يسقوه من مائهم فأبوا، فلما بلغ من القوم العطش كل مبلغ

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 98 .103 – وسيأتي كلام حول (إلاده فلاده).

وظنوا أنه الهلاك نزل عبد المطلب وأصحابه وأناخوا إبلهم وهم يرون أنه الموت، ففجر الله لهم عيناً من تحت جِرَان بعير عبد المطلب، فحمد الله عبد المطلب على ذلك وعلم أنه من الله تعالى فشربوا من الماء ريّهم وتزودوا منه حاجتهم، قال: ونفد ماء الثقفيين فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم، فقال له الحارث ابنه: والله لئن فعلت لأضعن سيفي في إهابي، ثم لأنتحين عليه حتى يخرج من ظهري، فقال له: يا بني! اسقهم ولا تفعل ذلك بنفسك، قال: فسقاهم عبد المطلب، ثم انطلقوا إلى الكاهن وقد خبؤوا له خبيئاً، وهو رأس جرادة فجعلوه في خربة مَزادة وعلقوه في قلادة كلب لهم يقال له سوّار، قال: فلما أتوا الكاهن إذا هم ببقرتين تسوقان بحزجاً بينهما كلتاهما توءمة تزعم أنه ولدها، وذلك أنهما ولدتا في ليلة واحدة فأكل النمر إحدى البحزجين فهما يرأمان الباقي، فلما وقفتا بين يدي الكاهن قال: هل تدرون ما تقول هاتان البقرتان؟ قالوا: لا، قال: يختصمان في هذا البَحْزج، ويطلبان بَحْزجاً آخر ذهب به ذو جسد أربد وشدق رَمَع وناب مَعْق وحلق صعق، فما للصغرى في ولد الكبرى من حق، فقضى به للكبرى من البقرتين، فلما ذهبتا من عنده أقبل على عبد المطلب وأصحابه فقال: حاجتكم؟ قالوا: إنا قد خبأنا خبيئاً فأنبئنا عنه، قال: نعم، خبأتم لي شيئاً طار، فسطع فتصوّب فوقع، فالأرض منه بلقع، قالوا: لاده أي بيّن، قال: هو شيء طار، فاستطار ذو ذنب جرار، ورأس كالمسمار، وساق كالمنشار، قالوا: لاده قال: إن لاده فلاده، هو رأس جرادة، في خربة مزادة، في عنق سوار ذي القلادة، قالوا له: قد أصبت، فانتسبا له وقالا له: أخبرنا في ما اختصمنا، قال: أحلف بالضياء والظلم، والبيت ذي الحرم، أن المال ذا الهرم، للقرشي ذي الكرم، قال: فغضب الثقفيون، فقال جندب بن الحارث: اقضِ لأرفعنا مكاناً، وأعظمنا جفاناً، وأشدنا طعاناً، فقال عبد المطلب: اقضِ لصاحب الخيرات الكبر، ومن كان أبوه سيد مضر، وساقي الحجيج إذا كثر، فقال الكاهن: (الرجز)

أَمَـا وَربّ الـقُـلّـص الرّوَاسِـم   يَـحْـمِـلْـنَ أَزْوالاً بِـقَـيٍّ طـاسِـم
إنّ سَـنـاءَ المَجْـدِ وَالمَكـارِم   في شَـيْـبَـةِ الحَمْـدِ الـنَّـدى ابْـن هـاشِـم

فقال عبد المطلب: اقضِ بين قومي وقومه أيهم أفضل، فقال: (الرجز)

إنَّ مَــقَــالِــي فَــاسْــمَــعُــوا شَــهَــادَةْ أَنَّ بَــنِــي الــنّــضْــرِ كِــرامٌ سَــادَةْ

مِــنْ مُــضَــرِ الحَمْــراءِ في الــقِــلادَةْ أَهْــلُ سَــنَــاءٍ وَمُــلوكٌ قَــادَةْ

زِيــارَةُ الــبَــيْــتِ لَــهُــمْ عِــبَــادَةْ

ثم قال إن ثقيفاً عبد آبق فأخذ فعتق، ثم ولد فأبّق فليس له في النسب من حق.... أبّق أي كثر ولده، والبق من هذا أخذ، ففضّل عبد المطلب عليه وقومه على قومه.

ج- منـــافرة هاشم بن عبد مناف وأمية بن عبد شمس(1):

قال: كان هاشم بن عبد مناف قد أتى الشام فأقام به حيناً، ثم أقبل منه يريد مكة ومعه الغرائر مملوءة خبزاً قد هشمه، ومعه الإبل تحمل الغرائر حتى قدم مكة، وذلك في سنة شديدة قد جاع فيها الناس، وهلكت فيها أموالهم وأنفسهم، فعمد هاشم إلى الإبل التي كانت تحمل الغرائر فنحرها وأقام الطّهاة فطبخوا، ثم أخرج الخبز الهشيم فملأ منه الجفان ثم أمر بالقدور فكفئت عليها، فأطعم الناس أهل مكة وغيرهم، فكان ذلك أول خصبهم، فقال في ذلك رجل من قريش وهو حذاقة ابن غانم العدوي: (الكامل)

عَمْرُو العُـلَى هَشَم الثَّريـد لِقَوْمِهِ وَرِجَال مَكَّة مُسْنِتُون عِجَـافُ

وقال في ذلك وهب بن عبد قصي بن كلاب: (الوافر)

تَحَمَّل هَـاشِـمٌ مَـا ضَاق عَنْـهُ وَأَعْيَا أَنْ يَـقُـوم بِه ابْـن بِـيضِ

أَتَاهُم بِالغَرَائِر مُتْأَقَــاتٍ مِــنَ ارْض الشَّام بِـالبُـرِّ الـنَفِيضِ

فَأَوْسَع أَهْل مَكَّة مِـنْ هَـشِـيـمٍ وَشَــابَ الخُبْــز بِاللَّحْم الغَرِيضِ

فَظَل القَـوْم بَيْن مُكَلَّلاتٍ مِن الشِّيْزَى وَحَائِرُهَا يَفِيض

ويروى: من الشيزى جابرها.. وكان أمية بن عبد شمس مكثراً، فتكلف أن يصنع ما صنع هاشم فعجز عنه وقصر، فشمت به ناس من قريش وسخروا منه وعابوه بما صنع، ثم قصر فهاج ذلك بينه وبين هاشم شراً ومفاخرة ومخاصمة حتى دعاه إلى المنافرة وألب أمية

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 103 – 107.

إخوته ووبخوه وحرّبوه، وكره ذلك هاشم لسنه، حتى أكثرت قريش في ذلك وذموه، فقال له هاشم: أما إذا أبيت إلا المنافرة فأنا أنافرك على خمسين ناقة سوداء الحدقة ننحرها بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين، قال: فرضيا بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وخرج أبو همهمة بن عبد العُزّى بن عامرة بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر، وكانت أمه بنت أبي همهمة عند أمية بن عبد شمس فخرج معها كالشاهد، فقالوا: لو خبأنا له خبيئاً نبلوه به قبل التحاكم إليه، قال: فوجدوا أطباق جُمْجُمَة بالية فأمسكها معه أبو همهمة ثم أتوا الكاهن وكان منزله بعُسْفان فأناخوا الإبل ببابه وقالوا: إنا قد خبأنا لك خبيئاً فأنبئنا به قبل التحاكم إليك فقال: أحلف بالنور والظلمة، وما بتهامة من بَهْمَة، وما بنجد من أَكَمة، لقد خبأتم لي أطباق جُمْجُمَة، مع الفَلَنْدح أبي همهمة، قالوا: أصبت فاحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف فقال: والقمرِ الباهرِ، والكوكبِ الزاهرِ، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، مُنْجِدٍ أو غائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر، أول منها وآخر. قال: فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضر، وخرج أمية إلى الشام فأقام به عشر سنين، ومن ثم يقال إن أمية استلحق أبا عمرو ابنه وهو ذكوان وهو رجل من أهل صُفوريّة فخلف أبو عمرو على امرأة أبيه بعده فأولدها أبان وهو أبو معيط ويقال استلحق ذَكْوان أيضاً أبان.

د – منافرة عَائِذ بن عبد الله بن عُمَر بن مَخْزُوم والحارث بن أَسَد بن عَبْد العُزَّى(1):

قال: تنازع عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم والحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي في الشرف والمجد أيهما أشرف وأمجد فجعلا بينهما كاهناً كان يقوم بعُسْفان وجعلا للمُنفِّر خمسين من الإبل وجعلا الإبل على يد المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ثم شخصوا إليه فلما كانوا قريباً منه وجد رجل من بني أسد بن عبد العزى يقال له زُرّ بن حبيش بيضة نعام، فقال: هل لكم أن نخبأ له هذه البيضة؟ فإن أصابها علمنا أنه مصيب فيكما، قالا: نعم، فأمسكها معه ثم أتوه فأناخوا ببابه وعقلوا الإبل بفنائه ثم نادوه، فخرج إليهم فقالوا: أخبرنا في أي شيء جئناك، فقال: حلفت برب السماء ومرسل

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 107 – 109 .

العَمَاء فينبعن بالماء! إن جئتموني إلا لطلب السناء، فقالوا: صدقت قد خبأنا لك خبيئاً فأنبئنا ما هو؟ قال: خبأتم لي شيئاً مُدَمْلَقاً كالفهر لونه لون الدّرّ، يزلّ من فوقه الذر، قالوا: لادة، قال: حلفت بربِّ مكة واليمامة، ومن سلك بطن تهامة، لحج أو إقامة لقد خبأتم لي بيضة نعامة مع زر ذي العمامة قالوا: صدقت، فانتسبا له، وقالوا: احكم بيننا أينا أولى بالمجد والشرف، قال: حلفت بأظب عُفْر، بلَمّاعة قَفْر، يردن بين سَلَم وسِدْر ! إن سناء المجد ثم الفخر لفي عائذ إلى آخر الدهر.

قال: فأخذ عائذ الإبل فنحرها وأطعمها وأنشأ يقول: (البسيط)

إنّي امْرُؤٌ مِــن ذُرَى فِهْـرٍ إذا نُسِبوا … إذْ أَنْــتَ مِــن ثَـمُـدٍ يا حار مَنْسوبُ

تُنازِع المَجْد قَوْمًا لَسْت مُدْرِكَهُمْ … مـا خَـوَّذ الرَّأْل أو مـا حـنَّـت النِّيبُ

فَارْجع ذَمِيمًا فَقَد لاقَـيْـتَ دَاهِـيَـةً … وَقَـد شَأَوْتُك والمَغْلوب مَغْلُوبُ

هـ – منــافرة مَالِك بن عُمَيْلَة وعُمَيْرَة بن هَاجَر الخُزَاعِي(1):

قال هاشم: كان لمالك بن عُمَيلة بن السّبّاق بن عبد الدار بن قصي فرس قد سبق عليه، وكان لعُمَيرة بن هاجر بن عمير بن عبد العُزّى بن نمير الُخزاعي فَرَسٌ قد سبق عليه، فوقفا بمكة فتذاكر الخيل فقال عميرة: فرسي أجود من فرسك، فتراهنا على فرسيهما، وجعلا الرهن على يدي عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار أيهما أسبق فله مئة من الإبل، فأرسلا فرسيهما من أجياد فأقبل فرس عميرة سابقاً، فعرض له قاسط بن شرع بن عثمان بن عبد الدار فحبسه، فطلب عميرة السبق فأبى عليه حتى كاد يقع الشّرّ بينهما، فتداعيا إلى المنافرة إلى الكاهن فأيهما فضّل الكاهن فله مئة من الإبل والفرس، فتواثقا وخرجا مع كل واحد منهما نفر من قومه، وقاد كل واحد منهما عشرين بعيراً للكاهن، فنهى أرطأة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي مالك بن عملية أن ينافره فأبى وخرجا نحوه ومعها علقمة بن الفعواء الخزاعي ثم من بني نصر، فقالوا: لو خبأنا له خبيئاً نبلوه به! فوجدوا في طريقهم جثة نسر فأخذوها ثم أتوا

(1) محمد بن حبيب – المنمق:109 – 111 .

الكاهن وهو عُزّى سَلِمة العُذري سلمة: اسمه، وعُزّى اسم شيطانه فأناخوا الإبل ببابه، وخرج إليهم فقالوا: قد خبأنا لك خبيئاً ما هو؟ وقد جعلوه في عِكْم لهم من شعر ودفعوه إلى علقمة، قال: خبأتم لي ذا جناح أعنق، طويل الرجل أبرق، إذا تغلغل حلّق. وإذا انقضّ فتّق، ذا مخلب مُذلّق، يعيش حتى يُخلق، قال: بين، فقال: أحلف بالنور والقمر، والسناء والدهر، والرياح والفطر! لقد خبأتم لي جثة نسر، في عكم من شعر، مع الفتى من بني نصر؛ قالوا: صدقت، فاقض بين مالك بن عميلة وابن هاجر فقال: (الرجز)

أَحْلِف بِالمَـرْوَة وَالمَشَاعِرِ وَمَنْحَر الـبُـدْنِ لـدى الحَزاوِرِ
وَكُـلّ مَـن حَـجَّ عَـلَـى عُذافِر مِـنْ بَـيْـن مَطفور وَبَيْن نَاشِر
يُـوئِم بَيْت الـلـه ذِي السَّتائِرِ أن سَناء المَجْد وَالمَفَاخِرِ
لَفِي الفَتَى عُمَيْرَة بـن هَـاجِـر فَارْجع أَخا الدَّار بِجَد عَاثِر

فسار عميرة إلى الإبل فنحرها، وأخذ الإبل والفرس، وأنشأ مالك يقول: (الطويل)

شَآني لَمَّا أَنْ جَـرَيْـت ابْـن هَاجِرٍ فَـأَشْـمَـتُّ أَعْدَائِي وَأُخْرِجْتُ مِن مَالِي
فَيَالَيْتَنِي من قَبْل حِلّي وَرِحْلَتِي إِلَى الكاهِنِ الطَّاغُوتِ قَطَّعْت أوصالي
بِعَضْب حُسَام ذِي شَقَائِق مُرْهَفٍ وَلَم يَك سَرَّاء عُمَيْرَة مِن مَالِي
ضَلَلْتُ كَمَا ضَلَّت بِلَيْل فَلا تَرَى قُلاَمَـة ظُفْر في مُعَرِّس نَـزَّالِ

وقال أرطأة في ذلك لمالك: (الطويل)

نَدِمْت نَـئِـيشـاً أَن تَكُون أَطَعْتَنِي عَلَى حِـينٍ لا يُجْدِي عَلَيْك التَنَدُّمُ
(نئيشا بـعـد الـفـوت...)
فَجَارَيْت قَرْما مِن قُرُوم كَرِيمَةٍ فَقَصَّرْت إِذ أَعْيَا عَلَيْك التَقَدُّمُ

و – منـافرة بنـي مَخْزُوم وبنـي أُمَيّـة(1):

قال: اجتمع عند الحجر قوم من بني مخزوم وقوم من بني أمية فتذاكروا العِزّ والمنعة،

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 112 – 114 .

فقال رجل من بني كنانة كان حليفاً لبني مخزوم: بنو مخزوم أعز وأمنع، وقال رجل من بني زُبَيْد وكان حليفاً لبني أمية: بنو أمية أعز وأمنع، فجرى بينهما الكلام حتى غضب الوليد بن المغيرة المخزومي وأسيد بن أبي العيص وتفاخراً فجرى بينهما اللَّجاج فقال الوليد: أنا خير منك أماً وأباً وأثبت منك في قريش نسباً، فقال أسيد: أنا خير منك منصباً وأثبت منك في قريش نسباً وأنت رجل من كنانة من بني شجع دخيل في قريش نزيع في بني مَخْزُوم وأنا غرة بني عبد مناف وذؤابة قُصيّ، فتعال أفاخرك، ثم قال أسيد (الطويل):

لَسْت بِشِجْعِي وَلَكِن نِسْبَتِي ... إلى غُـرَّة لا قَوْل مَن يَتَنَحَّلُ

فَلَوْ كُنْت مِنَّا لَم تَعِثْ في فَسَادِنَا ... وَجَامَلْتَنَا وَالحَازِم المُتَجَمِّلُ

وَإلا تَدَع مَا بَيْنَنَا مِن عَدَاوَةٍ ... تَكُن لَكُم لَوْم أغَر مُحَجّلُ

قال: فتداعيا إلى المنافرة وكذلك كانت العرب تفعل وقالا: يحكم بيننا سطيح فليس من أحد من واحد من الفريقين فنرضى بما حكم بيننا فتراضيا به، وجعلا بينهما خمسين من الإبل للمنفِّر على صاحبه، قال: فخرجا نحوه وخرج معهما نفر من قومهما حتى أتوا سطيحاً، وهو يومئذ بصَعْدة باليمن فوجدوا في طريقهم مخلب ليث فجعلوه في مزود مع غلام أسود كان لأسيد بن أبي العيص وقالوا: نُخَبّئه له ونسأله عنه فإن أصاب نتحاكم إليه، فأتوه فأناخوا ببابه، وعقلوا الإبل عن الرجلين بفنائه، قال: فوثب رجل من بني مَخْزُوم وقال يا سطيح: (الرجز)

إليك حِيناً يا سَطِيح نَعْمد ... يَقُودُنَا جَمْعا إلَيْك الفَدْفَد

لَسْنا إلى غَيْرِكَ حقا نَقْصد ... ما إنْ لنا عَنْك هُدِيتَ عُنْدَد

فَعَجِّل الحُكْم ولا تَرَدَّد

قال: فخرج إليهم سطيح. فقالوا: إنا قد خبأنا لك خبيئاً فأنبئنا عنه حتى نتحاكم إليك بعد، فقال: خبأتم لي عوداً وما هو بعود، بل حجراً وليس بالجلمود، فقالوا: بيِّن، فقال: هو أحنف محدد، في مكتل أو مزود، مخلب ليث أربد، مع الغلام الأسود. قالوا: صدقت فاحكم بين الوليد بن المغيرة وبين أسيد بن أبي العيص، فقال: بالنجودِ أحلف وبالتهائم،

ثم بيت الله ذي الدَّعائم، وكل من حج على شُدَاقم، إني بما جئتم به لعا لم، إن ابن مخزوم أخو المكارم، فارجع يا أسيد بأنف راغم. ثم أقبل عليهما فقال: أما أنت يا وليد! فمثلك مثل جبل موّزر، فيه الماء والشجر، وفيه للناس مُعْتَصر ومنعة الحي والوَزر، للخير سبَّاق وللشر حذر. وأما أنت يا أسيد! فمثلك مثل جبل وَعر، فيه للمقتبسين جمر، ولا وِرْد ولا صَدْر، الخير، عندك نزر، والشر عندك أمر؛ فلج الوليد وظفر، وخاب أسيد وخسر. فأخذ سطيح ما كان جعل له من الإبل وقام الوليد إلى الإبل فنحرها وأطعمها الناس فأكلوا وحملوا.

ز – منافرة بَنِي قُصَي وبني مَخْزُوم(1):

روى معروف بن الخرّبوذ عن بشير بن تميم: جعل نفر من قريش مجلساً فقال أبو ربيعة ابن المغيرة وابنه المغيرة وبنو المغيرة: ومنا سُويد بن هرمي من بني عامر بن عبيد بن عامر ابن مخزوم، فقال أسيد بن ابي العيص بن أمية: إليك إنما بنو قُصَيّ أشرف إنما شرف عبد الله بن عمر لأن أمة برّة بنت قصي، فبها نال ما نال، ثم عدّد رجال قُصي، ثم قال: فينا السقاية والحِجابة والندوة والرفادة واللواء، فتداعوا إلى المنافرة فقال أسيد: إن نفّرتك أخرجتك من مالك، وإن نفرتني أخرجتني من مالي، فتراضيا بكاهن من خزاعة فقال ابن أبي همهمة وأمه تُمَاضِر بنت أبي عمرو بن عبد مناف: مهلاً يا أبا ربيعة! فأبى، وخرجوا وساقوا إبلاً ينحرها المنفَّر، فوجدوا في طريقهم حمامة أو يمامة فدفعوها إلى أسامة عبد أبي همهمة، فجعلها في ريش ظليم فلما أتوا الكاهن قالوا: ما خبأنا لك؟ فقال: إما غمامة تتبعها غمامة، فبرقت بأرض تهامة، فطفا من وبلها كل طَلْح وثمامة، لقد خبأتم لي فرخ حمامة، أو أختها يمامة في زِف نعامة، مع غلامكم أسامة. قالوا: احكمْ، فقال: أما ورب الواطدات الشُّم، والجَرْول السود بهنّ الصُمّ، وما جرت جارية في يم أن أسيداً لهو الخَضِم، لا تنكروا الفضل له في العّم.

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 114 – 116.

أما ورب السماء والأرض والماء وما لاح لنا من حراء. لقد سبق أسيد أبا ربيعة بغير مراء، قالوا: أقصيّ أفضل أم مخزوم؟ قال: أما ورب العاديات الضَّبح، ما يعدل الحُرّ بعبد نَحْنح، بمن أحل قومه بالأبطح. فنحر أسيد الجزر ورجع فأخذ مال أبي ربيعة، وكانت أخت أسيد عند أبي جهل فكلمت أخاها حتى رد على أبي ربيعة ماله.

ح – منافرة بَنِي لُـؤَي بن غَالِـب(1):

قال أبو فراس محمد بن فراس بن محمد بن عطاء بن خولي الشامي قال حدثني أبو حفص أخو أبي العلاء العامري قال حدثني إبراهيم بن عبد الملك العامري من بني حبيل قال: ولد للؤي بن غالب ابن يقال له عمرو مات صغيراً، وكان من أمره أنه خرج مع أخيه عامر بن لؤي في سفر، فلما أقبل إلى مكة تخلّف عمرو في طريقه عن عامر فنهشته أفعى فقتلته، فاتهمت بنو لؤي عامراً بقتله، فأرادوا قتله، فنهاهم ذوو الرأي منهم فسألوه الدية، فقال: لا أدي من لم أقتل، وجمع رأيهم على إتيان سَطِيح الذئبي في أمره، فقال لهم عامر: إن قال سطيح: إني قتلته، و لم أقتله أتقتلونني به؟ وإن قال: إني لم أقتله، وقد قتلته أتدعون دم أخيكم؟ قالوا: فما الرأي؟ قال: افعلوا في سفركم فعلاً، فإن أخبركم به صدق في صاحبكم، فخرجوا من مكة، فلما ساروا عشراً نحوراً بكراً واصطادوا عليه نسراً فأخذوا من خوافي ريشه عشراً ثم ساروا بعد العشر شهراً، ثم نحروا بكراً واصطادوا عليه نسراً وأخذوا من خوافي ريشه عشراً، ثم قدموا على سطيح، فقيل له: هؤلاء بنو لؤي بن غالب بالباب، فقال: ائذنوا لبني لؤي، فدخلوا عليه فقال: بنو لؤي أهل سناء وشرف وسؤدد ورفعة والأمر كائن فيهم غداً، ثم قال: خرجتم من بلادكم وقد شجر بينكم أمر فسرتم من بلادكم عشراً، ثم نحرتم بكراً، واصطدتم عليه نسراً، وأخذتم من خوافيه عشراً؛ ما قتل عامر عمراً، ولكن نَهَشَته أفعى. فقال له عامر: أخلق بالرجل أن يكون صدق، إنه كان تخلف عني في موضع كذا وكذا، فأتوا الموضع فوجدوا رأسه وأعظمه على جُحر الأفعى.

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 117 –118.

ط – منـافرة عُتْبَــة بن رَبِيعَة الفَاكِه بن المُغِيـرَة المَخْـزُومِي[1]:

حدثني أبو السكين زكريا بن عمر بن حصن الطائي قال: حدثني عم أبي زحر بن حصن عن جده حميد بن حارثة، قال أبو سعيد السُكرى وحدّثني أيضاً أبو السكين الطائي قال أبو بكر – يعني الحلواني وحدثني أيضاً أبو بكر محمد بن أحمد قال حدثنا أبو السكين الطائي بإسناده قال: كانت هند بنت عتبة بن ربيعة عند الفاكه بن المغيرة المخزومي، وكان الفاكه من فتيان قريش، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه عن غير إذن، فخلا البيت ذات يوم فقال هو وهند فيه ثم خرج الفاكه لبعض حاجته فأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه، فلما رأى المرأة ولّى هارباً وناداه الفاكه، وأقبل إلى هند فضربها برِجْلِه وقال لها: من هذا الذي كان عندك؟ قالت: ما رأيت أحداً ولا انتبهت حتى أنبهتني، فقال لها: الحقي بأبيك، وخاض فيها الناس فقال لها أبوها: يا بنية! أنبئيني نبأك، فإن كان الرجل عليك صادقاً دسست عليه من يقتله فانقطعت القالة عنك، وإن يكن كاذباً حاكمته إلى بعض كهان اليمن، فحلفت بما كانوا يحلفون به إنه لكاذب، فقال عتبة للفاكه: إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني إلى بعض كهان العرب، فخرج الفاكه في جماعة من بني مَخْزُوم وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرجت معهم هند ونسوة معها، فلما شارفوا البلاد تغيرت حال هند فقال لها أبوها: إني قد أرى ما بك من تغير الحال، وما ذلك إلا لمكروه عندك، قالت: لا والله يا أبتاه! ما ذاك لمكروه عندي، ولكني أعلم أنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب؛ ولا آمنه أن يسيمني ميسماً يكون عليَّ سُبّة إلى يوم القيامة، فقال لها: إني سوف أختبره من قبل أن ننظر في أمرك، فأخذ حبة من حنطة فأدخلها في إحليل فرسه وأوكى عليه بسير، فلما صبّحوا الكاهن نحر لهم وأكرمهم، فلما قعدوا قال له عتبة: إني قد خبأت لك خبيئاً فانظر ما هو؟ قال: ثمرة في كمرة. قال: أريد أبين من هذا، قال: حبة من بُرّ في إحليل مهر، قال: صدقت، انظر في أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهن ويضرب كتفها ويقول: انهضي، حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال: انهضي غير رسحاء ولا زانية، ولتلدنّ ملكاً يقال له معاوية،

---

(1) محمد بن حبيب – المنمق: 118 –120.

فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها فَنَتَرتْ يدها من يده، وقالت: إليك، فو الله لأحرصنّ على أن يكون ذلك من غيرك! فتزوجها أبو سفيان بعده فجاءت بمعاوية. قال أبو جعفر: قال لي أبو السكين الطائي: رحل أبو بكر بن عياش من الكوفة إلى البادية حتى لقي عم أبي فسأله عن هذا الحديث.

ي – منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية(1):

وكان لعبد المطلب جار يهودي يقال له «أذينة» يتّجر وله مال كثير، فغاظ ذلك حرب ابن أمية، وكان نديم عبد المطلب فأغرى به فتياناً من قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله؛ فقتله عامر بن عبد مناف بن عبد الدار وصخر بن عمرو بن كعب التيمي جد أبي بكر رضي الله عنه، فلم يعرف عبد المطلب قاتله فلم يزل يبحث حتى عرفهما، وإذا هما قد استجارا بحرب بن أمية، فأتى حرباً ولامه وطلبهما منه فأخفاهما، فتغالظا في القول حتى تنافرا إلى النجاشي ملك الحبشة فلم يدخل بينهما؛ فجعلا بينهما نُفيل بن عبد العُزَّى العدوي جد عمر بن الخطاب، فقال لحرب: يا أبا عمرو أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة، وأوسم وسامة، وأعظم منك هامة، وأقل منك ملامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صفداً، وأطول منك مدداً؟ وإني لأقول هذا، وإنك لبعيد الغضب، رفيع الصوت في العرب، جلد المريرة تحبك العشيرة؛ ولكنك نافرت منفراً.

فغضب حرب وقال: من انتكاس الزمان أن جُعلت حكماً.

فترك عبد المطلب منادمة حرب، ونادم عبد الله بن جُدْعَان التيمي، وأخذ من حرب مائة ناقة فدفعها إلى ابن عم اليهودي، وارتجع ماله إلا شيئاً هلك فغرمه من ماله.

وهو أول من تحنث بحراء فكان إذا حل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين جميع الشهر.

وتوفي وله مئة وعشرون سنة، وكان قد عمي، وقيل غير ذلك.

(1) ابن الأثير – الكامل في التاريخ، 2: 552 –554.

ك – منافرة هاشم بن عبد المطلب وأمية بن عبد شَمْس(1):

وولي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة فحسده أمية بن عبد شمس على رياسته وإطعامه فتكلف أن يصنع صنيع هاشم، فعجز عنه، فشمتت به، ناس من قريش فغضب ونال من هاشم، ودعاه إلى المنافرة فكره هاشم ذلك لسنّه وقدره فلم تدعه قريش حتى نافره على خمسين ناقة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية. وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وهو جد عمرو بن الحمق ومنزله بعسفان، وكان مع أمية همهمة بن عبد العزى الفهري وكانت ابنته عند أمية، فقال الكاهن: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أول منه وآخر، وأبو همهمة بذلك خابر.

فقضى لهاشم الغلبة، وأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها، وغاب أمية عن مكة بالشام عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية.

ل – منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية(2):

إلاّدَهٍ فَـــــلادَه

روى ابن الأعرابي: إلاده فلاده، ساكن الهاء. ويروى أيضاً، إلادِهِ فلادِهِ؛ أي إن لم تعط الاثنين لا تعط العشرة. قال أبو عبيد: يضربه الرجل يقول أريد كذا وكذا فإن قيل له ليس يمكن ذا. يقول: فكذا وكذا. وقال الأصمعيّ: معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن، وقال: لا أدري ما أصله. قال رؤبة: وقُوّلٌ إلادَهِ فلادَهِ. قال المنذري: قالوا معناه إلا هذه فلا هذه؛ يعني أن الأصل إلاذه فلاذه، بالذال المعجمة، فعربت بالدال غير المعجمة، كما قالوا يهوذا ثم عُرِّب فقيل يهودا. وقيل: أصله الأدهى؛ أي إن لم تضرب، فأدخل التنوين فسقط الياء؛ قال رؤبة:

---

(1) ابن الأثير – الكامل في التاريخ، 2: 554.

(2) الميداني – مجمع الأمثال، 1: 74 –76.

فَالْيَــوْم قَد نَهْنَهَنِي مُنَهْنِهِي وَأَول حلْم لَيْس بالْمُسَفَّهِ
وَقُــوَّل إلاده فَلاَدَهِ وحَقَّة لَيْسَت بِقَوْل التَرَّهِ

يقول: زجرني زواجر العقل ورجوع حلم ليس يُنسب إلى السَّفه وقوّل، أي ورجوع قوّل؛ أي قول يقلن إن لم تتب الآن مع هذه الدواعي لا تتب أبداً: وقوله حقة، أي وقالة حقة، يقال حق وحقة، كما يقال أهْل وأهْلَة، يريد الموت وقربه. روى هشام بن محمد الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن عقيل عن أبي طالب قال: كان عبد المطلب بن هاشم نديماً لحرب بن أمية حتى تنافرا إلى نُفَيْل بن عبد العزى، جدّ عمر بن الخطاب، فانفر عبد المطلب فتفرقا ومات عبد المطلب وهو ابن عشرين ومئة سنة، ومات قبل الفجار في الحرب التي بين هوازن. ويقال بل تنافرا إلى عزّى سلمة الكاهن. قالوا: كان لعبد المطلب ماء بالطائف، يقال له ذو الهرم، فجاء الثقفيون فاحتفروه فخاصمهم عبد المطلب إلى عِزّىَ أو إلى نُفيل، فخرج عبد المطلب مع ابنه الحارث، وليس له يومئذ غيره، وخرج الثقفيون مع صاحبهم وحرب بن أمية معهم على عبد المطلب فنفد ماء عبد المطلب فطلب إليهم أن يسقوه فأبوا، فبلغ العطش منه كل مبلغ، وأشرف على الهلاك، فبينا عبد المطلب يثير بعيره ليركب، إذ فجر الله له عيناً من تحت جِرانه فحمد الله وعلم أن ذلك منه فشرب وشرب أصحابه رِيّهم وتزودوا منه حاجتهم. ونفد ماء الثقفيين فطلبوا إلى عبد المطلب أن يسقيهم فأنعم عليهم. فقال له ابنه الحارث: لأنحنينّ على سيفي حتى يخرج من ظهري. فقال عبد المطلب: لأسقينَّهم فلا تفعل ذلك بنفسك، فسقاهم ثم انطلقوا حتى أتوا الكاهن، وقد خبئوا له رأس جرادة في خَرَزة مَزَادة، وجعلوه في قلادة كلب لهم يقال له سَوَّار، فلما أتوا الكاهن إذا هم ببقرتين تسوقان بينهما بَحزَجًا كلتاهما تزعم أنه ولدها، ولدتا في ليلة واحدة، فأكل النمر أحد البَحْزجين فهما تَرْأمان الباقي، فلما وقفتا بين يديه قال الكاهن: هل تدرون ما تريد هاتان البقرتان؟ قالوا: لا، قال الكاهن: ذهب به ذو جسد أربد وشدق مُرْمع، وناب معلق، ما للصغرى في ولد الكبرى حقّ، فقضى به للكبرى، ثم قال: ماحاجتكم؟ قالوا: قد خبأنا لك خبئاً فأنبئنا عنه ثم

نخبرك بحاجتنا. قال: خبأتم لي شيئاً طار فسطع فتصوب فوقع في الأرض منه بقع. فقالوا: لاده، أي بينه. قال: هو شيء طار فاستطار، ذو ذنب جرار، وساق كالمنشار، ورأس كالمسمار، فقالوا: لاده. قال: إن لاده فلاده، هو رأس جرادة، في خَرَز مَزَادة – في عنق سوّار ذي القلادة. قالوا: صدقت فأخبرنا فيما اختصمنا إليك؟ فأخبرهم وانتسبوا له فقضى بينهم، ورجعوا إلى منازلهم على حكمه.

م – منافرة أمية بن عبد شمس وهاشم بن عبد مَنَاف(1):

حدّثني الحارث، قال: حدّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا هشام بن محمّد، قال: حدّثني معروف بن الخرّبوذ المكّي، قال: حدّثني رجل من آل عديّ بن الخِيَار بن عديّ بن نوفل ابن عبد مناف عن أبيه، قال: وقال وهب بن عبد قُصي في ذلك – يعني في إطعام هاشم قومه الثّريد:

تَحمّل هاشِم ما ضَاق عَنْهُ وَأَعْيَا أَن يَقُوم بِه ابْن بِيض
أَتَاهُمْ بِالْغَرَائِرِ مُتْأَقَاتٍ مِن ارْض الشَّأم بِالبُر النَّفِيضِ
فَأَوْسَع أَهْل مَكَّة مِن هَشِيمٍ وَشَاب الخُبْز بِاللَّحْم الغَرِيضِ
فَظَل القَوْم بَيْن مُكَلّلاتٍ مِن الشِّيْزَى وَحَائرُها يَفِيض

قال: فحسده أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف – وكان ذا مال – فتكلّف أن يصنع صنيع هاشم، فعجز عنه، فشمت به ناس من قريش فغضب، ونال من هاشم، ودعاه إلى المنافرة، فكره هاشم ذلك لسنّه وقدره، و لم تدعه قريش وأحفظوه، قال: فإني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق، تنحرها ببطن مكة، والجلاء عن مكة عشر سنين. فرضى بذلك أميّة، وجعلا بينهما الكاهن الخُزاعيّ، فنفّر هاشماً عليه، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره، وخرج أميّة إلى الشام، فأقام بها عشر سنين، فكانت هذه أوّل

(1) تاريخ الطبري، 1: 504 – 505.

عداوة وقعت بين هاشم وأميّة.

حدّثني الحارث قال: حدّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا هاشم بن محمّد، قال: أخبرني رجل من بني كنانة، يقال له ابن أبي صالح، ورجل من أهل الرّقة مولى لبني أسد، وكان عالماً، قالا: تنافر عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أميّة إلى النّجاشيّ الحبشيّ، فأبى أن ينفّر بينهما، فجعل بينهما نُفَيْل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رِزَاح بن عديّ بن كعب، فقال لحرب: يا أبا عمرو، أتنافر رجلاً هو أطولُ منك قامة، وأعظم منك هامة، وأوسم منك وسامة، وأقلّ منك لامة، وأكثر منك ولداً، وأجزل منك صفداً، وأطول منك مذوداً! فنفّره عليه. فقال حرب: إنّ من انتكاث الزمان أن جعلناك حكماً. فكان أوّل من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم، مات بغزّة من أرض الشأم، ثم مات عبد شمس بمكة فقُبر بأجياد، ثم مات نوفل بسلمان من طريق العراق، ثم مات المطّلب بردمان من أرض اليمن، وكانت الرّفادة والسّقاية بعد هاشم إلى أخيه المطّلب.

2- منافرات عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفيْل:

أ - خبر أبي عبيدة(1):

[المتنافرون في الجاهلية ثلاثة]

عامر بن الطُّفَيْل، وعَلْقَمة بن عُلاثَة الجَعْفَرِيَّان، وتنازعا في الرئاسة حين أُهْتِر عامر ابن مالك ملاعب الأسنة، فقال علقمة: أنا أحق بها منك؛ لأن الأحوص بن جعفر كانت له و لم تكن لأبيك، فقال عامر: أنا أحقّ بها منك، لأني أفضل منك فتحاكما إلى هَرِم بن قُطْبَة بن سنان الفزاري. فقال عامر بن الطفيل لعمه عامر [بن] مالك: أعنّي، فقال له: سُبّني يا ابن أخي فأبى، فقال: أبو براء وأنا لا أسبّ عمّي وقال:

---

(1) أبو عبيدة - الديباج: 88-94 .

أأُومَر أن أَسُب أَبَا شُرَيْحٍ وَلا وَاللَّه أَفْعَل مَا حَيِيتُ

وَلا أُهْدِي إِلى هَرِم لِقاحاً فَيُحْيي بَعْد ذلك أَو يُميتُ

فشخص بنو مالك بن جعفر مع عامر ومعه لبيد بن ربيعة، وشخص بنو الأَحْوَص بن جعفر مع عَلْقَمَة بن عُلاثَة ومعه الحُطَيْئة، ومع كل واحد منهما ثلاثمئة بعيرٍ يُعطى الحاكم منها مئة، ويَعْقِرُ مئة ويأكلُ هو وأصحابه في الطريق مئة، فلما بلغ هرماً دنوّهما استخفى فجعلا يتهاتران. فقال عَلْقَمَة: أنا عفيفٌ وأنت عاهرٌ، وأنا ولودٌ وأنت عاقرٌ، وأنا أقربُ إلى ربيعة، وكانت أمّه منهم.

فقال عامر:

فَاخَرتَني بِيَشْكُر بن بَكْرِ

وَالْنَّجِيَّيْن أَهْل سَيف البَحْرِ

وَجَمْع عبْد القَيْس أَهْل النَّمْرِ

هذا أوان أخذت للنصر

وقال لبيد:

يا هَرِم بْن الأَكْرَمِين مَنْصِبَا

إِنّ الذِّي يَعْلُو عَلَيْهَا تُرْتُبا

لِخَيْرُنَا خَالا وَعَمّا وَأَبا

فَطَبِّق المِفْصِل وَاغْنَمْ طَيِّبَا

وقال لبيد:

يَا هَرِما وَأَنْت خَيْر عَدْلِ

هَل تُوهِنَن حَسَبِي وَفَضَلِي

وَإَن ورِدَ(1) الأَحْوَص يَوْما قَبْلي

ثُم لَحِقْت بِانْطِلاق رَسْلِي

قد عَلِموا أنّا خِيَارُ الطَّبْلِ

فعنّ له السندري بن عيساء فقال:

إِنِي لِمَن يَسْأل عَنّي السَّنْدَرِيّ

أَنَا الغُلام الأَحْوَصِي الجَعْفَرِيّ

وقال:

هل فيكم يوم كيوم الجَبَلَة(2)

يَوْمٌ أَتَتْنَا أَسَد وَحَنْظَلة

وَالمَلِكَان وَالْجُمُوع أَزْفَلَة

كَأَنَّهُم مهنوة مدجلة(3)

نَعْلُوهُمُ بِقُضُب مُنْتَخَلَة

لَمْ تَعْدُ أَن أَفْرش عَنْهَا الصَّقَلَة

وكان الأحوص رئيس هوازن وعبس وغُنَىٍّ وباهلة يوم جبلة، فقال عامرُ: يا لبيدُ أما ترى إلى العبد؟ فقال: والله لا أجعل عرضي إلى ابن السّوداء، وقال:

وَلَمَّا دَعَانِي عَامِر لِأَسُبَّهُمْ أَبيت وَإِنْ كَان ابْن عَيْسَاءَ ظَالِما

لكيلا يَكُون السَّنْدَرِي نديدنا وَأَجْعَل أعماماً عُمُومًا عَمَاعِما

وجعل الحطيئة يقول ولا يحقق:

وَمَا يَنْظُر الحُكَّامُ فِي الفَّضْل بَعْدَمَا بَدَا وَاضِح ذُو غُرّة وَحُجُول

---

(1) في الأصل : (وإن ولد الأحوص) والتصويب من ديوان لبيد.

(2) في الأصل : (وهل...)

(3) كذا في الأصل، وهي في (المناقب المزيدية) مُجَدّلة

فلمّا رأوا هرماً لا يظهر توجهوا إلى عكاظ فلقى الأعشى بن قيس عامراً، [فقال:] ما الخطب يا أبا علي؟ فأخبره، وقال: إني قائل أبياتاً أتقّول عليه، وأزعم أنكما حكمتماني، ثمّ وأنا واقف في سوق عكاظ أنشدها فينشدها قواعد أصحابك أن يعقروا الإبل ويحفظ الشعر، ففعل وغدا الأعشى فقال – ورفع عقيرته، أي صوتَه، بالغناء–:

عَلْقَم لا لَسْتَ إلى عَامِرٍ النَّاقِض الأَوْتَار وَالوَاتِرِ

سُدْت بَنِي الأَحْوَصِ لَم تَعْدُهُمْ وَعَامِر سَاد بَنِي عَامِرِ

سَاد وَأَلْفَى رَهْطَه سَادَةً وَكَابِرا سَادُوك عَن كَابِرِ

مَن يَجْعَل الجُدَّ الظَّنُون الذِّي جُنِّب صَوْب اللَّجِب المَاطِرِ

مِثْل الفُرَاتِي إذَا مَا طَمَا يَقْذِف بالبُوصِي وَالمَاهِرِ

حَكَّمْتُوه فَقَضَى بَيْنَكُمْ أَبْلَج مِثْل القَمَر الزَّاهِرِ

و لم يزد على هذه الأبيات، وشدّ أصحاب عامر فعقروا الإبل ونادوا: أعامر ثم تفرقوا، وكان في سرعان أصحاب عامر فتىً تقدم قبل القوم فأورد فريقاً على الماء – وهو رافع عقيرته – يقول:

عَلْقَم لا لَسْت إلى عَامِرٍ النَّاقِض الأَوْتَار وَالوَاتِرِ

فسمعته مليكة بنت الحطيئة فوضعت البوغاء على رأسها وهتفت: واحرباه؟ هذا والله شعر أبي بصير، فلما توعد علقمة الأعشى وزاد فيها:

شَاقَتْك مِن قَتْلَة أَطْلالها ... إلى آخر القصيدة.

وقال فيه كلمته التي فيها:

وما ذَنْبُنَا أَنْ جَاش بَحْر ابْن عَمِّكُمْ وَبَحْرُك سَاجٍ لا يُوارِي الدَّعَامِصَا

كِلَا أَبَوَيْكُم كَان فَرْعَا دِعَامَةً وَلَكِنَّهُم زَادُوا وَأَصْبَحْت نَاقِصَا

وأسلم هَرِم بن قُطْبَة الفزاري فقال له عمر – رحمه الله– حين وفد عليه: لمن كنت حاكماً؟ فقال: أعفني يا أمير المؤمنين؛ فوالله لو أظهرتُ اليوم شيئاً لعادت الحكومةُ

جذعةً. قال: صدقت بهذا العقل حكمت بدر. قال: والله لناس يروون أنه قال لعلقمة: والله لبيان عامر أشهر منكم في العرب. وقال لعامر: أتنافر علقمة وأنت أعور عاقر. لا والله ما رآهما ولا رأياه، ولئن شئت لتسمعن قائلاً يقول: أنتما كركبتي الجمل الأدرم. ولو قال هذا لادّعى كلٌّ واحدٍ منهما أنه المعني ولتفانا جذماهما ولكنهما قد تهاترا ببابه فحكاه من لا يعلم عن من لا يعلم عن هرم. يقول: تنافر فنفر فلانٌ فلاناً، والحاكم ينفر أفضلهما.

ب -: خبر الأصفهاني(1):

الخبر في هذه القصة

وسبب منافرة عامر وعلقمة

وخبر الأعشى وغيره معهما فيها

أخبرني بذلك محمد بن الحسن بن دريد إجازة، عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، ونسخت من روايات ابن الكلبي عن أبيه، ومن رواية دَمَاذ والأَثْرَم عن أبي عبيدة والأصمعي، ومن رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي عن المفضّل، ومن رواية أبي عمرو الشيباني عن أصحابه، فجمعت رواياتهم، ولكل امرئ منهم زيادة. على صاحبه ونقصان عنه، واللفظ مشترك في الروايات، إلا ما حكيته مفرداً.

قال ابن الكلبيّ: حدثني أبي ومحرز بن جعفر، وجعفر بن كلاب الجعفريّ، عن بشر ابن عبد الله بن حيّان بن سلمى بن مالك بن جعفر، عن أبيه، عن أشياخه وذكر بعضه أبو مسكين، قالوا:

أول ما هاج النِّفَار بين عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، وبين عَلْقَمَة بن عُلاثَة بن عوف بن الأحوص – وأم عامر: كبشة بنت عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر، وأمها أم الظباء بنت معاوية، فارس الهرّار، ابن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة، وأمها خالدة

---

(1) الأصفهاني– الأغاني، 16: 283 – 293 .

بنت جعفر بن كلاب، وأمها فاطمة بنت عبد شمس بن عبد مناف، وأم أبيه الطّفيل:أم البنين بنت ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة.

قال أبو الحسن الأثرم: وكانت أم علقمة ليلى بنت أبي سفيان بن هلال بن النّخع سبيّة، وأم أبيه ماوية بنت عبد الله بن الشّيطان بن بكر بن عوف بن النخع مُهَيْرَة –

إن علقمة كان قاعداً ذات يوم يبول، فبصر به عامر، فقال: لم أر كاليوم عورة رجلٍ أقبح. فقال علقمة: أما والله ما تثب على جاراتها، ولا تنازل كنّاتها؛ يعرّضُ بعامر. فقال عامر: وما أنت والقروم! والله لفرس أبي «حَنْوة» أذكر من أبيك؛ ولفحل أبي «غَيْهب» أعظم ذكراً منك في نجد. قال: وكان فرسه فرساً جواداً، نجا عليه يوم بني مرة بن عوف ابن سعد بن ذُبيان، وكان فحله فحلاً لبني حرملة بن الأشعر بن صرمة بن مرّة بن عوف ابن سعد بن ذبيان.

قال الأثرم: وأخبرني رجل من جهينة بدمشق، قال: هو الأشعر بن صِرْمة.

قال الأثرم: سمي صرمة غَيْهب لسواده.

قال ابن الكلبيّ: فاستعاره منهم يستطرقه، فغلبهم عليه، فقال علقمة: أما فرسكم فعارة، وأما فحلكم فغدرة. ولكن إن شئت نافرتك. فقال: قد شئت.

فقال عامر: والله لأنا أكرم منك حسباً، وأثبت منك نسباً، وأطول منك قصباً.

فقال علقمة: لأنا خير منك ليلاً ونهاراً.

فقال عامر: لأنا أحب إلى نسائك أن أصبح فيهن منك.

فقال علقمة: على ماذا تنافرني يا عامر؟

فقال عامر: أنافرك على أني أنحر منك للّقاح، وخير منك في الصباح، وأطعم منك في السنة الشّياح.

فقال علقمة: أنت رجل تقاتل والناس يزعمون أني جبان، ولأن تلقى العدوّ وأنا أمامك، أعزّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك. وأنت جواد والناس يزعمون أني بخيل،

ولست كذلك، ولكن أنافرك أني خير منك أثراً، وأحدّ منك بصراً، وأعز منك نفراً، وأسرح منك ذِكْراً.

فقال عامر: ليس لبني الأحوص من فضل على بني مالك في العدد، وبصري ناقص، وبصرك صحيح؛ ولكني أنافرك على أني أنشر منك أمّة، وأطول منك قمّة، وأحسن منك لمّة، وأجعد منك جُمّة، وأبعد منك همّة.

قال علقمة: أنت رجل جسيم، وأنا رجل قَضِيف، وأنت جميل، وأنا قبيح، ولكني أنافرك بآبائي وأعمامي.

فقال عامر: آباؤك أعمامي و لم أكن لأنافرك بهم، ولكني أنافرك أني خير منك عقباً، وأطعم منك جدباً.

قال علقمة: قد علمت أن لك عقباً في العشيرة، وقد أطعمت طيباً إذ سارت؛ ولكني أنافرك أني خير منك، وأولى بالخيرات منك؛ وقد أكثرنا المراجعة منذ اليوم.

قال: فخرجت أم عامر، وكانت تسمع كلامهما، فقالت: يا عامر، نافره أيكما أولى بالخيرات.

قال أبو المنذر: قال أبو المسكين: قال عامر في مراجعته: والله لأنا أركب منك في الحُمَاة، وأقتل منك للكُماة، وخير منك للمولى والمولاة.

فقال له علقمة: والله أني أعز منك، إني لبرّ وإنك لفاجر، وإني لوفيّ وإنك لغادر، ففيم تفاخرني يا عامر؟ فقال عامر: والله إني لأنزل منك للقَفْرة، وأنحر منك للبَكْرة، وأطعم منك للهَبْرة، وأطعن منك للثّغرة.

فقال علقمة: والله إنك لكليل البصر، نكد النظر، وثّاب على جاراتك بالسّحر.

فقال بنو خالد بن جعفر، وكانوا يداً مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر: لن تطيق عامراً، ولكن قل له: أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات، وخذ عليه بالكِبَر. فقال له علقمة هذا القول.

فقال عامر: عنز وتيس، وتيس وعنز، فذهبت مثلاً، نعم على مئة من الإبل، إلى مئة من الإبل يُعطاها الحكم، أ يّنا نُفّر عليه صاحبه أخرجها، ففعلوا ذلك، ووضعوا بها رهناً من أبنائهم، على يدي رجل من بني الوحيد، فسمى الضّمين إلى الساعة، وهو الكفيل.

قال: وخرج علقمة ومن معه من بني خالد، وخرج عامر فيمن معه من بني مالك، وقد أتى عامر بن الطفيل عمه عامر بن مالك، وهو أبو براء، فقال: يا عماه، أعنّي. فقال: يا ابن أخي، سُبّني. فقال: لا أسبك وأنت عمي. قال: فسُبّ الأحوص. فقال عامر: ولا أسب والله الأحوص وهو عمي، فقال: فكيف إذن أعينك، ولكن دونك نعلي، فإني قد ربعت فيها أربعين مِرْبَاعاً، فاستعن بها في نفارك.

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب بن أمية، فلم يقل بينهما شيئاً، وكره ذلك لحالهما وحال عشيرتهما، وقال: أنتما كركبتي البعير الأدرم، تقعان بالأرض «قالا: فأينا اليمين؟ فقال: كلاكما اليمين. وأبى أن يقضي بينهما. فانطلقا إلى أبي جهل بن هشام، فأبى أن يحكم بينهما، فوثب مروان بن سراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص بن جعفر، فقال:

يــا لَ قُــرَيْــشٍ بَــيّــنــوا الــكَــلامَــا إنّا رَضِينا مِنْكُم الأَحْكامَا

فَــبــيّــنــوا إنْ كُــنْــتُــمُ حُــكّــامــا كــان أَبُـــونـــا لَهُــم إمَامَا

وَعَــبْــدُ عَــمْــرو مَــنَــعَ الــفِّــئــامَــا في يَــوْمِ فَــخْــرٍ مُــعْــلَــمٍ إعْــلامَــا

وَدَعْــلَــجٌ أقْــدَمَــهُ إقْــدَامــا لَوْلا الذي أَجْشَمَهُم إجْشَامَا

لاتَّخَذَتْهُــم مَذْحِــج نعاما

قال: فأبوا أن يقولوا بينهما شيئاً.

وقد كانت العرب تحاكم إلى قريش، فأتيا عُيينة بن حصن بن حذيفة، فأبى أن يقول بينهما شيئاً. فأتيا غيلان بن سلمة بن مُعتب الثّقفي، فردهما إلى حرملة بن الأشعر المُرّي، فردهما إلى هَرِم بن قُطْبَة بن سنان بن عمرو الفزاريّ، فانطلقا حتى نزلا به.

وقال بشر بن عبد الله بن حبّان بن سلمى: إنهما ساقا الإبل معهما، حتى أشتت

وأربعت، لا يأتيان أحداً إلا هاب أن يقضي بينهما؛ فقال هَرِم: لعمري لأحكمن بينكما، ثم لأفصلن، ثم لست أثق بواحد منكما، فأعطياني موثقاً أطمئن إليه أن ترضيا بما أقول، وتسلّما لما قضيت بينكما، وأمرهما بالانصراف، ووعدهما ذلك اليوم من قابل. فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل من قابل، خرجا إليه، فخرج علقمة ببني الأحوص، فلم يتخلف منهم أحد، معهم القباب والجُزُر والقدور، ينحرون في كل منزل ويطعمون، وجمع عامر بني مالك، فقال: إنما تخاطرون عن أحسابكم، فأجابوه وساروا معه، ولم ينهض أبو براء معهم، وقال لعامر: والله لا تطلع ثنية إلا وجدت الأحوص منيخا بها، وكره أبو براء ما كان من أمرهما، فقال عامر(1) فيما كره من منافرتهما، ودعاء عامر إياه أن يسير معه:

أَأُومَــر أَن أَسُب أَبَا شُرَيْحٍ ... وَلا وَاللَّه أفْعَل مَا حَيِيتُ
وَلا أُهْدِي إلى هَرِم لِقاحاً ... فَيُحْيي بَعْد ذلك أَو يُميتُ
أُكَلَّف سَعْي لُقْمَان بن عادٍ ... فَيَال أبي شُرَيْح مَا لَقِيتُ

قال: أبوشُرَيْح هو الأَحْوَص، فكره كل واحد من البطنين ما كان بينهما، وقال عبد عمرو بن شُرَيْح بن الأَحْوَص:

لَحَى الله وَفْدَيْنَا وَمَا ارْتَحَلا بِهِ ... مِن السَّوْءةِ الباقِي عَلَيْهِم وَبَالُهَا
أَلا إِنَّما بُرْدَى صِفاق مَتِينَة(2) ... أَبَى الضَّيْم أَعْلاهَا وَأُثْبِتَ حَالُهَا

قال: فسار عامر وبنو عامر على الخيل مُجْنِبي الإبل، وعليهم السلاح، فقال رجل من غُنَيّ: يا عامر، ما صنعت؟ أخرجت بني ما لك تنافر بني الأَحْوَص ومعهم القباب والجُزُر، وليس معك شيء تطعمه الناس! ما أسوأ ما صنعت! فقال عامر لرجلين من بني عمه: أحصيا كل شيء مع علقمة من قُبّة أو قِدْر أو لَقْحة.

ففعلا. فقال عامر: يا بني مالك، إنها المقارعة عن أحسابكم، فاشخصوا بمثل ما

(1) المراد بعامر هنا عامر بن مالك، انظر ص198وص185.

(2) كذا في الأصل، وهو في التذكرة الحمدونية (ألا إنما يُرْوي صفاةً متينةً).

شخصوا به، ففعلوا. وثار مع عامر لبيد بن ربيعة والأعشى، ومع علقمة الحُطيئة وفتيان من بني الأحوص، منهم السّندريّ بن يزيد بن شريح، ومروان بن سُراقة بن قتادة بن عمرو بن الأحوص، وهم يرتجزون، فقال لبيد:

يَا هَرِمًا وَأَنْتَ أَهْل عَدْلِ إن نُفِّر الأَحْوَص يَوْمًا قَبْلِي
لِيَذْهَبَنَّ أَهْلُهُ بِأَهْلِي لا تَجْمَعَن شَكْلَهُم وَشَكْلِي
وَنَسْلَ آبَائِهُم وَنَسْلِي

وقال أيضاً:

إِنِّي امْرُؤ مِنْ مَالك بن جَعْفَر عَلْقَم قَد نَافَرْت غَيْر مُنَفر
نَافَرْت سَقْبًا مِن سِقَاب العَرْعَر

فقال قحافةُ بن عوف بن الأحوص:

نَهْنِه إِلَيْك الشّعْرَيَا لَبِيدُ وَاصْدُد فَقَد يَنْفَعُك الصُّدُودُ
سَاد أَبُونَا قَبْل أَن تَسُودُوا سُؤْدُدُكُم مُطَرَّف زَهِيدُ

وقال أيضاً:

إِنِّي إِذَا مَا نُسِي الحَيَاءُ وَضَاع يَوْم المَشْهَد اللِّوَاءُ
أُنْمَى وَقَد حُق لِي النَّمَاءُ إلى ذُكُور ذكْرُها سَنَاءُ
إِذ لا تَزَال جَلْدَة كَوْمَاءُ مَبْقورة لِسَقْبِها دُعَاءُ
لَم يَنْهِنَا عَن نَحْرِهَا الصَّفَاءُ لَنَا عَلَيْكُم سُورَة وَلاءُ
المَجْدُ وَالسُّؤْدُدُ وَالعَطَاءُ

وقال أيضاً:

انْتُم هَزَلْتُم عامِر بن مَالِكِ في شَتَوات مُضَر الهَوالِكِ
يا شَر أَحْياء وشَر هَالِكِ

قال: وأنشدها السّندريّ يومئذ، ورفع صوته، فقيل: من هذا؟ فقال:

أنا لِمَن أَنْكَر صَوْتِي السَّنْدَرِيّ أنا الفَتى الجَعْد الطَّويل الجَعْفَرِيّ
مِن وَلَد الأَحْوص أخْوالِي غني

فقال عامر: أجب يا لبيد. فرغب لبيد عن إجابته، وذلك لأن السّندريّ كانت جدته أمة اسمها عيساء، فقال:

وَلَمَّا دَعَانِي عَامِر لِأَسُبَّهُمْ أَبيت وَإِن كَان ابْن عَيْسَاء ظَالِما
لِكَيْمَا يَكُون السَّنْدَرِي نَدِيدَتي وَأَشتُم أعْمَامًا عُمُومًا عَمَاعَمَا
وَأَنْبُش مِن تَحْت القُبور أُبُوَّةً كِرَامًا هُم شَدُّوا عَلَي التَّمَائِمَا
لَعِبْت عَلَى أَكْتَافِهِم وَحُجُورِهِمْ وَلِيدًا وَسَمَّوْنِي مُفِيدا وَعَاصِمَا
ألا أَيُّنَا مَا كَان شَرا لِمَالِكٍ فَلا زَال فِي الدُّنْيَا مَلُومًا وَلائِمَا

قال: ووثب الحُطيئة، فقال:

فما يَحْبِس الحُكَّام بِالفَصْل بَعْدَمَا بَدَا سَابِق ذُو غُرّة وحُجُول(1)

وقال أيضاً:

يَا عَام قَد كُنْت ذَا بَاع وَمَكْرُمَةٍ لَو أَن مَسْعَاة مَن جَارَيْتَهُ أَمَمُ
جاريت قرماً أجاد الأحوصان به سمح اليدين وفي عرنينه شممُ
لا يصعُب الأمر إلا ريث يركبه ولا يبيت على مالٍ له قسمُ
هابت بنو مالك مجداً ومكرمة وغايةً كان فيها الموت لو قدموا
وما أساؤوا فرارا عن مجلّحةٍ لا كاهن يمتري فيها ولاحكم

قال: وأقام القوم عنده أياماً، وأرسل إلى عامر، فأتاه سراً، لا يعلم به علقمة فقال: يا عامر، قد كنتُ أرى لك رأياً، وأن فيك خيراً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتنافر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بآبائه؟ فما الذي أنت به خير منه؟

قال عامر: أنشُدُك الله والرّحم أن لا تُفضّل عليّ علقمة، فوالله إن فعلت لا أفلح بعدها

(1) كذا ورد البيت في الأغاني، وهو في الديوان كما سبق (فما ينظر الحكام بالفَضْل...).

أبداً. هذه ناصيتي فاجزُزها. واحتكم في مالي، فإن كنت لا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه. قال: انصرف، فسوف أرى رأيي. فخرج عامر وهو لا يشك أنه ينفّره عليه.

ثم أرسل إلى علقمة سرّاً، لا يعلم به عامر، فأتاه فقال: يا علقمة، والله إن كنت لأحسب فيك خيراً، وأن لك رأياً، وما حبستك هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك. أتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب؟ وأبوه أبوك، وهو مع هذا أعظم قومك غناء، وأحمدهم لقاء؟ فما الذي أنت به خير منه؟ فقال له علقمة: أنشدك الله والرّحم لا تنفّر عليّ عامراً. اجزُز ناصيتي، واحتكم في مالي، وإن كنت لا بد أن تفعل فسوّ بيني وبينه. فقال: انصرف فسوف أرى رأيي. فخرج وهو لا يشك أنه سيفضّل عليه عامراً.

قال أبي: وسمعت أن هَرِماً قال لعامر حين دعاه: يا عامر، كيف تفاضل علقمة؟ فقال عامر: و لم يا هَرِم؟ قال: لأنه أنجل منك عيناً في النساء، وأكثر منك نفيراً عند ثورة الدعاء، قال عامر: هل غير هذا؟ قال: نعم. هو أكثر منك نائلاً في الثّراء، وأعظم منك حقيقة عند الدعاء. ثم قال لعلقمة: كيف تفاضل عامراً؟ قال: و لم يا هَرِم؟ قال: هو أنفذ منك لساناً، وأمضى منك سناناً. قال علقمة: فهل غير هذا؟ قال: نعم. هو أقتل منك للكُماة، وأفك منك للعناة.

قال: ثم إن هَرِماً أرسل إلى بنيه وبني أبيه: إني قائل غداً بين هذين الرجلين مقالة، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينحرها عن علقمة، ويطرد بعضكم عشر جزائر، فلينحرها عن عامر، وفرّقوا بين الناس، لا تكون لهم جماعة.

وأصبح هَرِم، فجلس مجلسه، وأقبل الناس، وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا، فقام لبيد فقال:

يَا هَرِمِ ابْن الأَكْرَمِين مَنْصِبَا ... إِنَّكَ قَد وُلِّيت حُكْمًا مُعْجِبَا
فَاحْكُم وَصَوِّب رَأْس(1) مَن تُصَوِّبَا ... إن الذِّي يَعْلُو عَلَيْنَا تُرْتُبَا
لَخَيْرُنَا عَمًّا وَأُمًّا وَأَبَا ... وَعَامِر خَيْرُهُمَا مَرْكَّبَا
وَعَامِر أَدْنَى لِقَيْس نَسَبَا

(1) :كذا في الأصل، وهي في الديوان : (رأي) وكذا في سرح العيون كما سيأتي ص 286.

فقام هَرِم فقال: يا بني جعفر، قد تحاكمتما عندي، وأنتما كركبتي البعير الأدرم: تقعان إلى الأرض معاً، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم، وعمد بنو هَرِم وبنو أخيه إلى تلك الجُزُر، فنحروها حيث أمرهم هَرِم عن علقمة عشراً، وعن عامر عشراً، وفرقوا الناس، فلم يفضّل هرم واحداً منهما على صاحبه، وكره أن يفعل وهما ابنا عم، فيجلب بذلك عداوة، ويوقع بين الحيين شراً.

قال: وكان الأعشى حين رجع من عند قيس بن معد يكرب بما أعطاه طلب الجوار والخُفرة من علقمة، فلم يكن عنده ما طلب، وأجاره وخفَره عامر، حتى إذا أداه وماله إلى أهله قال:

عَلْقَم مَـــا أَنْـــت إِلى عَامِرِ النَّاقِض الأَوْتَار وَالْوَاتِرِ

ثم أتمها بعد النّفار. فلما بلغ علقمة ما قال الأعشى، وأشاع في العرب أن هَرِماً قد فضّل عامراً، توعّد الأعشى، فقال الأعشى:

لَعَمْرِي لَئِن أَمْسَى مِن الحَي شَاخِصا

قال ابن الكلبي: حدّثني أبي قال: فعاش هَرِم حتى أدرك سلطان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عمر فقال: يا هَرِم؛ أيّ الرجلين كنت مفضلاً لو فضلت؟ فقال: لو قلت ذاك يا أمير المؤمنين لعادت جَذَعَة، ولبلغت شعَاف هَجَر. فقال عمر: نعم مستودعُ السّرّ ومسندُ الأمر إليه أنت يا هَرِم، مثلُ هذا فليسُد العشيرة. وقال: إلى مثلك فليستبضِع القومُ أحكامهم.

ج – خبر ابن نباتة(1):

[منافرة عَـلْـقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيْل]

هو هَرِم بن قُطْبَة بن سيّار والفزاري حكم من حكام العرب، يقضي بين السّادات فيرضون بقضائه، ولا يُردّ قولُه إذا فضّل أحد المتنافرين على الآخر. ومعنى المنافرة

(1) ابن نباتة – سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: 162– 166.

المحاكمة في الحسب والفضل بين الرّجلين، يقال: نافره إذا حاكمه، ونفره إذا غلبه.

وعَلْقَمَة هذا هو عَلْقَمَة بن عُلاثَة بن جعفر؛ من بني عامر بن صعصعة. وعامر هو ابن الطّفيل بن مالك الأحوص، وكلّ منهما سيّدٌ من سادات قومه، فارس شاعر، وسأورد من أخبارهما شيئاً.

فأمّا سبب منافرتهما كما حكى أبو عبيدة وغيره، قال: أوّل ما هاج النّفار بين عَلْقَمَة ابن عُلاثَة وعامر بن الطّفيل أنّ عَلْقَمَة كان قاعداً ذات يوم يبول، فبصر به عامر وقال: لم أر كاليوم عورة رجل أقبح من عورتك! فقال عَلْقَمَة: لأنّها لا تثب على جاراتها، ولا تنال كنّاتها – يعرّض بعامر – فقال عامر: وما أنت والقُروم! والله لفرسُ أبي المسمّى «حَنْوَة» أذكر من أبيك، ولفحلُ أبي المسمّى «الغيهب» أعظم ذكراً منك.

فقال عَلْقَمَة: أما فرسكم فعارة، وأما فحلكم فغدرة – وكانوا قد استعاروا هذا الفحل من رجل من كلب يستطرقونه فغلبوه عليه – ولكن إن شئت نافرتك؛ قال: قد شئتُ.

فقال عَلْقَمَة: والله أني لبَرٌّ وإنّك لفاجرٌ، وإنّي وفيّ وإنّك لغادر، فبم تفاخرني يا عامر!

فقال عامر: والله إني لأنزل منك في القَفْرة، وأنحر للبَكْرة، وأطعن للثّغرة؛ ثم تنافروا على مئة من الإبل إلى مئة، يعطيها الحكم أيّهما نفّر عليه صاحبه. ثم خرج عَلْقَمَة بمن معه من بني خالد، وخرج عامر بمن معه من بني مالك، وقد أتى عامر بن الطفيل عمّه ملاعب الأسنّة، فقال: يا عمّاه أعنّي؛ قال: يا بن أخي؛ سُبّني، قال: لا أسبّك وأنت عمي، قال: دونك نعلي؛ فإنّي ربعتُ فيهما أربعين مِرْبَاعاً، فاستعن بهما في نفارك.

وجعلا منافرتهما إلى أبي سفيان بن حرب، فلم يقل فيهما شيئاً، وكره ذلك الأمر لحالهما وحال عشيرتهما، فانطلقا إلى هَرِم بن قُطْبَة حتى نزلا به، فقال هرمٍ: لأحكمنّ بينكما ثم لأفصلن، ثم لست أثق بواحدٍ منكما، فأعطياني موثقاً أطمئن إليه؛ أن ترضيا بما أقول. وأمرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل، فانصرفا حتى إذا بلغ الأجل خرجا إليه: فخرج عَلْقَمَة ببني الأحوص معهم القباب والجُزر والقدور، ينحرون في كلّ منزلٍ ويطعمون. وجمع عامر بني مالك، وخرجوا على الخيل عليهم السلاح،

فقال رجل من غنيَ: يا عامر، ما صنعت! أخرجت بني مالك تفاخر بني الأَحْوص، معهم القباب والجُزر، وليس معك شيء تطعم الناس، ما أسوأ ما صنعت. فقال عامر لرجلين من بني عمّه: أحصيا كلّ شيء مع عَلْقَمَة من قبّة أو قدر أو لقحة. ففعلا، فقال عامر: يا بني مالك، إنّها المقارعة عن أحسابكم، فاشخصوا بمثل ما شخصوا. ففعلوا.

وأتوا هرماً فأقاموا عنده أياماً، وأرسل إلى عامر فأتاه سرّاً لايعلم به عَلْقَمَة، فقال: يا عامر؛ قد كنت أرى لك رأياً وفيك خيراً، وما حبستكَ هذه الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك، أتفاخر رجلاً لا تفخر أنت وقومك إلا بآبائه! فما الذي أنت به خير منه! فقال عامر: ناشدتُك الله والرّحم ألاّ تفضّل عليَّ عَلْقَمَة؛ فوالله إن فعلت لا أفلح بعدها! هذه ناصيتي جُزّها، واحتكم في مالي، فإن كنت ولا بدّ فاعلاً فسوّ بيني وبينه. فقال: انصرف فسوف أرى رأيي.

فخرج عامر وهو لا يشكّ أنه ينفّره عليه، ثم أرسل هرم إلى عَلْقَمَة سرّاً لا يعلم به عامر، فأتاه، فقال: يا عَلْقَمَة، والله إني كنت لأحسب فيك خيراً أتفاخر رجلاً هو ابنُ عمّك في النّسب، وأبوه أبوك، وهو أعظم منك غناء، وأجمل لقاء! فما الذي أنت به خير منه؟ فقال له عَلْقَمَة: نشدتُك الله ألا تنفر عليَّ عامراً! فأجابه بما أجاب به الآخر، وانصرف.

ثم إن هرماً أحضر بنيه وبني أبيه، فقال: إنّي قائل غداً بين هذين الرجلين مقالة، فإذا فعلت فليطرد أحدكم عشر جزائر فينحرها عن عامر، ويطرد بعضكم عشر جزائر فينحرها عن عَلْقَمَة، وفرّقوا بين الناس لئلا يكون لهم جماعة. وأصبح هرم فجلس في مجلسه، وأقبل الناس، وأقبل عَلْقَمَة وعامر حتى جلسا، فقام لبيد، فقال:

يَـا هَـرِمِ ابْن الأَكْرَمِين مَنْصِبَا إِنَّك قَد وُلِّيت حُكْمًا مُعْجِبَا

فَاحْكُم وَصَوِّب رَأْيِ مَن تُصَوِّبَا

فقام هرم وقال: يا بني جعفر، قد تحاكمتما عندى، والله إنّكما كركبتي البعير الأدرم؛ يقعان معاً على الأرض، وليس أحدٌ [منكما] إلا وفيه ما ليس في صاحبه، وكلاكما سيّد كريم. وعمد بنو هرم إلى الجزر، فنحروها وفرقوا بين الناس، وكره أن يفضّل بينهما وهما ابنا عمّ، فيوقع بذلك عداوة بين الحيّين، وخرجا من عنده راضيين.

وقد قيل إنه قال لهما: أنتما كغربي السيف، فإنه لو قال: «كركبتي البعير» لقالا: أيّهما اليمين؟ وقيل: إنه لم يقل شيئاً من ذلك، وإنما اكتفيا بما قال سرّاً، وذهبا عنه.

وادّعى الاعشى أنّهما حكماه، فحكم لعامر على عَلْقَمَة، وقال في ذلك قصائد، منها الّتي أولها:

أَعَلْقَم لَسْت إِلى عَامِرِ

د – هُــمَا كَرُكْبَتِي البَعِيرِ(1):

قال ابن الكلبي: إن المثل لهَرِم بن قُطْبَة الفزاري، تمثّل به لعَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطّفيل حين تنافرا إليه، فقال: أنتما كركبتي البعير... فأمر لكل واحدٍ منها بِقُبّةٍ، وأمر لهما بالأنزال، وما يحتاجون إليه، فلما هدأت الرّجلُ أتى عامراً فقال له: لماذا جئتني؟ قال: جئتُك لتنفّرني على عَلْقَمَة، فقال: بئس الرأي رأيتَ، وساء ما سوّلتْ لك نفسُك، أفضّلك على عَلْقَمَة ومن أمره كذا وكذا؟ يعدّد مفاخرة ومآثره وقديمه وحديثه، والله لئن رأيتك غداً معه متحاكمين إليّ لأنفرنّه عليك، ولا يطلق القلم مني به وبك غيره، ثم تركه ومضى إلى عَلْقَمَة فقال: ما جاء بك؟ قال: جئتك لتنفّرني على عامر، فقال: أين غاب عنك حلمُك؟ أعلى عامر أفضّلك؟ وقديم عامر كذا وكذا، وحسبه كذا، والله لئن نافرته إليّ لأحكمن له، فأقدم على ما تريد أو أحجم عنه، ثم فارقه ورجع إلى بيته، فلما أصبحا قالا: نرجع ولا حاجة بنا إلى التنافر، ولا يدري كلّ واحدٍ منهما ما عند صاحبه، فلما كانا في بعض الطريق تلقّاهما الأعشى، فسألهما عما خرجا له، فأخبراه بقصتهما، فقال الأعشى لعَلْقَمَة: مالي عندك إن نفّرتُك على عامر؟ قال: مئة من الإبل، قال: وتجيرني من العرب؟ قال: أجيرك من قومي، فقال لعامر: فإن أنا نفّرتك على عَلْقَمَة فمالي عندك؟ قال: مئة من الإبل، قال: وتجيرني من أهل الأرض؟ قال: أجيرك من أهل السماء والأرض، قال الأعشى: تجيرني من أهل الأرض فكيف تجيرني من أهل السماء؟ قال: إن مات أحد من ولدك أو أهلك وديْتُهُ، وإن ماتت لك ماشية فعليّ عوضُها، قال: نعم،

(1) الميداني – مجمع الأمثال، 3: 477–478 .

فمدح عامراً، وهجا عَلْقَمَة، فقال من قصيدته في هجائه:

أَعَلْقَم قَـــد حَكَّمْتَنِي فَوَجَدتَنِي ... بكُم عَالِمًا عِنْد الحُكُومَة غَائِصا

كِـلا أَبَوَيْكُم كَان فَرْعَي دِعَامَةٍ ... وَلَكِنَّهُم زَادُوا وَأَصْبَحْت نَاقِصَا

تَبِيتُـون فِـي المَشْـتَى مِلاء بُطُونُكُمْ ... وَجَارَاتُكُم غَرْثَى يَبِتْن خَمَائِصَا

فَمَا ذَنْبُنَا إِن جَاش بَحْر ابْن عَمِّكُمْ ... وَبَحْرُك سَـاجٍ مَـا يُـوارِي الـدَّعَـامِـصَـا

وكان يقال: من مدحه الأعشى رفعه ومن هجاه وضعه، وكان يتّقي لسانه، وكان عَلْقَمَة ممن آمن وصار من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأما عامر فلا.

3- منافرة القَعْقَاع بن مَعْبَد وخالد بن مالك النَّهْشَلِيّ:

المثل: «ما جُعِل العبد كربّه»

«قالوا: إن أول من قال ذلك ربيعة بن جرادٍ الأسلميّ، وذلك أن القعقاع بن معبد بن زُرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله [بن دارم وخالد بن مالك بن ربعي بن سلمي بن](1)جَنْدل بن نهشل تنافرا إلى أكثم بن صيفي، أيهما أكرم، وجعلا بينهما مئة من الإبل لمن كان أكرمهما، فقال أكثم بن صيفي: سفيهان يُريدان الشّر، وطلب إليهما أن يرجعا عما جاءا له، فأبيا، فبعث معهما رجلاً إلى ربيعة بن جراد وحبس إبلهما التي تنافرا عليها مئة ومئة، وقال: انطلقا مع رسولي هذا فإنه قتل أرضاً عالمها وقتلت أرضٌ جاهلها، فأرسلها مثلا. فلما قدما على ربيعة وأخبراه بما جاءا له قال ربيعة للقعقاع: ما عندك يا قعقاع؟ قال: أنا ابن مَعْبد زُرارة، وأمي معاذة بنت ضِرار، رَأس من أعمامي عشرة، ومن أخوالي عشرة، وهذه قوسُ عمّي رَهَنها عن العرب، وجدّي زُرارة أجار ثلاثة أمْلاك بعضهم من بعضٍ، قالوا: وفي ذلك يقول الفرزدق.

مِـنّـا الّـذي جَـمَـع المُلُوك وبينهم ... حَرْب يُـشَـبُّ سَـعِـيُـرهـا بِضِرَامِ

ثم قال ربيعة لخالد بن مالك: ما عندك يا خالد؟ قال: أنا ابن مالك، قال: لم تصنع

(1) ما بين معترضتين زيادة منا، وليست في الأصل (المؤلفة).

شيئاً، ثم ابن من؟ قال: ابن رِبْعي، قال: لم تصنع شيئاً، ثم ابن من؟ قال: ابن سَلْم؟ قال: الآن، فمن أمّك؟ قال: فَرْعة، قال: ابنة من ؟ قال: ابنة مندوس، قال ربيعة للقعقاع؟ قد نفّرتك يا ابن الضَّبِنة، فقال خالد: أتجعل معبد بن زُرارة كمثل سَلْم بن جندل؟ فقال ربيعة: ما جُعل العبدُ كربّه! فأرسلها مثلاً»(1).

«أخبرنا أبو سعيد السيرافي رحمه الله قال: أخبرنا ابن مِقْسم، عن ثعلب، عن الأثرم، عن أبي عبيدة قال: كان القَعْقاع بن مَعْبد بن زُرارة حليماً يُشبّه بعمّه حاجبٍ. فبينا حاجبٌ ذات يوم على جَابِية له وإبلُه تُورَد عليه، إذ أقبل خالدُ بن مويلك النهشلي على فرسه. وفي يده الرمحُ فقال: والله يا حاجب لترقُصَن أو لأخْتِلن حضنيك بالرُّمح، فقال: تَنحَّ عني أيها السفيه. فقال: والله لتَفْعلنّ. فقام الشيخُ فأقبل وأدبر. وبلغ ذلك شيبان بن علقمة بن زُرارة، فقال: أبعمّي يتهكّمُ خالدٌ؟ والله لأنافرنّه. فكلّمت بنو تميم حاجباً فنهاهُ. ثم أنبئ بذلك القعقاع بن معبدٍ فقال: لناقتُه هي سائبةٌ إن أدركتُ القوم على الماء قبل أن يتفرقوا فأدركهم وسيّب ناقته. فثارت بنو تميم إلى حاجبٍ فقالوا له: الله الله في قومك، ارْدُد القعقاع كما رددت شيبان. فقال: إنّ القعقاع ليس كشيبان، إن القعقاع ليس برطب فَيُعصر، ولا بيابس فيُكسر. فقال القعقاع لخالد: أبعمّي تتهكمُ يا خالدُ، تعال حتى أُنافرك الكرم. قال: نعم، أيّنا أوهبُ للغالية، وأنحر للثّاوية، وأصد للعادية، وأقتل للطاغية؟ قال: بل أيّنا أنزلُ بالبراح، وأطعم للسُّحاح، وأطعن بالرّماح. قال: بل أيّنا أولى بالخير، وأحرى بالمآثر الكبر. قالا: بل أيّنا خيرٌ أباً وأُمّاً. قال: فغضب خالدٌ وقال: نعم، إلى آدم وحوّاء فتنافرا على مئتي بعير، للقامر مئة وللمنفّر مئةٌ، وجعلا نُفورتهما إلى ربيعة بن حُدار [حُذار] الأسديّ. وتواعدا إلى سبعة أرجاب يخرُجان في كل عام خصيبٍ. فلما صادفا ذلك العام، خرجا يَرِدَان الماء ويسقيان اللبن وينحران الإبل، حتّى أتيا ربيعة وهو في قُبّة من أدَمٍ. فاحتجب عنهما، حتى اشتدّت عليهما النفقةُ وعظمت عليهما المؤنة. فمر راعي غنمٍ على بابه، فنادى: يا ربيعةُ، قد أكلتِ الإبلُ أوبارها، وتساوكت غنمي منتظر [...] ون، من نقورتك، فوالله لئن حكمت بعدلٍ لا تزال حكم

(1) الميداني – مجمع الأمثال، 3: 258.

مُضرٍ ما بقيت، ولئن حكمت بجورٍ ليُحطَّنّ أمرك، وليُتَجَهَمنّ عدلُك. قال: فخرج إليهم، فقال: قد أردت أن تراجعوا أُلاّفا كراماً فأبيتم، يا بني أسدٍ، اركبوا الخيل، فإذا نفّرتُ فاعزلوا نصيبي. فقال بنو تميم: يا ربيعةُ: الله الله في قومك، [لا] تُفشينَّ أسرارهم، ولا تَهْتكنّ أستارهم. فقال سفهاء قومه: نفّر نفّرْ. وقال حلماؤهم: لا تفعل. فإن كنت ولا بد مُنفِّراً، فقُل هما كذراعي البَكْر الآدم. فقال خالدٌ: أعطيت يوماً من سأل، وأطعمتُ من أكل، ونصبتُ قُدُوري فأطعمت حتى وضعت الشّمال ذُيولها. وطعنت يوم شُواحِط فارسا فخللتُ فخذيه بفرسه. فقال ربيعة: هات يا قعقاع ما عندك. فأخرج قوس حاجب فقال: هذه قوسُ عمّي رهنها عند العرب، فاستدفؤوا من القُرِّ، وشبعوا من التّمر، وانقضت عنهم الشّتوةُ، وهاتان نعلا جدّي، قسم فيهما [أربعين] مِرْباعاً: ثمانية وثلاثون على مُضرٍ واثنان على تميم. وهذه ذرّية زُرارة نُصالحُ عليها سبعة أملاك كُلّهم حربٌ لصاحبه. وعمّي سُوَيْد بن زُرارة لم ير ناره خائفٌ قطٌّ إلاّ أمن، و لم يُمسك بطنُب فُسْطَاطه أسير إلاّ فكّ. فنادى ربيعةُ: إنّ السَّماح واللُّهى والباع، والشرف الأسْنَع للقعقاع، إلا أنّي قد نفّرتُ من كان أبوه معبداً، وعمّه حاجباً، وجده زُرارة. ثم أدركا الإسلام، فوفدا على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: يا رسول الله، لو بعثت هذا وولّيته. فقال ﷺ: لو أنكما اختلفتما لأخذتُ برأيكما. فرجعا و لم يُوَلِّهما»(1).

4. منافرة جَرِير بن عبد الله البَجَلِيّ وخالد بن أَرْطَاة الكَلْبي:

«يقال: إن الأقرع بن حابسٍ أول من حابى في الحكومة في منافرة جرير بن عبدالله البَجَليّ وخالد بن أرطاة الكلبي، وكان الذي جر المنافرة بين جرير بن عبدالله بن جابر، وهو الشّليل بن مالك بن سعد بن نَضْر بن ثعلبة بن جُشَم بن عُوَيْف بن خَزِيْمة بن حَرب بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر بن عبقر بن أنمار، وبين خالد بن أرطأة بن خُشين بن شبث بن إساف بن هذيم بن عُدي بن حنابٍ؛ أن كلباً أصابت في الجاهلية رجلاً من بَجِيلة من بني عَادِية بن عامر بن قُداد يقال له مالك بن عتبة – أو عنبة، شكّ في اسمه الكلبيّ

(1) أبو العلاء صاعد البغدادي – كتاب الفصوص، 5: 298–301 .

– فوافوا به عُكاظ. ومر العاديّ بابن عمٍّ له يقال له القسم بن عقيل يأكلُ تمراً، فتناول من ذلك التّمر شيئاً ليتحرّم به، ومعه رجلٌ من كلب يمسكه، فجذبه الكلبيّ بقدّه فقال: إنّه رجلٌ من عشيرتي فقال: لو كانت لك عشيرة مَنَعتك. فانطلق القِسم بن عُقيل إلى بني زيد بن الغَوث بن أنمار، فاستتبعهم فقالوا: كلما طارت وبرةٌ من بني زيد أردنا أن نتبعها في أيدي العرب.

فانطلق إلى جرير بن عبد الله فكلّمه فكان القسم يقول بعدُ: إنّ أوّل ما رأيت فيه الثّياب المُصبّغة، والقباب الحمر، ليوم جئتُ جريراً في قَسْر. قال: فاتّبعني ثم فتشني عن الرجل، فقال: اطو الخبر، وخلا بأشراف بني مالك بن سعد بن نذير بن قسر فدعاهم إلى انتزاع العاديّ من كلب فتبعوه، فخرج يمشي بهم حتى هجم على منازل كلب بعكاظ، فانتزع منهم الأسير مالكاً فقامت كلبٌ دونه؛ فقال جرير: زعمتم أن قومه لا يمنعونه، فقالت كلبٌ جماعتنا خُلوفٌ عنا، فقام جرير فقال: لو كانوا حضوراً لم يدفعوا عنه شيئاً فقالوا: كأنك تستطيل على قُضاعة فقال: إن شاؤوا قايسناهم المجد. وزعيم كلبٍ يومئذ خالدُ بن أرطأة، فقال: ميعادُك من قابل سوق عكاظ. فجُمِعت كلبٌ، وجُمعت قَسْر، ووافوا عكاظ. وصاحب كلبٍ الذي أقبل بهم في العام المقبل خالدُ بن أرطأة، فحكّموا الأقرع بن حابس التّميميّ، حكّمه جميع الحيّين، ووضعوا الرُّهُنَ على يدي عُقبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشيّ، في أشراف من قريش، وكان في الرّهنُ من قَسْر الأضرم ابن أبي عويف بن عُويف بن مالك بن ذيبان بن ثعلبة بن عمرو بن يَشْكر. ومن أَحْمَس حازم بن أبي حازم بن صخر بن العَيْلة ومن بني زيدُ بن الغوث رجلٌ.

ثم قام خالدُ بن أرطأة، فقال لجرير: ما تجعلُ؟ فقال: الَخطْرُ في يدك قال: ألفُ ناقةٍ حمراء لألف ناقة حمراء. فقال له جرير: ألفُ قَيْنةٍ عذراء لألف قينةٍ عذراء، وإن شئت فألف أوقيّةٍ صفراء لألف أوقيّة صفراء.

قال خالد: من لي بالوفاء؟ قال: كفيلي اللاّت، والعُزّى، وإسافٌ، ونائلة، وشمسُ، ويَعُوقُ، والخَلَصةُ، ونَسْرٌ فمن عليك بالوفاء؟ قال: وَدٌّ ومَناةُ، وفَلْسٌ، ورُضىً. قال: جريرٌ: لك الوفاءُ سبعون غلاماً مُعِمّاً مُخْولاً، يوضعون على أيدي الأكفّاء من أهل الله.

فوضعوا الرّهنُ من بَجِيلة ومن كلبٍ، على أيدي من سمّينا من قريش. وحكموا الأقرع ابن حابسٍ وكان عالم العرب في زمانه. فقال الأقرع: ما عندك يا خالد؟ قال ننزل البَراح، ونطعنُ بالرّماح. ونحن فتيان الصّباح. قال: الأقرع وما عندك يا جرير؟ قال: نحن أهل الذّهب الأصفر، والأحمر الُمعْتصر - يعني الخمر - نخيفُ ولانخافُ. ونُطْعِم ولا نستطعم. ونحن حيٌّ لَقَاح ونطعم ما هبّت الرّياح، نطعم الشّهر، ونضمن الدّهر، ونحن الملوك لِقَسْر، قال الأقرع: واللاّت والعُزّى لو فاخرت قيصر ملك الرّوم، وكسرى عظيم فارس، والنعمان ملك العرب، لنفرتُك عليهم. وأقبل نُعْيمُ بن حُجَيّة النّمري - وقد كانت قَسْر ولدته - بفرس إلى جريرٍ فركبهُ من قبل وحشيّة، فقالوا: لم تُحسن تركبُ الفرس فقال جريرٌ: إنّ الخيل ميامينٌ، وإنا نركبها من وجوهها، ونادى ابن عمرو بن الخُثارم، وهو أحدُ بني جُشم بن عمرو بن قُدادٍ فقال:

يا ابَني نزارٍ انُصرا أخاكما إن أبي وَجدَتُه أباكما
لا يُغْلب اليوم أخ والاكُما

وقال أيضاً:

يا أقْرع بن حابس يا أقرَعُ إنّك إن تَصْرع أخاك تُصْرَعُ

وقال أيضاً:

يَال نِزار دعوة الُمثوّبِ أحسابُكُم أخطرتُها وحَسبي

فزعمت مضر أنّ الأقرع بن حابسٍ، إنّما نفّر جريراً وبجيلة على خالد بن أرطأة وكلبٍ لأنه زعم أن أنماراً بن نزارٍ، وأنه لقرابته بمُضر وربيعة، أفضلُ وأكثرُ عدداً بإخوته من قُضاعة، لأنّ قضاعة بن مَعَدّ وهو عمّ هؤلاء»(1).

«قال ابن السيرافي، قال أبو الخُثارم البَجَليّ - في منافرة بَجِيلة وكلب. فتحاكموا إلى الأقرع بن حابس، فقالت بَجِيلة: نحن إخوة ولهم أحاديث - فقال في ذلك أبو الخثارم:

يا أقرع بن حابس يا أقرَعُ إنّي أخوك فانظرن ما تصنعُ

(1) أبوعبيدة - شرح نقائض جرير والفرزدق، 1: 309 -312.

إنك إن تَصْرع أخاك تُصْرعوا إني أنا الداعي نِزارا فاسمعوا

قال: جعل (تُصرعوا) للجماعة، يريد الأقرع وقومه، ولاشاهد فيه على هذا الوجه. ويروي هذا الرجز مجروراً [و] أنشد:

يا أقرع بن حابس يا أقرعِ

إني أنا الداعي نزارا فاسمعِ

في باذخٍ من عزّة ومَفْزَعِ

وقائما ثُمّت قُل في المجمعِ

للمرء أرطاة أنا ابن الأقرعِ

ها إنّ ذا يومُ عُلاً ومجمعِ

ومنظرٍ لمن رأى ومسمعِ

قال: هذا موضع المثل:

... ثم إنّه أخطأ في القدر الذي ذكره من جهات شتى:

منها أنه نسب هذا الرجز إلى أبي تمام الخُثارم البجلي، وإنما هو ابن الخُثارم؛ وهو عمرو ابن الخُثارم البجلي.

ومنها أنه ذكر أن المنافرة كانت بين بَجِيلة وكلب، وإنما كانت بين رجلين لا قبيلتين، هما: جرير بن عبد الله البجلي، وخالد بن أرطأة بن خُشين بن شَبَث الكلبي.

ومنها قوله: قالت بجيلة نحن إخوة نزار، و لم يبيّن الأخوّة من أي جهة هي.

ومنها أنه قال: يُروى هذا الرجز مجروراً، وإنما هما أرجوزتان،... وإحدى الأرجوزتين مرفوعة، والأخرى مجرورة. وسيأتيك بيان ذلك إن شاء الله.

أملى علينا أبو الندى قال: كان سبب المنافرة بين جرير بن عبد الله البجلي وبين خالد ابن أرطأة بن خُشين بن شبث الكلبي – أن كلباً أصابت في الجاهلية رجلاً من بجيلة، يقال له: مالك بن عتبة من بني عادية بن عامر بن قُداد، فوافوا به عكاظ، فمر العاديّ بابن

عم له يقال القاسم بن عُقيل بن أبي عمرو بن كعب بن عُريج بن الحويرث بن عبدالله بن مالك بن هِلال بن عادية بن عامر بن قداد يأكل تمراً، فتناول من ذلك التمر شيئاً ليتحرم به، فجذبه الكلبي، فقال له القاسم: إنه رجل من عشيرتي، فقال له: لو كانت له عشيرة منعته....

فانطلق القاسم إلى بني عمه بني زيد بن الغـوث فاستتبعهم، فقالوا: نحن منقطعون في العرب، وليست لنا جماعة نقوى بها. فانطلق إلى أحمس فاستتبعهم فقالوا: كلما طارت وبرة من بني زيد في أيدي العرب أردنا أن نتبعها. فانطلق عند ذلك إلى جرير بن عبد الله فكلّمه، فكان القاسم يقول: إن أول يوم أريت فيه الثياب المصبّغة والقباب الحُمر اليومُ الذي جئت فيه جريراً في قَسْر. وكان سيد بني مالك بن ذبيان بن ثعلبة بن عمرو بن قسر وهم بنو أبيه.

فدعاهم في انتزاع العاديّ من كَلْب فتبعوه فخرج يمشي بهم حتى هجم على منازل كلب بعكاظ، فانتزع منهم مالك بن عتبة العاديّ، وقامت كلب دونه، فقال جرير: زعمتم أن قومه لا يمنعونه! فقالت كلب: إن جماعتنا خُلُوف. فقال جرير: لو كانوا لم يدفعوا عنكم شيئاً. فقالوا: كأنك تستطيل على قُضاعة.. إن شئت قايسناكم المجد – وزعيم قضاعة يومئذ: خالد بن أرطأة بن خُشين بن شبث – قال: ميعادنا من قابل سوق عكاظ.

فجمعت كلب وجمعت قَسْر، ووافوا عكاظ من قابل، وصاحب أمر كلب الذي أقبل بهم في المقبل خالد بن أرطأة، فحكموا الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع، حكّمه جميع الحيّين، ووضعوا الرّهن على يدي عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس في أشرافٍ من قريش، وكان في الرُّهن من قَسْر: الأصرم بن عوف بن عويف بن مالك بن ذبيان بن ثعلبة بن عمرو بن يَشْكر بن علي بن مالك بن سعد بن نذير بن قسر. ومن أحمس حازم بن أبي حازم، وصخر بن العَيْلة. ومن بني زيد بن الغوث بن أنمار رجل.

ثم قام خالد بن أرطأة فقال لجرير: ما نجعل؟ قال: الخطر في يدك. قال: ألف ناقة

حمراء في ألف ناقة حمراء. فقال جرير: ألف قينة عذراء في ألف قينة عذراء، وإن شئت فألف صفراء لألف أوقية صفراء.

قال: من لي بالوفاء؟ قال: كفيلي اللاّت والعُزّى وإساف ونائلة وشمس ويَعْوقُ وذو الخلصة ونَسْر. فمن عليك بالوفاء؟ قال: ودّ ومَناة وفَلس ورُضا. قال جرير: لك بالوفاء سبعون غلاماً معمّاً مخولاً يوضعون على أيدي الأكفاء من أهل الله. فوضعوا الرُّهُن من بجيلة ومن كلب على أيدي من سمّينا من قريش، وحكّموا الأقرع بن حابس وكان عالم العرب في زمانه.

فقال الأقرع: ما عندك يا خالد؟ فقال: نحن ننزل البراح، ونطعن بالرّماح، ونحن فتيان الصّباح.

فقال الأقرع: ما عندك يا جرير؟ قال: نحن أهل الذّهب الأصفر، والأحمر المعصفر، نخيف ولا نخاف، ونُطعم ولا نستطعم، ونحن حيٌّ لَقَاح، نُطعِم ما هبت الرّياح، نطعم الشّهر ونضمن الدّهر، ونحن الملوك لقَسْر.

فقال الأقرع: واللاّت والعزّى، لو فاخرت قيصر ملك الروم، وكسرى عظيم فارس، والنّعمان ملك العرب، لنفّرتُك عليهم. وأقبل نُعيم بن حُجيّة النّمري – وقد كانت قَسْر وفدته بفرس إلى جرير، فركبه من قبل وحشيّه، فقيل: لم يُحسن أن يركب الفرس، قال جرير: الخيل ميامن، وإنّا لا نركبها إلا من وجوهها.

وقد كان نادى عمرو بن الخُثارم أحد بني جُشم بن عامر بن قُداد فقال:

لا يُغلب اليوم فتى والاكُما

يا ابني نزار انْصُرا أخاكما

إن أبي وجدَّه أباكما

ولم أجد لي نَسَباً سواكما

غيث ربيعٌ سبط نداكما

حتى يحُل الناسُ في مرعاكما

أنـتـم سـرور عينِ مـن رآكمـا

قد مُلئت فما ترى سواكما

قـد فـاز يـوم الـفـخـر مـن دعـاكـمـا

ولا يعُد أحد حصاكمـا

وإن بنوْا لم يُدْرِكوا بُناكما

مجداً بناه لكما أباكمـا

ذاك ومن ينصُره مثلاكما

يوماً إذا مـا سُـعّـرت ناراكما

وقال أيضاً:

يـا لـنـزار قد نمى في الأخْشبِ

دعوة داع دعوة المثوِّب

يـا لـنـزارٍ ثـم فـاسعي وارْكـبي

يـا لـنـزار ليس عنكم مذهبي

إن أبـاكـم هـو جدّي وأبي

لم يُـنصـر المولى إذا لم تغضبي

يـا لـنـزار إنني لم أكْـذِبِ

أحسابكم أخطرتها وحَسَبي

ومن تكونوا عِزّه لا يُغْلب

يـنـمـي إلى عـزّ هِـجَان مُـصـعَـبِ

كأنه في البرج عـنـد الـكـوكبِ

وقال أيضاً:

يـا لـنـزار دعوة صباحا

قد فـاضـح الأمـرُ بـنـا فِضاحا

وقال أيضاً:

يـا أقــرع بن حابس يـا أقــرعُ

إني أخـــوك فـانـظُـرنَ مـا تصنعُ

إنك إن يصــــرع أخـــوك تُصرع

إني أنـــا الداعي نزاراً فاسمعوا

لي باذخ من عزه ومَفْزعُ

به يضــر قادر وينفعُ

وأدفع الضيم غدا وأنفعُ

عِز ألــدّ شـــامـخ لا يقمعُ

يــتــبــعُــه الــنــاسُ ولا يُــســتــتــبــعُ

هل هو إلا ذَنَب وأكرُعُ

وَزَمـع موتَشَب مجمّعُ

وَحَـــسبٌ وَغْـــلُ وأنـــفُ أجـــدعُ

وقال أيضاً:

يـا أقــرع بن حابس يـــا أقرعِ

إنك إن تصرع أخـاك تُـصــرعِ

إني أنا الداعي نزاراً فاسمعِ

في باذخ من عزّه ومفـزعِ

قُم قائماً ثمت قل في المجمع

للمرء أرطاة أيا ابن الأفدعِ

هـــا إن ذا يـوم عُلا ومجمعِ

ومــنـــظــرٍ لمـن رأى ومسمعِ

فنفّره الأقرع بمضر وربيعة، ولولاهم نفّر الكلبي.

قال: كانت القرابة بين بَجيلة وولد نزار، أن إراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان خرج حاجاً، فتزوج سلامة بنت أنمار بن نزار، وأقام معها في الدار بغَور تهامة، فأولدها أنمار بن إراش ورجالاً.

فلما توفي إراش وقع بين أنمار بن إراش وإخوته اختلاف في القسمة، فتنحّى عن إخوته، وأقام إخوتُه في الدار مع أخوالهم، وتزوج أنمار بن إراش بهند بنت مالك بن غافق بن الشاهد، فولدت أقيل وهو خَثْعَم، ثم توفيت.

فتزوج بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة، فولدت له عَبْقر، فسمته باسم جدها وهو سعد، ولقب بعبقر لأنه ولد على جبل يقال له عبقر، وولدت أيضاً الغوث ووادعة وصُهيبة وخُزيمة وأشهل وشهلاء وسُنيّة وطريفاً وفَهْماً وجَدْعة والحارث»[1].

«ونافر جرير بن عبدالله قُضاعة، فبلغ ذلك أسد بن عبدالله، وكان بينه وبينه- أعني جريراً- تباعدٌ، فأقبل في فوارس من قومه ناصراً لجرير ومعاوناً له ومُنجِداً، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه، فرآه جرير، ورأى أصحابه في السلاح ارتاع وخافه، فقيل له: هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك، فقال جرير: ليت لي بكل بلد ابن عمّ عاقّاً مثل أسد»[2].

5- منافرة بني فَزَارَة وبني هِلال:

جاء في المثل: «أَبْخَل من مَادِر: هو رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة، وبلغ من بُخله أنه سقى إبله فبقى في أسفل الحوض ماء قليل، فسنح[3] فيه ومدر الحوض به، فسُمّي مادراً لذلك، واسمه مُخَارق.

قال أبو النّدى: وذكروا أن بني فزارة وبني هلال بن عامر تنافروا إلى أنس بن مُدْرك الخَثْعَميّ، وتراضوا به، فقالت بنو عامر: يا بني فزارة، أأكلتم أيْر حمار؟ فقالت بنو فزارة: قد أكلناه و لم نعرفه، وحديث ذلك أن ثلاثة نفر اصطحبوا: فَزَاريّ وثَعْلبيّ وكِلابيّ،

(1) الأسود الغندجاني - فرحة الأديب: 105 - 113.
(2) الأصفهاني - الأغاني، 5:22.
(3) وكذا في الأصل وهو تصحيف والصواب: فسلح كما سيأتي بعد أسطر.

فصادوا حماراً، ومضى الفَزَاري في بعض حاجته، فطبخا وأكلا، وخبَّأ للفزاريّ جُرْدان الحمار، فلما رجع الفزاريّ قالا: قد خبأنا لك، فكل، فأقبل يأكله ولا يكاد يسيغه، فقال: أكلٌّ شواء العير جُوفان؟ يعني به الذَّكر، وجعلا يضحكان، ففطن وأخذ السيف وقال: لتأكلانِهِ أو لأقتلكما، ثم قال لأحدهما – وكان اسمه مَرْقمة: كلْ منه، فأبى فضربه فأبان رأسه، فقال الآخر: طاح مَرْقمة، فقال الفزاري: وأنت إن لم تَلْقَمه، قال محمد بن حبيب: أراد إن لم تَلْقَمها، فلما ترك الألف ألقى الفتحة على الميم قبل الهاء، كما قالوا وَيْلُمّ الحيرة وأيّ رجال به: أي بها. قلت: إنما قدّر الهاء في تلقمها إرادة المُضغة أو البضعة، وإلا فليس في الكلام الذي مضى تأنيث ترجع الهاء إليه، فقالت بنو فزارة: ولكن منكم يا بني هلال من قَرَى في حوضه، فسقى إبله فلما رويت سلح فيه ومدره بخلاً به أن يشرب فضله، فقضى أنسُ بن مدرك على الهلاليين، فأخذ الفزاريون منهم مئة بعير، وكانوا تراهنوا عليها»(1).

وجاء في شروح سقط الزند:

«إذا وصف الطائي بالبُخل مادرٌ ... وَعَيَّر قُسّا بالفهاهة باقِلُ

التبريزي: الطائيّ، يعني حاتماً الطائي. ومَادر: رجلٌ من بني هلال بن عامر صعصعة، يُضرب به المثل في البخل. وإنّما قيل له مادر، لأنّه سقى إبله من بعض حياض العرب، فلما شربت إبله وصدرت عن الماء مدر الحوض بسَلْحه، أي لطّخه به، حتّى لا يشرب غيره، فقيل: «أبخل من مادر». وذكروا أن بني فزارة وبني هلال بن عامر، تنافروا إلى أنس بن مُدْرك الَخثْعميّ، وتراضوا به. فقالت بنو عامر: يا بني فَزَارة، أكلتم أير الحمار! فقالت بنو فَزَارة: أكلناه ولم نعرفه. ولكن منكم يا بني هلال من قرى في حوضه فسقى إبله، فلمّا رَوِيَتْ سَلَح فيه بُخلاً أن يشرب من فضله. فقضى أنسٌ على الهلاليّين، فأخذ الفزاريّون منهم مئة بعيرٍ كانوا تراهنوا عليها. وفيهم يقول الشاعر:

لقد جَلّلت خِزْيا هلال بن عامرٍ ... بني عامر طُـرّا بسلحة مَادِرِ

فأف لكم لا تْذكُروا الفَخْر بعدها ... بني عَامر أنـتـم شِـرَار المعاشــرِ

(1) الميداني – مجمع الأمثال، 1: 196.

وأما أكل بني فزارة أيْر الحمار؛ فمن حديثهم أنّ ثلاثة نفرٍ اصطحبوا: فَزَارياً وتغلبيّاً وكِلابياً، فصادوا حماراً، ومضى الفزاريّ في [بعض] حاجته، فطبخا وأكلا وخبأا للفزاريّ جُردان الحمار، فلما رجع [الفزاريّ] قالا له: قد خبّأنا لك فكُل. فأقبل يأكُلُه ولا يسيغه، وجعلا يضحكان، ففطن فقال: «أكلّ شواء العير جوفان؟». وجوفان العير: أيره. ثم أخذ سيفه وقام إليهما وقال: لتأكلانه أو لأقتلنّكما. ثم قال لأحدهما، وكان اسمه «مَرْقمة»: كُلْ منه. فأبى، فضربه فأبان رأسه. فقال الآخر: «طاح مَرْقمة». فقال الفزاريّ: «وأنت إن لم تلقمه». أراد إن لم تلقمه. فألقى حركة الهاء على الميم وسكنت الهاء.

ومما قيل في بني فزارة في هذا المعنى قول الكُميت:

نصحتُك يا فَزَار وأنت شيخٌ ... إذا خُيّرت تُخطئ في الخِيارِ

أصَيْحانية أُدِمت بزيتٍ ... أحبُّ إليك أم أيرُ الحمَار

بلى أيرُ الحمارِ وخُصيتاه ... أحب إلى فَزَارة من فزارِ

وقال الشاعر:

لا تأمنن فَزَاريّا خلوت بِه ... على قَلُوصك واكتُبْها بأسيارِ

لا تأمننْهُ ولا تأمن بوائقَهُ ... بعد الذي امتَل أيَر العَير بالنّار»[1]

6. منافرة محمد بن أُحَيْحَة بن الجُلاّح والزِّبْرِقان بن بدر التميمي[2]:

«قال أبو محمد عبد الملك، وقد ذكرها نابغة بني ذبيان، وذلك أنه تنافر محمد بن أُحَيْحَة ابن الجُلاَّح الأوس والزِّبْرِقَان بن بدر بن عامر التميمي، فترافعا في حكومتهما إلى النابغة، وكان النابغة قد نصّب قبّة بعكاظ، وفعل ذلك أيضاً زهير بن أبي سلمى، يسمع العرب منهما، فقال عمرو بن أُحَيْحَة لأخيه محمد، وقد خلا به: إني لأخشى عليك السّقْطة يا

(1) المعري – شروح سقط الزند، 2: 533 – 534.

(2) ابن الجون الأشعري – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية: 136 – 137.

محمد، كيف تخاصم رجلاً في الحسب والسابقة إلى ابن عمّه، قال محمد: وإن كان ذلك يا عمرو، والله لا حكم إلا بالحقّ، قال له عمرو: ويحك، إني لأوجل أن يغلب عليه الهوى والحمية، فيحكم عليك، وهو موقف عظيم، وخطر جسيم، قال محمد: دعني، فإن نابغة لا يحكم إلا بالحق.

وإن محمد بن أحيحة خرج في الأوس والخزرج في الخيل والرجال والسلاح الشّاك، وساق مئة بُدْنَة ينحرها بعكاظ إذا حكم له، ويطعم الناس، فلمّا أتى نابغة أوقف محمد ابن أحيحة هجانه صفّاً، وأوقف الزبرقان هجانه صفّاً، ثم وقفا بين يدي زياد النابغة، وشهدهما من كان بعكاظ من وجوه العرب، فقال محمد: أنا محمد، وقال الزبرقان: أنا الزبرقان، قال محمد: أنا ابن أحيحة، قال الزبرقان: أنا ابن بدر، قال محمد: أنا ابن الجُلاح، قال الزبرقان: أنا ابن عامر. فقال الأوس والخزرج، ومن شهد عكاظ من الأزد، وقال بنو تميم، ومن شهد عكاظ من تميم: احكم يا زياد بين محمد والزبرقان، وبين أحيحة وبدر، وبين الجلاح وعامر، ومن أعلى جدّاً وأسمى مجداً. فقال النابغة: شتان بين محمد والزبرقان، وشتان بين أحيحة وبدر، وشتان بين الجلاح وعامر، فأما عامر فصاحب ضأن وإبل وانتجاع ورجل وخيل وسهل، وأما الجلاح فصاحب حكم وبيان وكفاح وطعان وخيل، ورهان وخمر وقيان، فالجلاح أفضل من عامر؛ وأما بدر فصاحب سيف وضيف وجشر وخيف، ورحلة في شتاء وصيف، وأما أحيحة فرأس معبود وخلق محشود، قاد الجنود، وأغاث المجهود، وقاتل العنود، وعلم الجود، ووهب ذات المواشي لقيس بن زهير، ثمنها ثمان مئة ناقة، وضمن لكل من أتاه، سنة المسغبة، إذ عقر راحلته على باب داره، وخلفها وسط عياله، فأحيحة أفضل من بدر، وأما الزبرقان فصاحب نساء وغزل، وفتك وقتل، وشجاعة وجهل، وأما محمد فصاحب نزل ونايل ومرتع للقبايل وغياث للأرامل، نصر أخاه عبد المطلب على حفر زمزم على قبائل قريش، ونحر يوم كشف زمزم مئة ناقة، وأطعم أهل مكة، وهو فارس يوما عَوْسًا، فمحمد أفضل من الزبرقان، قم يا محمد، انحر وأطعم، فإني حكمت لك، فنحر محمد، وأطعم أهل عكاظ، وانصرف بنو تميم، غضابا على النابغة، فبلغ ذلك النابغة، وأرسل إلى بني تميم شعرا فقال:

يَا سَائِلِي عَن سَادَة مِن مَعْشَرِ   بِيض المَكَارِم مِن بَنِي قَحْطَانِ
لَو قَدْ شَهِدْتَ الخَيْلَ تَمْزَع بِالضُّحَى   وَالرِّجْل أَسْرَابَا إِلَى غَسَّانِ
يَرِدُون جَفْنَة سَيِّدًا مِن يَعْرُبٍ   عَمْرَو بن عَامِر سَيِّد الأَزْمَانِ
وَالتَّاج فَوْق جَبِينِه مُتَهَلِّل   رَأْد الضُّحَى بالدُر وَالمُرْجَان
كَفَر الدَسِيعَة بِالسَّدِيف فَشَاهَدُوا   وَمُتُونِهَا بِأَطَايِب الأَلْوَانِ
لَمّا حَكَمْت وَكَان حُكْمِي مُقْسِطاً   بِالحَق لَمَّا أَن أَتَى الخَصْمَانِ
وَكَذَلِك الجُلاح فِي أَيَّامِهِ   يَهَب الجِيَاد وَخَالِص العِقْيَانِ
يَهَب الجَرَاجِر وَالهِجَان كَأَنَّهَا   شُم شَوَامِخ مِن جِبَال قَنَانِ
صَدَق الجَوَاد فَصَدَّقَت آلاؤهُ   لا كُل مُجْتَمِع بِكُل لِسَانِ
وَمُحَمَّد أَعْطَى وَأَطْعَم مُسْغِبًا   بِفِنَاء مَكَّة قَالَه المَلَوَانِ
شَتَّان مَنْسُوب إِلَى جَوْز الفَلا   وَمُحَمَّد يَنْمِي إِلَى التِّيجَانِ

7- منافرة سُوَيْد بن صَامِت وَأَحَدٌ من بني سُلَيْم(1):

ونافر [سويد بن صامت] رجلاً من بني سُليم، ثم أخذ بني زِغْب بن مالك مئة ناقة، إلى كاهنةٌ من كُهّان العرب، فقضت له. فانصرف عنها هو والسّلميّ، ليس معهما غيرها، فلمّا فرّقت بينهما الطريقُ، قال: مالي، يا أخا بني سُليم؛ قال: أبعثُ إليك به؛ قال: فمن لي بذلك إذا فُتّني به؟ قال: أنا؛ قال: كلاّ، والذي نفسُ سُويدٍ بيده، لا تفارقني حتى أوتى بمالي. فاتّخذا، فضرب به الأرض، ثم أوثقه رباطاً ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف، فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سُليم بالذي له، فقال في ذلك:

لا تَحْسَبَنّي يابْن زِغْب بن مَالِكٍ   كَمَن كُنْت تَرْدِي بِالغُيُوب وَتَخْتِلُ
تَحَوَّلْت قِرْنا إِذ صُرِعْت بِعِزَّةٍ   كَذَلِك إِن الحَازِم المُتَحَوِّلُ
ضَرَبْت بِه إِبْط الشِّمَال فَلَم يَزَلْ   عَلَى كُل حَال خَدُّه هُو أَسْفَلُ

(1) ابن هشام – السيرة النبوية، 2: 51 – 52.

8- منافرة خِدَاش بن زُهَيْر البَكَائِي وهُبَيْرَة بن عامر بن سَلَمَة بن قُشَيْر(1):

وأما قوله: [النابغة الجَعْدِيّ]

لو تستطيعون أن تُلْقوا جُلودَكُم	**وتجعلوا جِلْد عبد الله سِرْبالا**

فإن السّبب في ذلك أن هُبيرة بن عامر بن سلمة بن قُشير لقي خِدَاش بن زهير البَكّائي، فتنافرا على مئة من الإبل، وقال كل منهما لصاحبه: أنا أكرم وأعزّ منك؛ فحكّما في ذلك رجلا من بني ذي الَجدّين، فقضى بينهما أنّ أعزّهما وأكرمهما أقربهما من عبد الله بن جَعْدة نسباً، فقال خداش بن زُهير: أنا أقرب إليه، أمّ عبد الله بن جعدة عمّتي – وهي أميمة بنت عمرو بن عامر – وإنما أنت أدنى إليه منّي منزلة بأب، فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله من دون الُمكاثرة بآبائهما إقراراً له بذلك، حتى فلج هبيرة القُشيريّ وظفر.

9- منافرة سَبْرَة بن عَمْرو الفَقْعَسِي وَعَبَّاد بن أَنْفِ الكَلْبِ الصَّيدَاوِيّ(2):

وقال سبرة بن عمرو الفقعسيّ، حين ارتشى ضَمْرة النهشلي، ونفر عليه عباد بن أنف الكلب الصيداوي، فقال سبرة:

يا ضَمْر كيف حَكَمت أمُّك هابلٌ	**والُحكْم مسؤول به المتعمَّدُ**
أحفظت عَهْدا أم رَعيت أمانةً	**أم هل سمعت بمثلها لا يُنشدُ**
شَنعاء فاقِرة تجِلّل نَهْشلا	**دنسا تَغُور به الرفاق وتُنْجدُ**
إن الرفاق أمال حكمك حبُّها	**فلك اللقاء وراكب متجرِّدُ**
فَضَح العشيرة واستمر كأنّه	**كَلب يُبصِبص للعِظال ويَطْردُ**
لا شيء يَعدِلُها ولكن دونَها	**خَرْط القَتاد تهاب شوكَتَها اليدُ**
جوعان يلحس أسكَتَا زيفيَّة	**غَلِم يثور على البَرَاثِن أعْقَدُ**

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 5: 23.

(2) الجاحظ – الحيوان، 1 : 319. والعظال : سفاد الكلاب.

10- منافرة بني العُشَرَاء من بني فَزَارَة مع منافرهم [مجهول](1):

إن الكاهن عُزَّى سَلَمَة العُذْرِيّ نفّر بني العُشَراء، وهم من بني مازن على منافرهم غير المذكور: فقال الكاهن: «والأرْضِ والسَّمَاءِ، والعُقَابِ الصَّقْعاء، واقعة بِبَقْعاء، لقد نَفَّر المَجْد بني العُشَراء، للمجد والسَّناء».

11 - منا فرة عُيَيْنَة بن حِصْن وزَبَّان بن سَيَّار(2):

«عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذيفة بن بدر نافر زبان [بن منظور] بن سيّار الفَزَاريّ إلى العِزّ الكاهنة، كاهنة نجران فرحلا إليها.

فقال زبّان: أنا ابن منظور.

فقال عيينة: أنا ابن حِصْن.

فقال زبّان: أنا ابن سيّار.

فقال عيينة: أنا ابن حُذيفة.

فقال زبّان: أنا ابن عمرو.

فقال عيينة: أنا ابن بدر.

فقال زبّان: أنا ابن جابر.

فقال عيينة: أنا ابن الجون.

فقال زبّان: بِزَيْنَة أم عمرو.

فقال عيينة: عليه. فلم يرض، وكان يقال: إن بدر بن عمرو بن الجون الكندي، وإن عيينة لما اعتزى إلى الجون وكان معتلياً لزبّان، فلما ترك نسبه في بني فَزَارة وفخر بفخر

---

(1) الجاحظ - البيان والتبيين، 1: 290.

(2) أبو عبيدة - الديباج: 96- 97.

غيره قالت: افتخرت بفخر ليس لك وتركت ما في يديك، فكأنّما نفّرت زبَّان، فطلب زبان المئة النّفورة فقال عيينة: أنا أفضل منك نَفْساً وأباً ولكنّها جارت، فقال زبان:

أَتَثْلِب حُـرَّة بَقِيَت يَدَاها عُيَيْنَة تَمْنَع اللَّخْواء تَفْري
شَرِبْت المَجْد مِن غَطَفان حَتّى تُفاخِرُني بِزَيْنَة أُم عَمْرِو
أَلَمّا تَعْلَمي أَنّي كَريـمٌ أَغَر لِصُلْب سَـيَّارِ بـن عَمرِو

فقال عيينة:

إنّا لَنَعْلَم مَا أبُـوك بجابرٍ فَالْحَق بِأَهْلِك مِن بَنِي دُودَانِ
حَالَت بِكُم أَمَة لِنَضْلَة وابْنِهِ فَسَقَت بِزَيْنَتِها أَبَا زَبَّـانِ

12– منافرة قَيْس بن مَسْعُود وحَاجِب بن زُرَارَة(1):

قال [أبوعبيدة]: وكان في حديث ذي الجَدَّين أن الملك النُّعْمان قال: لأعطين أفضل العرب مئة من الإبل، فلما أصبح الناس، اجتمعوا لذلك، فلم يكن قَيْس بن مَسْعود فيهم، وأراده قومُه على أن ينطلق، فقال: لا، ولئن كان يريد بها غيري، لا أشهد ذلك، وإن كان يريدني بها لأعْطِيَنَّها، فلمّا رأى النّعمان اجتماع الناس، قال لهم: ليس صاحبُها شاهداً، فلما كان من الغداة، قال له قومُه: انطلق، فانطلق، فدفعها إليه الملك، فقال حَاجِب بن زُرَارَة: أبيتَ اللَّعْن، ماهو أحقّ بها مني، فقال قَيْس بن مَسْعود: أُنَافِرُهُ عن أكرمنا قَعِيدَة، وأحسننا أدبَ ناقةٍ، وأكرمنا لئيم قومٍ، فبعث معهما النّعمان من ينظر في ذلك، فلما انتهوا إلى بادية حاجب بن زُرَارَة، مروا على رجل من قومه فقال حاجب: هذا ألأم قومي، وهو فلان بن فلان، والرجل عند حَوْضِه، ومورد إبله، فأقبلوا إليه، فقالوا: يا عبدَ الله، دعنا فلْنَسْقِ، فإنا قد هلكنا عطشاً، وأهلكنا ظهورنا، فتجهّم، وأبى عليهم فلما أعياهم، قالوا لحاجِب: اسْفِر، فَسَفَر، فقال: أنا حَاجِب بن زُرَارَة، فدعنا نشرب، قال: أنت؟ فلا مرحباً بك ولا أهلاً، فأتوا بيته، فقالوا لامرأته: هل من منزل يا أَمَة الله؟ قالت:

(1) ابن رشيق – العمدة، 2: 940– 942.

والله ما ربّ المنزل شاهد، وما عندنا من منزل، وأرادوها على ذلك فأبت، ثم أتَوا رجلاً من بَكْر بن وائل على ماء يورد، فقال قيسٌ: هذا والله ألأم قومي، فلما وقفوا عليه، قالوا له مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم، وهمّ أن يضربَهم، فقال له قيس بن مسعود: ويلك! أنا قيس بن مسعود، فقال له: مرحباً وأهلاً، أورِدْ، ثم أتوا بيتَه، فوجدوا فيه امرأته وقدرها تَغِطُّ، فلما رأت الركب من بعيد، أنزلت القدر وثَرَدَت، فلما انتهوا إليها، قالوا: هل عندك يا أمة الله من منزل؟ قالت: نعم! انزلوا في الرحب والسعة، فلما نزلوا، طعِموا، وارتحلوا، فأخذوا ناقتيها، فأناخوها على قريتين للنمل، فأما ناقة قيس بن مسعود، فتضوّرت، وتقلّبت ثم لم تَثُرْ، وأما ناقة حاجب، فمكثت وثبتت، حتى إذا قالوا قد اطمأنّت، طَفِقَت هاربة، فأتوا الملك، فأخبروه بذلك، فقال له: قد كنْتَ يا قَيْس ذا جَدٍّ فأنت اليوم ذو جدَّيْن، فسمّي بذلك ذا الجَدَّيْن.

13- منافرة كادت أن تحدث بين حاتم الطّائي وسَعْد بن حارثة بن لَأْم(1):

خرج الحكمُ بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس، ومعه عِطْرٌ يريد الحيرة، وكان بالحيرة سوقٌ يجتمع إليه الناس كل سنة. وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جُدعان بن ذُهْل بن رُومان بن حبيب ابن خارجة بن سعد بن قطنة بن طيىء ربع الطريق طعمةً لهم؛ وذلك لأنّ بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النعمان، وكانوا أصهاره، فمرّ الحكمُ بن أبي العاص بحاتم بن عبد الله، فسأله الجوار في أرض طيىء حتى يَصِير إلى الحيرة، فأجاره، ثم أمر حاتم بجزور فنحرت، وطبخت أعضاءه، فأكلوا، ومع حاتم ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمه، فلما فرغوا من الطعام طيّبهم الحكم من طيبه ذلك. فمرّ حاتم بسعد بن حارثة بن لأم، وليس مع حاتم من بني أبيه غير مِلْحان، وحاتمٌ على راحلته، وفرسه تُقاد، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته وقال: أطعموا حيّاكم الله، فقالوا: من هؤلاء معك يا حاتم؟ قال: هؤلاء جيراني، قال له سعد: فأنت تُجير علينا في بلادنا؟ قال له: أنا ابن عمّكم

(1) الأصفهاني - الأغاني، 17: 369.

وأحقّ من لم تخفروا ذمته، فقالوا: لست هناك. وأرادوا أن يفضحوه كما فُضح عامر بن جوين قبله، فوثبوا إليه، فتناول سعد بن حارثة بن لأم حاتماً، فأهوى له حاتمٌ بالسيف فأطار أرنبة أنفه، ووقع الشرّ حتى تحاجزوا، فقال حاتم في ذلك:

وَدِدْت وبيت الله لو أن أنْفَه — هواء فما مَت المُخاط عن العَظْمِ

ولكنّما لاقاه سَيْف ابن عَمِّه — فآب ومر السيف منه على الَخطْمِ

فقالوا لحاتم: بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ونضعُ الرّهن، ففعلوا، ووضعوا تسعة أفراس رهناً على يدي رجل من كلب يقال له: امرؤ القيس بن عديّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن جناب، وهو جدّ سكينة بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهما، ووضع حاتم فرسه. ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة، وسمع بذلك إياس بن قَبيصة الطّائيّ، فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر يُقَوِّيهم بماله وسلطانه؛ للصّهر الذي بينهم وبينه، فجمع إياسٌ رَهْطه من بني حيَّة، وقال: يا بني حيّة، إنّ هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم في مجاده، أي مماجدته، فقال: رجل من بني حية: عندي مئة ناقةٍ سوداء ومئة ناقة حمراء أدْمَاء، وقام آخر فقال: عندي عشرة حُصُن، على كل حصانٍ منها فارس مدجّج لا يُرى منه إلاّ عيناه. وقال حسّان بن جبلة الخير: قد علمتم أنّ أبي قد مات وترك كَلاّ كثيراً، فعليّ كلّ خَمْر أو لحم أو طعام ما أقاموا في سوق الحيرة. ثم قام إياس فقال: عليّ مثل جميع ما أعطيتم كلكم.

قال: وحاتم لا يعلمُ بشيء مما فعلوا، وذهب حاتم إلى مالك بن جبار، ابن عمّ له بالحيرة كان كثير المال، فقال: يا بن عم، أعنّي على مُخايلتي. قال: والمخايلة المفاخرة، ثم أنشد:

يا مال إحدى خطوب الدّهر قد طَرَقَتْ — يا مال ما أنتم عنها بزَحْزاحِ

يا مال جاءت حِيَاض الموت وارِدةً — من بين غَمْر فخُضْنَاه وضَحْضاحِ

فقال له مالك: ما كنتُ لأحرب نفسي ولا عيالي وأعطيك مالي.

فانصرف عنه، وقال مالك في ذلك قوله:

إنّا بنو عمّكم لا أن نُباعلكم ولا نجاوركم إلا على نَاحِ
وقد بَلُوتك إذ نلت الثراء فلم ألقك بالمال إلا غير مرتاح

قال أبو عمر الشيباني في خبره: ثم أتى حاتم ابن عم له يقال له: وهم بن عمرو، وكان حاتم يومئذ مصارماً له لا يكلّمه، فقالت له امرأته: أيّ وَهْمُ، هذا والله أبو سفّانة حاتم قد طلع، فقال: مالنا ولحاتم! أثبتي النظر، فقالت: ها هو، قال: ويحك هو لا يكلّمني، فما جاء به إليّ؟ فنزل حتى سلّم عليه وردّ سلامه وحيّاه، ثم قال له: ما جاء بك يا حاتم؟ قال: خاطرتُ على حَسَبك وحَسَبي، قال: في الرّحب والسَّعَة، هذا مالي – قال: وعدّته يومئذ تسعمائة بعير – فخذها مئة مئة حتى تذهب الإبلُ أو تصيبَ ما تريد. فقالت امرأته: يا حاتم، أنت تخرجنا من مالنا، وتفضح صاحبنا – تعني زوجها – فقال: اذهبي، عنك؛ فوالله ما كان الذي غمّك ليردّني عما قبلي. وقال حاتم:

ألا أبلغا وَهْم بن عمرو رسالةً فإنك أنت المرء بالخيرِ أجدرُ
رأيتُك أدنى الناس منّا قرابةً وغيرك منهم كنت أحبُو وأنُصُر
إذا ما أتى يوم يُفرّق بيننا بموت فكن يا وهم ذو يتأخَّرُ*

* ذو في لغة طيّ: الذي.

قالوا: ثم قال إياس بن قَبِيصة: احملوني إلى الملك، وكان به نِقْرس، فحمل حتى أُدخل عليه، فقال: أنعِم صباحاً أبيت اللعن، فقال النعمان: وحيّاك إلهك، فقال إياس: أتمدّ أختانك بالمال والخيل، وجعلت بني ثُعل في قَعْر الكنانة! أظنّ أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامرٍ بن جوين، و لم يشعروا أن بني حيّة بالبلد؛ فإن شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دماً، فليحضروا مجادهم غداً بمجمع العرب.

فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه، فقال له النعمان: يا أحلمنا لا تغضب؛ فإني سأكفيك.

وأرسل النعمان إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه: انظروا ابن عمّكم حاتماً، فأرضوه، فوالله ما أنا بالذي أعطيكم مالي تبذرونه، وما أطيق بني حيّة.

فخرج بنو لأم إلى حاتم فقالوا له: أعرِض عن هذا المجاد ندع أرش أنف ابن عمنا، قال: لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم، ويغلب مجادكم.

فتركوا أرش أنف صاحبهم وأفراسهم، وقالوا: قبّحها الله وأبعدها؛ فإنما هي مَقارف، فعمد إليها حاتم، وأطعمها الناس، وسقاهم الخمر، وقال حاتم في ذلك:

أبلغ بني لأم فإن خيولهم عقرى وإن مجادهم لم يمجُد
ها إنّما مطرت سماؤكم دماً ورفعت رأسك مثل رأس الأصيد
ليكون جيراني أُكالا بينكم نُحُلا لكندي وسبي مزبد
وابن النّجود إذا غدا متلاطِما وابن العذوّر ذي العِجان الأبرد
ولثابت عيني جذ متماوت وللعمظ أوس قد عوى لمقلد
أبلغ بني ثُعل بأني لم أكن أبدا لأفعلها طوال المُسْنَد
لا جئتُهم فلا وأترك صُحبتي نهبا ولم تغدر بقائمه يدي

وخرج حاتم في نفرٍ من أصحابه في حاجةٍ لهم، فسقطوا على عمرو بن أوس بن طريف بن المثنّى بن عبد الله بن يشجب بن عبد وُدّ في فضاءٍ من الأرض، فقال لهم أوس ابن حارثة بن لأم: لا تعجلوا بقتله؛ فإن أصبحتم وقد أحدق الناس بكم استجرتموه، وإن لم تروا أحداً قتلتموه. فأصبحوا وقد أحدق الناس بهم، فاستجاروه فأجارهم، فقال حاتم:

عمرو بن أوس إذا أشياعه غَضِبوا فأحرزوه بلا غُرْم ولا عارِ
إن بني عَبْد وُد كلّما وقعت إحدى الهنات أتوها غير أغْمَارِ.

14 الحكّام العُدول والمُرتَشون:

أ – الحكـام المرتشون[1]:

(المرتشون في الحكومة في الجاهلية ثلاثة)

«ضَمْرة بن ضَمْرة النَّهْشَليّ وَتحاكم إليه عبّاد بن أنف الكلب، وسَبْرةُ بن عمرو الأسديّان، فاسترشى ضَمْرة عباداً ونفّرهُ على سَبْرة، وأعطاه عبّادٌ عشراً من الإبل، فقيل ذلك لسَبْرة فرجز به فقال:

أنا لمن يسأل عنّي سبره
ناك أباه ضَمْرة بن ضَمْره
في قَفْرَة الهَلْباء أولى نَظْرَه

والأقرع بن حابس المجاشعي تنافر إليه جرير بن عبد الله البَجَليّ وخالد، فمدحه جرير ورضخ له رضخةً فنفّر جريراً على خالد.

ومروان بن زِنْبَاع العَبْسي تحاكم إليه السّفاح التغلبي وعمرو بن لأي فارس مجلز[2] من بني تيم الله بن ثعلبة، فأهدى إليه عمرو وأطعمه فنفّره على السّفاح، وكان السّفاح أفضل منه، وكان على خيل سلمة بن الحارث يوم قتل أخاه شراحيل بن الحارث يوم الكُلاب. وللسّفاح يقول الأخطل:

وأخوهما السفاح ظَمَّأ خيلَهُ حتّى وَرَدْن جُبَى الكُلاب نِهالا

ب – الحكّام العُدُول[3]:

(حكماء العرب العُدول ثلاثة)

هَرِم بن قُطْبة الذي يقول فيه الأعشى:

ولا إلى الهرمين في بيت الحُكُومة والصّباره

---

(1) أبو عبيدة – الديباج: 99–101 .

(2) في الأصل «فارس مخلد»؛ وهو تصحيف من أخطاء الطباعة (المؤلفة).

(3) أبو عبيدة – الديباج: 101.

والآخر: هَرِمُ بن سنان.

ومعاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب.

15 – منافرة جميل بن عبد الله بن مَعْمَر وَجَوَّاس بن قُطْبَة العُــذْرِي (العصر الإسلامي)(1).

وكان جوّاس شريفاً في قومه شاعراً، فذكر أبو عمرو الشيباني:

أن جميل بن عبد الله بن معمرٍ لما هاجى جوّاساً تنافرا إلى يهود تيماء، فقالوا لجميل: يا جميل، قُل في نفسك ما شئت، فأنت والله الشاعر الجميل الوجه الشريف، وقل أنت يا جواس في نفسك وفي أبيك ما شئت، ولا تذكرنّ أنت يا جميل أباك في فخر؛ فإنه كان يسوق معنا الغنم بتَيْماء، وعليه شملةٌ لا توارى استه، ونفّروا عليه جوّاساً، قال: ونشب الشرّ بين جميل وجوّاس، وكانت تحته أم الُجسَيْر أخت بُثينة التي يذكرها جميل في شعره، إذ يقول:

يا خَلِيلي إن أم جُسَيْرٍ حين يدنو الضّجيع من عَلَلِــهْ
روضة ذات حَنْوة وخُزَامَى جاد فيها الرَّبيع من سَبَــلَهْ

فغضب لجميل نفر من قومه يقال لهم بنو سفيان، فجاؤوا إلى جوّاس ليلاً وهو في بيته، فضربوه وعرّوا امرأته أمّ الجُسَيْــر في تلك الليلة، فقال جميل:

مـا عَـر جوّاس استَها إذ يسبُّهم بصَقْري بني سُفيان قَيْس وعاصمِ
هــما جردا أُم الجُسَيْر وأوقعا أمـر وأدهى مـن وَقِيعة سالِمِ

فقال جوّاس:

ما ضُــرِب الجَــوّاسُ إلا فُجَاءة على غفلة مِن عَينِه وهو نائـمُ
فإلا تُعجّلـني المنّية يصْــطبح بكأسك حِصناً كم حُصين وعاصِمُ
ويُعطي بنو سفيان ما شئت عنـوةً كما كنت تُعطِيني وأنفُك راغمُ

---

(1) الأصفهاني – الأغاني، 22: 151.

ثانياً: شعر المنافرات الذي ذكر في الدواوين الشعرية:

1 – الأَعْشَى الكَبِير – مَيْمُون بن قَيْس

أ – الرَّائِيَّة(1):

شَاقَتْك مِـن قَـتْـلَـةَ أَطْـلاَلُـهَـا   بالشَّـط فَالْوَتْر إِلى حَاجِرِ

فَرُكْن مِهْـرَاس إِلى مَـارِدٍ   فَقَاع مَنْفُوحَة ذِي الحَائِرِ

دَار لَهَا غَـيَّر آيَاتِـهَا   كُل مُـلِث صَوْبَـه زَاخِرِ

وَقَد أَرَاهَا وَسْط أَتْـرَابِهَا   فِي الحَي ذِي البَهْجَة وَالْسَّامِرِ

كَدُمْيَـة صُوِّر مِحْرَابُـهَا   بِمُذْهَب فِي مَـرْمَر مَـائِرِ

أَو بَـيْضَة فِي الدِّعْص مَكْنُونَـةٍ   أَو دُرَّة شِيفَت لَدَى تَاجِـرِ

يَشْفِي غَلِيل النَّفْس لاه بِـهَا   حَوْرَاء تُصْبِي نَظَـر النَّاظِرِ

لَيْسَت بِسَوْدَاء ولا عِنْفِـصٍ   تُسارِق الطَّرْف إِلى الـدَّاعِرِ

عَبَهْرَة الخَلْق بُلاخِـيَّةٌ   تَشُـوبُه بالخُلُق الطَّاهِـرِ

عَهْدِي بِـهَـا في الحَي قَـدْ سُـرْبِلَـتْ   هَيْفَاء مِثْـل المُهْرَة الضَّامِرِ

قَد نَهَد الثَّدْي عَلَى صَـدْرِهَا   في مُشْرِق ذِي صَبَح نَائِـرِ

لَو أَسْنَدَت مَيْتًا إِلى نَحْرِهَا   عَاش وَلَـم يُنْقَل إِلى قَـابِـرِ

حَتَّى يَقُول النَّاس مِـمَّا رَأَوا   يَا عَجَبًا للمِيِّت النَّاشِـرِ

دَعْهَا فَقَد أَعْذَرْت فِي حُبِّـهَا   وَاذْكُر خَنَا عَلْقَمَة الفَاجِـرِ

عَلْقَم لا لَسْت إِلى عَامِـرٍ   الـنَّـاقِـضِ الأَوْتَـار والـوَاتِرِ

وَاللاَّبِس الخَـيْل بِخَيْل إِذَا   ثَار غُبـار الكَبَّة الثَّـائِرِ

سُدْت بَنِي الأَحْوَص لَم تَعْدُهُمْ   وَعَامِر سَاد بَنِي عَـامِرِ

(1) ديوان الأعشى: 175 – 183.

سَاد وَأَلْفَى قَوْمَه سَادَةً … وَكَابِرًا سَادُوك عَن كَابِرِ

مَا يُجْعَل الجُد الظَّنُون الذِّي … جُنِّب صَوْب اللَّجِب الزَّاخِرِ

مِثْل الفُرَاتِي إِذَا مَا طَمَا … يَقْذِف بالبُوصِي وَالمَاهِرِ

إِن الذِّي فِيه تَمَارَيْتُما … بُيِّن للسَّامع والنَّاظِرِ

حَكَّمْتُمُونِي فَقَضَى بَيْنَكُمْ … أَبْلَج مِثْل القَمَر البَاهِرِ

لا يَأْخُذُ الرُّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ … وَلا يُبَالِي غَبَن الخَاسِرِ

لا يَرْهَب المُنْكِر مِنْكُم وَلا … يَرْجُوكُم إِلا نَقَى الآصِرِ

يَا عَجَب الدَّهْر مَتَى سُوِيَّا … كَم ضَاحِك مِن ذَا وَكَم سَاخِرِ

فَاقْن حَيَاء أَنْت ضَيَّعْتَهُ … مَالَكَ بَعْدَ الشَّيْبَ مِنْ عَاذِرِ

وَلَسْتَ بِالأَكْثر مِنْهُم حَصًى … وَإِنَّمَا العِزَّة لِلكَاثِرِ

وَلسْتَ فِي الأَثْرِين مِنْ مَالِكٍ … وَلا أَبِي بَكْر ذَوِي النَّاصِرِ

هُمْ هَامَة الحَي إِذَا حُصِّلُوا … مِنْ جَعْفَر فِي السُّؤْدُد القَاهِرِ

أَقُول لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ … سُبْحَانَ مِن عَلْقَمَة الفَّاخِرِ

عَلْقَمَ لا تَسْفَه وَلا تَجْعَلَنْ … عِرْضَك لِلوَارد والصَّادِرِ

أُوَوِّلُ الحُكْمَ عَلَى وَجْهِهِ … لَيْسَ قَضَائِي بِالهَوَى الجَائِرِ

قَدْ قُلْتُ قَوْلا فَقَضَى بَيْنَكُمْ … وَاعْتَرَف المَنْفُور للنَّافِرِ

كَم قَد مَضَى شِعْرِي فِي مِثْلِهِ … فَسَار لِي مِن مَنْطِق سَائِرِ

إِن تَرْجِع الحُكْم إِلى أَهْلِهِ … فَلَسْت بِالمُسْتِي وَلا النَّائِرِ

وَلَسْت فِي السِّلْم بِذِي نَائِلٍ … وَلَسْت فِي الهَيْجَاء بِالجَاسِرِ

إِنِّي آلَيْت عَلَى حَلْفَةٍ … وَلَم أُقِلْه عَثْرَة العَاثِرِ

لِيَأْتِيَنْه مَنْطِق سَائِرٌ … مُسْتَوْسِق لِلمُسْمَع الآثَرِ

عَض بِمَا أَبْقَى المَوَاسِي لَهُ … مِن أُمِّه فِي الزَّمَن الغَابِرِ

وَكُن قَد أَبْقَيْن مِنْهَا أَذَىً … عِنْد المَلاقِي وَافِي الشَّافِرِ

لا تَحْسَبَنِّي عَنْكُم غَافِلاً فَلَسْت بِالوَانِي وَلا الفَاتِرِ

وَاسْمَع فَإِنِّي طَبِن عَالِمٌ أَقْطَع مِن شَقْشَقَة الهَادِرِ

يُقْسِم بِاللَّه لَئِن جَاءَهُ عَنِّي أَذَى مِن سَامِعٍ خَابِرِ

لَيَجْعَلَنِّي سُبَّة بَعْدَهَا جُدِّعْت يَا عَلْقَم مِن نَاذِرِ

أَجَذعا تُوعِدُنِي سَادِرًا لَسْت عَلَى الأَعْدَاءِ بِالقَادِرِ

انْظُر إلى كَفٍّ وَأَسْرَارِهَا هَل أَنْت إِن أَوْعَدْتَنِي ضَائِرِي

إِنِّي رَأَيْت الحَرْب إِن شَمَّرَتْ دَارَت بِك الحَرْب مَع الدَّائِرِ

حَوْلِي ذَوُو الآكَالِ مِن وَائِلٍ كَاللَّيْل مِن بَاد وَمِن حَاضِرِ

المُطْعِمُو اللَّحْم إِذَا مَا شَتَوا والجَاعِلُو القُوت عَلَى اليَاسِرِ

مِن كُل كَوْمَاء سَحُوف إِذَا جَفَّت مِن اللَّحْمِ مُدَى الجَازِرِ

وَالشَّافِعُون الجُوع عَن جَارِهِمْ حَتَّى يُرَى كَالغُصُن النَّاضِرِ

كَم فِيهِم مِن شَطْبَة خَيْفَقٍ وَسَابِح ذِي مَيْعَة ضَابِرِ

وَكُل جَوْب مُتْرَص صُنْعُهُ وَصَارِم ذِي رَوْنَق بَاتِرِ

وَكُل مِرْنَان لَه أَزْمَلٌ وَلَيِّن أَكْعُبُه حَادِرِ

وَقَد أُسَلِّي الهَم حِين اعْتَرَى بِجَسْرَة دَوْسَرَة عَاقِرِ

زَيَّافَة بِالرَّحْل خَطَّارَةٍ تُلْوِي بِشَرْخَي مَيْسَة قَاتِرِ

شَتَّان مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْم حَيَّان أَخِي جَابِرِ

في مِجْدَل شُيِّد بُنْيَانُهُ يَزِل عَنْه ظُفُر الطَّائِرِ

يَجْمَع خَضْرَاء لَهَا سَوْرَةٌ تَعْصُف بِالدَّارِع وَالحَاسِرِ

بَاسِلَة الوَقْع سَرَابِيلُهَا بِيض إِلَى جَانِبِه الظَّاهِرِ

ب – الصاديّة(1):

وقال يهجو علقمة أيضًا:

لَعَمْرِي لَئِن أَمْسَى مِن الحَي شَاخِصا   لَقَد نَـال خَيْصا مِن عُفَيْـرَة خَائِصَا

إِذَا جُرِّدَت يَوْمًا حَسِبْت خَمِيصَـة   عَلَيْـهَا وَجِرْيَالا يُضِـيء دُلامَصَا

تَقَمَّـرَهَا شَيْخ عِشَاء فَأَصْبَحَتْ   قُضَاعِيَّـة تَأْتِي الكَوَاهِن نَاشِصَا

فَأَقْصَدَهَا سَهْمِي وَقَد كَان قَبْلَهَا   لأَمْثَالِهَا مِن نِسْـوَة الحَي قَارِصَا

أَتَانِي وَعِيد الحُوص مِن آل جَعْفَرٍ   فَيَا عَبْد عَمْرٍو لَوْ نَهَيْت الأَحَاوِصَا

فَقَلْت وَلَم أَمْلِك أَبَكْر بن وَائِلٍ   مَتَى كُنْت فَقْعًـا نَابِتًا بِقَصَائِصَا

وَقَد مَلأَت بَكْر وَمَن لَف لِفَّهَا   نُبَاكًا فَأَحْوَاض الرَّجَـا فَالنَّوَاعِصَا

أَعَلْقَم قَد حَكَّمْتَنِـي فَوَجَدْتَنِي   بِكُم عَالِمًا عَلَى الحُكُومَة غَائِـصَا

كِلا أَبَوَيْكُـم كَان فَـرْعَا دِعَامَةً   وَلَكِنَّـهُم زَادُوا وَأَصْبَحْت نَاقِصَا

هُـم الطُرُف النَّاكُو العَدُو وَأَنْتُمُ   بِقُصْـوَى ثَلاث تَأْكُلُون الوَقَائِصَا

تَبِيتُون فِي المَشْتَى مِلاء بُـطُونُكُمْ   وَجَارَاتُكُم غَرْثَى يَبِتْن خَمَائِـصَا

يُرَاقِبْـن مِن جُـوع خِـلالَ مَـخَـافَـة   نُجوم السَّـماء الطَّالِعَاتِ الشَّوَاخِصَا

أَتُوعِدُنِي أَن جَاش بَـحْـرُ ابْنِ عَـمِّكُـمْ   وَبَـحْـرُكَ سَاجٍ لا يُوَارِي الدَّعَامِصَـا

فَلَو كُنْتُم نَخْلا لَكُـنْتُم جُرَامَـةً   وَلَـو كُنْتُم نَبْلا لَكُنْتُم مَعَاقِصَـا

رَمَى بِك فِي أُخْرَاهُم تَرْكُك العُلَى   وَفَـضَّـل أَقْوَامًا عَلَيْـك مَرَاقِصَا

فَـعَـضَّ جَـدِيـدَ الأَرْض إِن كُنْت سَاخِطاً   بِفِيـك وَأَحْجَار الكُلاب الرَّوَاهِصَا

فَإِن تَتَّعِدْنِي أَتَّعِـدْك بِمِثْـلِهَا   وَسَوْف أَزِيـد البَاقِيَات القَوَارِصَا

قَوَافِي أَمْثَـالا يُـوَسِّـعْـنَ جِلْـدَهُ   كَمَا زِدْت فِي عَرْض القَمِيص الدَّخَارِصَا

وَقَد كَان شَيْخَانَا إِذَا مَا تَلاقَيَـا   عَدُوَّيْن شَتّى يَرْمِيَـان الفَرَائِـصَا

وَمَـا خِـلْـت أَبْقَى بَيْـنَنَا مِن مَـوَدَّةٍ   عِرَاض المَذَاكِـي المُسْنِفَات القَلائِصَـا

(1) ديوان الأعشى: 185 – 187 .

فَهَل كُنْتُم إِلا عَبِيداً وإِنَّمَا   تُعَدَّون خُوصاً في الصَّدِيق لَوَامِصَا
تَخَامُصُكُم عَن حَقَّكُم غَيْر طَائِلٍ   عَلَى سَاعَة مَا خِلْت فِيهَا تَخَامُصَا
فَإِن يَلْق قَوْمِي قَوْمَه تَر بَيْنَهُمْ   قِتَالاً وَأَكْسَار القَنَا وَمَدَاعِصَا
أَلَم تَر أَن العِرْض أَصْبَح بَطْنُهَا   نَخِيلاً وَزَرْعاً نَابِتاً وَفَصَافِصَا
وَذَا شُرَفَات يُقْصِر الطَّيْر دُونَهُ   تَرَى للحَمَام الوُرْق فِيه قَرَامِصَا

وقال معتذراً إلى علقمة بن عُلاثة(1):

أَعَلْقَم قَد صَيَّرَتْنِي الأُمُور   إِلَيْك وَمَا كَان لِي مَنْكَصُ
كَسَاكُم عُلاثَة أَثْوَابَهُ   وَوَرَّثَكُم مَجْدَه الأَحْوَصُ
وَكُل أَنَاس وإِن أَفْحَلُوا   إِذَا عَايَنُوا فَحْلَكُم بَصْبَصُوا
وَإِن فَحَص النَّاس عَنْ سَيِّدٍ   فَسَيِّدُكُم عَنْه لا يُفْحَصُ
فَهَل تُنْكَر الشَّمْسُ في ضَوْئِهَا   أَو القَمَر البَاهِر المُبْرِصُ
فَهَب لِي ذُنُوبِي فَدَتْك النُّفُوس   وَلا زِلْت تَنْمِي وَلا تَنْقُصُ

2 – الحُطَيْئَة:

أ – اللاميّة(1):

قال الحطيئة في منافرة عَلْقَمَة بن عُلاثَة وعامر بن الطُّفَيل، منتصراً لعلقمة:

أَلا آل لَيْلَى أَزْمَعُوا بِقُفُولِ   وَمَا آذَنُوا ذَا حَاجَة بِرَحِيلِ
تَنَادَوا فَحَثُّوا للتَّرَحّل عِيرَهُمْ   فَبَانُوا بِبَيْضَاء الخُدُود قَتُولِ
مُبَتَّلَة يَشْفِي السَّقِيم كَلامُهَا   لَهَا جِيد أَدْمَاء العَشِيِّ خَذُولِ
وَتَبْسِم عَن عَذْب مُجَاج كَأَنَّهُ   نُطَافَة مُزْن صُفِّقَت بِشَمُولِ
فَعَد طِلاب الحَي عَنْهَا بِجَسْرَةٍ   تَخَيَّل في جَدْل الزِّمَامِ ذَمُولِ

---

(1) ديوان الأعشى: 405.

(2) ديوان الحطيئة: 5 – 9.

عُذَافِرَة حَرْف كَأَن قُتـودَهَا	عَلَى هِقْلَة بالشَّيِّطَيْن جَفُـول
فَلَوْ سَلِـمَت نَفْسِي لِعَمْرِو بن عَامِرٍ	لَـقَـدْ طَـال رَكْب نَازِل بِأَمِـيل
لَعَمْرِي لَقَد جَارَيْتُم آل مَالِـكٍ	إلى مَـاجِـد ذِي جَمَّة وَفُضُـول
إِذَا قَايَسُوه المَجْد أَرْبَى عَلَيْهِـمُ	بِمُسْتَفْرِغ مَاء الذِّنَاب سَجِـيل
وَإن يَرْتَقُوا في خُطَّة يَرْق فَوْقَهَا	بِـثَـبْتٍ عَلَى الضَّـاحِي المَزِل رَجِيل
فَـصُـدّوا صُـدُودَ الـوَان أَبْـقَـى لِعِرْضِكُمْ	بَنِي مَالِك إِذ سُد كُل سَبِيـل
وَمَا جَعَـل الصُّعْر اللِّئام خُدُودُهَا	آدَم قَلْب مِن بَنَات جَدِيـل
فَتَى لا يُضَام الدَّهْر مَا عَاش جَارُهُ	لَيْس لإِدْمَان القِرَى بِمَـلُول
هُو الوَاهِب الكُوم الصَّـفَايَا لِجَـارِهِ	كُل عَتِيـق الحُرَّتَيْن أَسِيـل
وَأَشْـجَـعُ في الهَيْجَـاء مِنْ لَيْث غَابَةٍ	إذا مُسْتَبَاة لَم تَثِـق بِحَلِيـل
وَخَيْل تَعَـادَى بِالكُمَاة كَأَنَّهَا	وُعُـول كِهَاف أَعْرَضَت لِوُعُول
مُثَابرة رَهْواً وَزَعْـت رَعِيلَهَـا	بِأَبْيَض مَاضِي الشَّـفْرَتَيْـن صَـقِيـل
أَخُو ثِقَـة ضَخْم الدَّسِيعَـة مَاجِدٌ	كَرِيم النَّثَـا مَوْلاه غَيْر ذَلِيل
إِذَ ا النَّاس مَدُّوا لِلفِعَال أَكُفَّـهُمْ	بَذَخْت بِعَادِي السَّرَاة طَوِيـل
وَجُرْثُومَة لا يَقْرَب السَّيْل أَصْلَهَـا	فَقَد صَـدَّ عَـنْـهَا المَاء كُل مَسِيـل
بَنَى الأَحْـوَصَـانِ مَـجْـدَهَـا ثُـم أُسْلِمَتْ	إِلى خَيْر مُرْد سَادَة وَكُهُـول
فَـإِن عُـد مَجْد فَاضِل عَد مِثْلَـهُ	وَإِن أَثَـلُوا لاقَـاهُـم بِأَثِيل
وَرِثْـتَ تُـرَاثَ الأَحْـوَصَـيْـنِ فَـلَـم يَضِـعْ	إِلى ابْنَي طُفَيْل مَالِك وَعَقِيـل
فَمَا يَنْظُـر الحُكَّام بِـالفَصْلِ بَعْدَمَا	بَـدَا وَاضِـح ذُو غُـرَّة وَحُجُول

ب – الميمية(1):

وقال في منافرة علقمة بن عُلاثة وعامر بن الطفيل، وهو يفضل علقمة عليه:

(1) ديوان الحطيئة: 16.

يَـا عَـام قَد كُنْت ذَا بَاع وَمَكْرُمَةٍ لَو أَن مَسْعَاة مَن جَارَيْتَه أَمَـمُ

جَارَيْت قَرْماً أَجَاد الأَحْوَصَان بِهِ جَـزْل المَوَاهِبِ، فِي عَـرْنِينِه شَمَمُ

لا يَصْعُب الأَمْر إِلا رَيْث يَرْكَبُهُ وَ لا يَبِيت عَلَى مَال لَه قَسَـمُ

مِـصْبَاح سَارِي ظَلام يُسْتَضَاء بِـهِ فِي إِثْــر مَوسُوقَة تُهْدَى بِهَا النَّعَمُ

وَمِثْـلُه فِي كِلاب فِي أُرُومَتِـهِ يُعْطَى المَقَالِيد أَو يُلْقَى لَه السَّلَمُ

هَابَت بَنُو مَالِك مَجْداً وَمَكْرُمَـةً وَغَايَة كَان فِيهَا المَوْت لَو قَدِمُوا

وَمَا أَسَاء فِرَارا مِن مُجَلَّحَـةٍ لا كَاهِن يَمْتَرِي فِيهَا وَلا حَكَـمُ

ج – الرائيّة(1):

وقال في منافرة عُيَيْنَة بن حِصْن الفَزَارِيّ وزَبَّان بن سَيَّار الفَزَارِيّ:

أَ بَــى لَك آبَـاءٌ، أَبَـى لَك مَجْدُهُــمْ سِوَى المَجْـدِ، فَانْـظُرْ صَـاغِـراً مَـن تُنَافِرُهْ

قُبُورٌ، أَصَابَتْهَا السُّيُوف ثَلاثَــةٌ نُجُوم هَــوَتْ فِي كُل نَجْـم مَـرَائِرُهُ

فَقَبْــر بَأَجْبَال وَقَبْر بِحَاجِرٍ وَقَبْر القَلِيب أَسْعَر الحَرْب سَـاعُرُهُ

وَشَـر المَنَايَا هَالِك وَسْط أَهْلِــهِ كَهُلْك الفَتَاة أَيْقَـظ الحَي حَاضُـرُهْ

3 – لبيد بن ربيعة:

قال في منافرة عامر بن الطُّفَيْل وعَلْقَمَة بن عُلاثَة(2):

وَلَمَّا دَعَانِي عَـامِر لِأَسُبَّهُمْ أَبَـيتُ وَإِنْ كَـان ابْـنُ عَـيْـسَـاءَ ظَـالِـمـا

لِكَيْمَا يَكُون السَّنْدَرِي نَدِيدَتِي وَأَجْعَل أَقْوَاما عُمُوما عَمَاعِما

وَأَنْبُـش مِن تَحْت القُبور أُبُوَّةً كِرَاما هُم شَدُّوا عَلَي التَّمَائِمَا

لَعِبْت عَلَى أَكْتَافِهِم وَحُجُورِهِمْ وَلِيدا وَسَمَّوْنِي مُفِيدا وَعَاصِمَا

---

(1) ديوان الحطيئة: 45.

(2) ديوان لبيد بن ربيعة: 286 – 287.

بَـلَـى: أَيُّـنَـا مَـا كَـانَ شَـراً لِـمَـالِـكٍ فَلا زَال فِي الدُّنْيَا مَلُوماً وَلائِمَا

وقال أيضاً(1):

إِنِّي امْـرُؤ مِن مَالِك بن جَعْفَـر

عَلْقَـم قَد نَافَرْت غَيْر مُنَفـر

نَافَـرْت سَقْبًا مِن سِقَاب العَرْعَـر

وقال أيضاً(2):

يَا هَـرِمًا وَأَنْت أَهْل عَدْلِ

إِن وَرَد الأَحْـوَص مَاء قَبْلِي

لَيَـذْهَبَن أَهْلُه بِأَهْلِي

لا تَـجْـمَـعَـن شَكْلَهُـم وَشَكْلِي

وَ نَـسْـل آبَائِهِم وَنَسْلِي

لَقَد نَهَيْت عَـن سَفَاه الجَهْلِ

حَتَّى انْتَـزَى أَرْبَعَة فِي حَبْلِي

فَالَيْوْم لا مَقْعَـد بَعْد الوَصْلِ

فَارَقْتُهُم بِذِي ضُـرُوع حُفْلِ

مَوَاثِم الحَزْن قَرِيـع السَّهْلِ

بِصَائِب الصَّدْر سَدِيـد الرِّجْلِ

يَمُد بِالذِّرَاع يَـوْم المَعْـلِ

سَتَعْلَمُـون مَن خِيَار الطَّبْلِ

---

(1) ديوان لبيد بن ربيعة: 334.

(2) ديوان لبيد بن ربيعة: 343 –344.

4 – حاتم الطائي:

قال في المنافرة التي كادت أن تحدث بينه وبين سَعْد بن لَأْم(1):

أَبْلِغْ بني لَأْمٍ بأَنَّ خيولَهم	**عَقْرى وأنَّ مجادَهُم لم يُمْجَدِ**
ها إنَّما مُطِرَت سَماؤكُم دمًا	**وَرَفَعْتَ رَأْسَكَ مِثْلَ رَأْسِ الأَصْيَدِ**
لِيَكون جيرَانِي أُكَالًا بَيْنَكُمْ	**نخلا لِكِنْدِيٍّ، وَسَبْي مُزْنِدِ**
وَابْن النُّجود وَإِن غَدا مُتَلاطِمًا	**وابن العَذوّر ذِي العِجانِ الأَزْبَدِ**
أَبْلغ بَني ثُعْل بِأَنِّي لَم أَكُنْ،	**أَبَدًا، لِأَفْعَلَهَا، طَوال المُسْنَدِ**
لا جِئتُهُم فَلًّا، وَأُتْرُك صُحْبَتِي	**نَهْبًا، وَلَم تَغْدُر بِقائِمِه يَدِي**

ثالثاً: خطب المنافرات

1– خطبة عبد المطلب بن هاشم في منافرة قريش وخُزَاعَة(2):

يقول: «أيها الناس: نحن آل إبراهيم، وذُرية إسماعيل، وبنو النَّضْر بن كِنَانِة، وبنو قُصيّ بن كِلاب، وأرباب مكة وسكان الحرم، لنا ذروة الحسب والنسب، ومعدن المجد، ولكل في كلّ حلف يجب عليه نصرته، وإجابة دعوته، إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة، وقطع رحم. يا بني قصي: أنتم كغصني شجرة، أيهما كسر أوحش صاحبه، والسيف لا يُصان إلا في غِمْده، ورامي العَشيرة يصيبه سهمه، ومن أمحكه اللَّجَاج أخرجه إلى البغي. أيها الناس: الحلم شرف، والصبر ظَفَر، والمعروف كنز، والجود سؤدد، والجهل سفه، والأيام دُوَل، والدهر غِيَر، والمرء منسوب إلى فعله، ومأخوذ بعمله، فاصطنعوا المعروف تكسبوا المجد، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء، واكرموا الجليس، يعمر ناديكم، وحابوا الخَلِيط يرغب في جواركم، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم. وعليكم بمكارم الأخلاق، فإنها رفعة لكم، وإياكم والأخلاق الدنية، فإنها تضع الشرف، وتهدم المجد، وأن نَهْنَهَة الجاهل أهون من حَزِيرته، ورأس العشيرة يحمل أثقالها، ومقام الحليم عظة لمن انتفع به».

(1) ديوان حاتم الطائي: 76.

(2) الماوردي – أعلام النبوة: 159–160 .

2- خطبة مَرْثَد الخَيْر في منافرة سُبَيْع بن الحَرْث ومَيْثَم بن مُثَوِّب[1]:

«فقال: إن التَّخَبُّط وامْتِطاء الهَجَاج، واسْتِحْقَاب اللَّجَاج، سَيَقِفُكُما على شَفا هُـوَّة في تَوَرُّدِها بَوار الأصِيلَة، وانقطاع الوسِيلة، فَتَلافيا أمركما، قَبْل انْتِكاث العَهْد، وانْحِلال العَقْد، وتَشَتُّت الأُلفة، وتَبَاين السُّهْمة، وأنتما في فُسْحة رافِهـة، وقدم واطِدة، والمَوَدَّة مُثْرِية، والبُقْيا مُعْرِضة، فقد عَرَفتم أنباءَ من كان قَبْلكم من العَربِ، ممن عَصَى النَّصيح، وخالف الرَّشيد، وأصْغَى إلى التقاطع، ورأيتم ما آلت إليه عواقب سوء سعيهم، وكيف كان صَيُّور أمورهم، فتـلافوا القَرْحة، قبـل تفاقم الثَّـأي، واسْتِفحال الداء، وإعواز الـدَّواء، فـإنه إذا سُفِكـت الدمـاء، واستحكمت الشحنـاء، وإذا اسْتَحكمت الشحناء، تقبضت عُرَى الإبقاء، وشَمِل البلاء.

فقال سُبَيْع: أيّها الملك، إن عداوة بني العَلّات لا تبرئها الأُساة، ولا تشفيها الرُقاة، ولا تستقل بها الكُفاة، والحسد الكامن، هو الداء الباطن، وقد عَلِم بَنُو أبينا هؤلاء أنّا لهم ردء إذا رَهِبوا، وغَيْث إذا أجْدَبوا، وَعَضُد إذا حاربوا، ومَفْزَع إذا نُكِبوا، وإنا وإياهم كما قال الأوّل:

إذا مَـا عَـلَـوا قـالـوا أبُـونـا وأمُّـنـا ولـيـس لـهـم عـالِـين أُمٌّ ولا أبُ

فقال مَيْثم: أيها الملك، إن من نَفِسَ على ابنِ أبيه الزَّعامة، وجَدَبَه في المَقَامة، واستكثر له قليل الكرامة، كان قَرِفاً بالملامة، ومُؤنَّباً على ترك الاستقامة، وإنا والله ما نَعْتدُّ لهم بيد إلا وقد نالهم منّا كفاؤها، ولا نذكر لهم حسنةً إلا وقد تَطَلَّع منّا إليهم جزاؤها، ولا يَتَفَيَّأُ لهم علينا ظلٌّ نعمة، إلا وقد قوبلوا بشَرْواها، ونحن بَنُو فَحْل مُقْرِم، لم تَقْعُد بنا الأمَّهات ولا بهم، و لم تَنْزِعْنا أعراق السُّوءِ ولا إياهم، فعلام مط الُخدود وخَزَر العُيون، والجَخِيف والتَّصَعُّر والبَأْو والتكبر؟ ألِكَثْرة عدد أم لفَضْل جَلَد، أم لطول مُعْتَقَد؟ وإنَّا وإياهم لكما قال الأوَّل:

لاهِ ابـنُ عَـمِّـك لا أَفْـضَـلْـتَ في حَـسَـبٍ عَـنِّـي ولا أنـتَ دَيَّاني فَـتَـخْـزُوني

(1) القالي: الأمالي، 1:92-93.

ومَقَاطع الأمور ثلاثة: حَرْب مُبيرةٌ، أو سِلْم قَريرةٌ، أو مُدَاجاة غَفِيرة، فقال الملك: لا تنشِطوا عُقُلَ الشوارد، ولا تلْقِحوا العُونَ القواعد، ولا تُؤرِّثوا نيران الأحقاد، ففيها المَتْلَفة المُسْتَأْصِلَة، والجَائح والأَلِيلَة، وعَفوا بالحلْم أبْلادَ الكَلِم، وأَنيبوا إلى السبيل الأرشد، والمنهج الأقْصد، فإن الحرب تقبل بزِبْرِج الغرور، وتدبر بالويل والثبور، ثم قال الملك:

ألا هَل أتَى الأَقْوَام بَذْلِي نَصِيحَةً ... حَبَوْت بِهَا مِنِّي سُبَيْعًا وَمَيْثَمَا

وَقُلْت اعْلَمَا أَنَّ التَدَابُر غَادَرَتْ ... عَوَاقِبُه للذُل وَالقُل جُرْهُمَا

فَلا تَقْدَحَا زَنْد العُقُوق وَأَبْقِيَا ... عَلَى العِزَّة القَعْسَاء أَن تَتَهَدَّمَا

وَ لا تَجْنِيَا حَرْبا تَجُر عليكما ... عَواقُبها يَوْما من الشَّر أَشأما

فإن جُنَاة الحَرْب للحَيْنِ عُرْضَةٌ ... تُفَوِّقُهم منها الذُّعَاف المُقَشَّما

حَذَار فلا تَسْتنبِثُوها فإنها ... تُغادِرُ ذا الأنف الأَشَم مُكَشَّما

فقالا: لا أيها الملك؛ بل نقبل نصحك، ونطيع أمرك، ونطفئ النائر، ونحلّ الضغائن، ونثوب إلى السَّلْم».

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر:

أولاً: الكتب

- الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين (ت 421 هـ) – نثر الدر، تحقيق محمد علي قرنة وعلي محمد البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980.

- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت 370 هـ) – المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1991.

- الأبشيهي؛ أبو الفتح، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت850هـ) – المستطرف في كل فن مستظرف، ط3، تحقيق إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت،1999.

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت 630 هـ) – أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، 1997.

- ابن الأثير مجد الدين الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد (ت606هـ) النهاية في غريب الحديث والأثر، خرج أحاديثه وعلّق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت،1997

- الأسود الغندجاني، أبو محمد الأعرابي (ت 430 هـ) – فُرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه، تحقيق محمد علي سلطاني، دار النبراس، دمشق، 1981.

- الأصفهاني؛ أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت356 هـ) – الأغاني، طبعة مصورة عن دار الكتب، إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

- الألوسي، محمود شكري (ت 1342 هـ)– بلوغ الأرب في أحوال العرب، مطبعة دار السلام، بغداد، د.ت.

- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093 هـ) – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981.
- البغدادي، أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي (ت417 هـ) – كتاب الفصوص، تحقيق عبد الوهاب تازي سعود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1995.
- البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت:نحو 320 هـ) – المحاسن والمساوئ، تحقيق عدنان علي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.
- الثعالبي، أبومنصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت429هـ) – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1985.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري (ت 255 هـ) – البيان والتبيين، ط5، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- الجمحي، محمد بن سلام (ت 231 هـ) – طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د. ت.
- ابن الجون الأشعري، أبو الربيع سليمان بن موسى (ت 652 هـ) – الرياض الأدبية في شرح الخمرطاشية، تحقيق القاضي محمد بن علي الأكوع الحوالي والقاضي إسماعيل بن أحمد الجرافي، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، 1999.
- ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت 245 هـ):
1. المحبّر، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
2. المنمق في أخبار قريش – تحقيق خورشيد أحمد فارق، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1964.
3. رسالة فيمن نسب إلى أمه من الشعراء، (ضمن المجموعة الأولى من نوادر المخطوطات)، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1991.

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت 852 هـ):

1. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الجواد والشيخ علي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

2. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار السلام، الرياض، 1997.

- الحموي، ياقوت بن عبدالله الحموي أبوعبد الله (ت 626 هـ) – معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1986.

- ابن خلدون الحضرمي، عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ) – المقدمة، «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1999.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (275 هـ) – سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت.

- ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد الحسن (ت 321 هـ) –الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1991.

- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن (ت 456 هـ) – العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، 1988.

- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ)– تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة من المحققين، مطبعة حكومة الكويت، 1974.

- الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي (538 هـ)– أساس البلاغة، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985.

- ابن سعد – محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري (ت230هـ) – الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 1975.

- السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد (ت576 هـ) – معجم السفر، تحقيق عبدالله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، 1993.
- السمهودي، علي بن أحمد (ت 911 هـ) – وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ط3، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، بيروت، 1403.
- السندي، أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي (ت1138هـ)– صحيح البخاري بحاشية السندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- السهيلي، عبد الرحمن بن عبدالله الخثعمي (581 هـ) – الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مجدي منصور الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ)– المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم وآخرون، طبعة البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.
- الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت 360 هـ) – المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد، 1978.
- الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير (ت310 هـ) – تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978.
- ابن ظفر الصقلي، محمد بن أبي محمد بن محمد أبوعبد الله (ت 565 هـ) –أنباء نجباء الأبناء، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980.
- ابن عبدربه؛ الأندلسي، أحمد بن محمد (ت328هـ)– العقد الفريد، ط3، تحقيق مكتبة إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.
- أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت487هـ) – معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتاب، بيروت، 1403.

- أبوعبيدة، مَعْمَر بن المثنى التيمي (ت209 هـ):
1. شرح نقائض جرير والفرزدق –ط2، تحقيق محمد إبراهيم حور ووليد محمود خالص، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، 1998.
2. أيام العرب قبل الإسلام – جمع وتحقيق عادل جاسم البياتي، عالم الكتب، بيروت، 1987.
3. الديباج، تحقيق عبد الله سليمان الجربوع وعبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1991.
- ابن عساكر، علي بن الحسن (ت 571 هـ) – تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين عمرو العمري، دار الفكر، دمشق، 1998.
- العسكري، أبوهلال الحسن بن عبد الله (ت 395 هـ) – ديوان المعاني، دار الجيل، بيروت،د.ت.
- ابن العماد؛ عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الدمشقي (ت1089هـ) – شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت 175 هـ) – كتاب العين،5ج، تحقيق المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة، د.ت.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (817 هـ) – القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.
- القالي البغدادي، أبو علي إسماعيل القاسم (ت356 هـ) –الأمالي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1962.
- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت 463 هـ) – الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

- القرطبي؛ أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (ت671 هـ) – الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1949.
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت 821 هـ) – صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
- ابن كثير، أبوالفدا إسماعيل القرشي الدمشقي (ت774هـ) – تفسير القرآن العظيم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1988.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد الشافعي (ت450هـ) – أعلام النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986.
- المرزباني، أبوعبيدالله محمد بن عمران (ت384هـ) – معجم الشعراء، تحقيق ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، 1991.
- مسلم، ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت261 هـ) – صحيح مسلم بشرح النووي، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1984.
- المعري، أبوالعلاء أحمد بن عبدالله (ت449هـ) – شروح سقط الزند، طبعة دار الكتب، القاهرة، 1946.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت1031هـ) – التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، دمشق، 1990.
- ابن منبه، وهب (ت114هـ) – التيجان في ملوك حمير، تحقيق مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، 1347.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت630هـ) – لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري (ت518هـ) – مجمع الأمثال، ط2، تحقيق محمد أبوالفضل، دار الجيل، بيروت، 1987.

- ابن نباتة، جمال الدين المصري (ت 768 هـ) – سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986.
- ابن النديم، محمد بن إسحاق أبو الفرج (ت 385 هـ) – الفهرست، يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
- النهشلي القيرواني، عبد الكريم بن إبراهيم (ت نحو 405 هـ)– الممتع في صنعة الشعر، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
- هبة الله الحلي، أبو البقاء (ت القرن السادس الهجري)– المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية،تحقيق محمد عبد القادر خريسات وصالح موسى درادكة،مركز زايد للتراث، العين، 2000.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد (ت 213 هـ)– السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت نحو292 هـ) – تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1993.

ثانياً: الدواوين الشعرية:

- ديوان الأعشى ميمون بن قيس، تحقيق محمد محمد حسين، المكتب الشرقي، بيروت، د. ت.
- ديوان أبي تمام بشرح الصولي، تحقيق خلف رشيد نعمان، وزارة الإعلام، بغداد، د.ت.
- ديوان حاتم الطائي – تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، د. ت.

- ديوان حسان بن ثابت، ط2، تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد حمامي، دار الشرق العربي، بيروت، 1998.
- ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق نعمان أمين طه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1958.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت، 1964.
- ديوان عامر بن الطفيل برواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، دار صادر، بيروت، 1963.
- ديوان المُثقَّب العَبْدي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، منشورات جامعة الدول العربية، القاهرة، 1971.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري – تحقيق إحسان عباس، سلسلة وزارة الإرشاد والأنباء 8، الكويت، 1962.

ب. المراجع الحديثة:

- إبراهيم، عبدالله– التلقي والسياقات الثقافية، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2000.
- البياتي، عادل جاسم – الشعر في حرب داحس والغبراء، مطبعة الآداب في النجف، العراق، د. ت.
- التميمي، قحطان رشيد – اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري، دار المسيرة، بيروت، د.ت.
- الجبوري، يحيى – لبيد بن ربيعة، طبعة المعارف، بغداد، 1970.
- الجندي، علي – في تاريخ الأدب الجاهلي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
- حاوي، إيليا – فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، 1971.

- حسين، محمد محمد، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، د. ت.
- خفاجي، محمد عبد المنعم – الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، دار المطبعة المحمدية، القاهرة، 1958.
- درويش، محمد حسن – تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام، مكتبات الكليات الأزهرية، القاهرة، 1971.
- الزايدي، حمد عبد الله – منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة العامريين وأثرها في الشعر الجاهلي، سلسلة بحوث اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى، السعودية، 1417 هـ.
- أبو سويلم، أنور – دراسات في الشعر الجاهلي، دار عمار، عمان، 1987.
- الشايب، أحمد – تاريخ النقائض في الشعر العربي، ط3، مكتبة النهضة المصرية، 1966.
- ضيف، شوقي:

1. العصر الجاهلي، ط10، دار المعارف، القاهرة، 1982.
2. الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط5، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

- العبيدي، جمال نجم – الرجز نشأته، أشهر شعرائه، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، 1971.
- عجلان، عباس بيومي:

1. عناصر الإبداع الفني في شعر الأعشى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985.
2. الهجاء الجاهلي: صوره وأساليبه الفنية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1985.

- عطية، محمد هاشم – الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.

- علي، جواد – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، جامعة بغداد، بغداد، 1993.

- علي، محمد عثمان – أدب ما قبل الإسلام دراسة وصفية تحليلية، المؤسسة العالمية، طرابلس، 1983.

- الفيومي، محمد إبراهيم – تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الجيل، بيروت، 1999.

- قميحة، محمد مفيد – الأعشى الكبير شاعر اللذة والحياة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1997.

- القيسي، نوري حمودي وعادل جاسم البياتي ومصطفى عبد اللطيف – تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1979.

- المحتسب، عبد المجيد – نقائض جرير والأخطل، دار الفكر، دمشق، 1972.

- المقداد، محمود – تاريخ الترسل النثري عند العرب في الجاهلية، دار الفكر، دمشق، 1993.

- مكي، صادق – ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1991.

- وهبة، مجدي وكامل المهندس – معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

المحتويات

المنافرات في أدب قبل الإسلام

تعد المنافرات صورة من صور التباهي بالأحساب والأنساب، ووسيلة للفصل بين المتنازعين، وهي وسيلة لاظهار الحق واقامة العدل، وقد يتحول التنازع بين رجلين إلى صراع بين القبائل أو في القبيلة نفسها.

وعلى الرغم من أهمية المنافرات في دراسة حياة العرب قبل الاسلام ـ ولاسيما ما يخص الفصل في المنازعات ـ لم تحظ المنافرات بنصيب واضح من اهتمام الدارسين المحدثين، وهنا تكمن أهمية هذا الكتاب الذي عرفت مؤلفته (المنافرة)، وأوضحت الفرق بينها وبين المفاخرة والمناقرة والمعاقرة والمباهلة والمساجلة، كما أوضحت موقف الإسلام منها.

وتناولت بالبحث عوامل نشوء المنافرة وأسبابها وعناصرها، ثم عددت أنواعها، واستفاضت في الحديث عن أثرها في أدب قبل الاسلام، وذيلت دراستها بنصوص المنافرات التي وقفت عليها كاملة، إذ إنها لم تجمع بين دفتي كتاب من قبل.



السعر 70 درهماً

ISBN 9948-01-216-X

